@ketab_n
Follow Me
20.6.2014

الطبعة الخامسة

السيرة النبوية

كما جاءت في الأحاديث الصحيحة
(قراءة جديدة)

محمد الصوياني

@ketab_n
Follow Me

المجلد الأول
(١-٢)

العبيكان
Obeikan

السيرة النبوية

كما جاءت في الأحاديث الصحيحة

محمد الصوياني

الجزء الثاني

العبيكان
Obeikan

Twitter: @ketab_n

ح مكتبة العبيكان، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصوياني، محمد

السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة./ محمد الصوياني.-

ط٥.- الرياض، ١٤٣٤هـ

٤مج.

٢٦٨ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ٢-٥٧١-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٥٧٣-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- السيرة النبوية ٢- الحديث الصحيح أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ٩٥١٦ / ١٤٣٤

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الطبعة الخامسة

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

الناشر العبيكان للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان على أبل

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

هاتف: ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس: ٤٦٥٠١٢٩ ص. ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

جميع الحقوق محفوظة للناشر. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

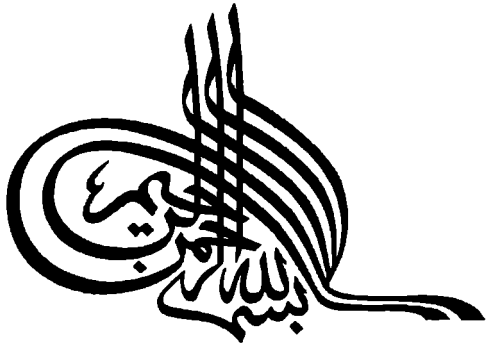

Twitter: @ketab_n

اليهود

يحرقهـــم ما يحدث حولهم، ويموتون كل يوم بغيظهم.. إنهم يشـــرَقون بهذا النبي وبمـــن معه.. مع أنه كان يتقرّب إليهم.. كان يحبّ هدايتهم، فهم كغيرهم يحتاجون إلى من يأخذ بأيديهم إلى الحق، بل كان ﷺ يشعرهم بأنهم أقرب من غيرهم إلى الإسلام - ومع أن القرب لا يكفي أبداً - فقد كان ﷺ يشعرهم بذلك..

وكان (يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشـــيء)[1] فـ (كان أهل الكتاب يسدلون شعورهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي ﷺ ناصيته)[2].

لكن اليهود لا يريدون استيعاب أي شيء من محمد ﷺ.. إنهم يفضلون البقاء في معسكرهم، ولن يغادروه إلا إذا أرسل الله نبياً يهودياً يلتزم بأوراق هذه التوراة الممزقة، وكان لليهود تعاليم سلمت من التمزيق أقرها الإسلام ولم ينكرها.. من هذه البقايا:

قصة صيام يوم عاشوراء

وهو العاشـــر من شـــهر محرم (يوم عاشـــوراء كان يصام في الجاهلية)[3] و(أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء)[4] ومنهم (قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه. فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه)[5].

وتقول عائشـــة: (كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان وكان يوما تستر فيه الكعبة)[6] فـ (ذكر عند رسول الله ﷺ يوم عاشوراء فقال رسول الله ﷺ: «كان يوماً يصومه أهل الجاهلية، فمن أحب منكم أن يصومه فليصمه، ومن كره فليدع»)[7] وليس

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (١٢٦٣).
(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (١٢٦٣).
(٣) حديث صحيح. رواه مسلم، الصيام، صيام عاشوراء (١٢٠).
(٤) حديث صحيح. رواه مسلم، الصيام (١٢٣).
(٥) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٥) ومسلم واللفظ له، الصيام (١١٨).
(٦) حديث صحيح. رواه البخاري ٢-٥٧٨.
(٧) حديث صحيح. رواه مسلم، الصيام (١٢٤).

Twitter: @ketab_n

أهـل الجاهلية فقط هم من يحتفي بذلك اليوم (إنـه يوم تعظمه اليهود والنصارى)[1] وكان يهود خيبر أكثر احتفاءً من غيرهم فـ(هم يصومون يوم عاشـوراء، يتخذونه عيداً ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم)[2].

لكـن ما علاقة ذلك كله باليهود، وهل كان رسـول الله ﷺ مقلداً لأهل الجاهلية وأهل الكتاب.؟

دونمـا تردد الإجابة: لا، فمحمد ﷺ جاء وحيـاً.. لا ينطق عن الهوى، ولا يملك أن يشـرع من عند نفسه، وإذا كان سياق الحدث فيه موافقة للجاهلية ولليهود، فهؤلاء القـوم كالغريق بين الأمواج.. مرةً يتنفس هواءً كالحياة، ومـرةً يتنفس ماءً، أما الثالثة فيتنفس فيها موتاً.

ومحمد ﷺ كان يتنفس هواءً نقياً، ويتفوه وحياً وعطراً.

اسـتغرب رسـول الله ﷺ صيام اليهود لذلك اليوم، فكانت هذه القصة التي سـجلت كـم كان ﷺ ودوداً.. كم كان محباً لإخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسـلام، وكم كان محباً لنبي اليهود موسـى عليه الصلاة والسـلام، فلقد (قدم ﷺ المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه.

فقال رسـول الله ﷺ: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم». فصامه رسول الله ﷺ وأمـر بصيامه)[3] لأن الله أمر بصيامه.. لا لأن يهوداً صاموه، فالمسـألة هنا مختلفة، وليست كالحالة الأولى -حالة فرق الشعر وتسريحه - فالصوم عبادة، وأي عبادة كانت فهـي محرمة في الإسـلام، إلا إذا جـاء دليل من كلام الله أو كلام رسـوله ﷺ يأمر بها أو يحث عليها، وهكذا يبقي الإسـلام العبادة جديدةً صافيةً تسـتقى من النبع، لا

---

(١) حديث صحيح. رواه مسلم، الصيام (١٢٩).
(٢) حديث صحيح. رواه مسلم، الصيام (١٢٦).
(٣) حديث صحيح. رواه مسلم (الصوم ١٢٤).

Twitter: @ketab_n

من ترسبات التاريخ والأهواء والفلسفات، وهذا ما أغاظ اليهود، وجعلهم من ثقوب حصونهم يترقبون، ويتطلعون إلى أي خطأ قد يحدث منه ﷺ، أو من أحد الصحابة، وها هو أحدهم يجد ما يريد:

يهودي ينتقد المسلمين

فقد سمع هذا الرجل بعض الصحابة يقولون: ما شاء الله وشئت. وبعضهم يقول إذا حلف: والكعبة.

فرح اليهودي بما سمع فأطلق قدميه ولسانه تجاه رسول الله ﷺ منتقداً هذا النوع من الشرك، و(أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون[1] وإنكم تشركون. تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة)[2].

سمع رسول الله ﷺ هذه الكلمات من اليهودي وتأثر بها، لكنه لم ينفجر في وجهه.. لم يقل له: من أنت حتى تعلمنا ديننا!

لم يقل له: لماذا لا تنصحون أنفسكم أيها اليهود، وأنتم تقولون (عزير ابن الله)

لم يقل: أنت لست من أهل العلم حتى نستمع إليك.

لم يقل هذا شأن داخلي فيما بيننا، ولا نقبل النقد سوى من جماعتنا الذين هم على ديننا.

لم يتفوه ﷺ بشيء من ذلك، بل ضرب لأتباعه المثل الأعلى في قبول الحق، وأن الحق يقبل من أي شخص كان حتى لو كان عدواً حاقداً، ويضرب المثل الأعلى لتقبل الآخر ونقد الآخر.

استمع ﷺ لهذا النقد اللاذع وقبله، ثم توجه نحو أصحابه بهدوء ودون انفعال مصححاً ذلك الانحراف الخطير و(أمرهم النبي ﷺ إذا أردوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة)[3].

---

(١) تجعلون لله نداً ومثيلاً وشبيهاً.

(٢) حديث صحيح. (صحيح النسائي ٣٥٣٣ للإمام الألباني).

(٣) حديث صحيح. (صحيح النسائي ٣٥٣٣ للإمام الألباني).

Twitter: @ketab_n

وكررها ﷺ قائلاً لهم: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»[1] مهما كان فلان هذا. وقال أيضاً: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت»[2].. «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد. ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون»[3].

وبيّن خطورة ذلك فقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[4]

امتثل المسلمون فذهبوا بالأجر، وذهب رسول الله ﷺ بالصحابة والأجر ينسابون كالنور.. كالنهر.. يغسلون تلك الزوايا التي تخثرت فيها بقايا الشرك. وذهب ذلك اليهودي بغيظه يجره، ويجر قدميه الثقيلتين ورأسه المتحجر، فلقد انتفع المسلمون بالحق والنقد، ولم ينتفع هو بشيء، بل أضاف إلى رصيد اليهود عناداً آخر.. أضاف مساحةً بينهم وبين المسلمين.

اتضحت تلك المسافة، وبانت تلك المفارقة عندما كان رسول الله ﷺ مهموماً يفكر ويفكر، ويبحث عن وسيلة ينبه بها المسلمين إلى دخول وقت الصلاة فـ:

كيف ينادي إلى الصلاة

لقد (اهتم النبي ﷺ للصلاة، كيف يجمع الناس لها، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك. فذُكر له: القنع - يعني الشَّبُّور (شبور[5] اليهود) فلم يعجبه ذلك وقال: هو من أمر اليهود.

فذكر له الناقوس، فقال: هو من أمر النصارى)[6].

---

(١) حديث صحيح. (صحيح الجامع الصغير للإمام الألباني).
(٢) حديث صحيح. (صحيح الجامع الصغير).
(٣) حديث صحيح. (المصدر السابق).
(٤) حديث صحيح. (المصدر السابق).
(٥) الشبور: هو البوق الذي ينفخ فيه.
(٦) حديث صحيح. انظر صحيح أبي داود للإمام الألباني (٩٨).

Twitter: @ketab_n

لم ينزل وحي بهذا الشـــأن، والحيرة تملأ الجميع.. اجتهد الرســـول ﷺ اجتهاد البشر (ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب للمسلمين)[1] في وقت الصلاة. أمر ﷺ بذلك وهو كاره له.

عرف ذلك في وجهه أحد الأنصار الذين حضروا ذلك الحوار واســـمه: (عبد الله بـــن زيـــد بن عبد ربه) (فانصرف عبد الله بن زيد وهو مهتم لهمٍّ رســـول الله ﷺ)[2]، وكان بـــين حرات المدينة من يحمل الحل.. إنـــه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لكنه بالتأكيـــد لـــم يكن حاضراً ذلك النقاش، لذلك لم يقل ما عنده، ولم يقص على أحد ما رآه في منامه.

انصرف الجميع وخيم الليل على المدينة، وانتثرت نجومه فوق نخيلها، ونام رسول الله ﷺ ونام الجميع، ونام عبد الله بن زيد، وبينما هو منســـرب في أعماق النوم وجد في تلك الأعماق رجلاً يطوف به:

رجلٌ من حلم وأذان من وحي

يقص عبد الله رؤياه فيقول: (لما أمر رســـول الله ﷺ بالناقوس يعمل، ليضرب به للنـــاس لجمع الصلاة، طاف بي وأنا نائم رجلٌ يحمل ناقوســـاً في يده، فقلت: يا عبد الله.. أتبيع الناقوس؟

قال: وما تصنع به..؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة.

قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟

فقلت له: بلى.

قال: تقول:

الله أكبر.. الله أكبر..

---

(١) حديـــث صحيح. رواه ابن إســـحاق.. وهو من الطريـــق الصحيحة التي عند أبي داود... وابن إســـحاق لم يدلس.

(٢) حديث صحيح. انظر صحيح أبي داود للإمام الألباني (٩٨)..

Twitter: @ketab_n

الله أكبر.. الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن محمداً رسول الله.. أشهد أن محمداً رسول الله

حي على الصلاة... حي على الصلاة

حي على الفلاح... حي على الفلاح

الله أكبر.. الله أكبر

لا إله إلا الله

ثم استأخر عني غير بعيد، ثم قال: وتقول إذا أقمت الصلاة:

الله أكبر.. الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمداً رسول الله

حي على الصلاة.. حي على الفلاح

قد قامت الصلاة.. قد قامت الصلاة

الله أكبر.. الله أكبر

لا إله إلا الله..

فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته بما رأيت.

فقال ﷺ: «إنها لرؤيا حق إن شـــاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن، فإنه أندى صوتاً منك»[1].

وبذلك يجعل السنة لأمته في اختيار المؤذن هو حسن الصوت.

ونظـــراً لأن عذوبة الصوت تزيد القـــرآن والأذان جاذبية وجمالاً.. كان ﷺ يقول: «زينـــوا القرآن بأصواتكم»[2] ويقول: «ليس منـــا من لم يتغنَّ بالقرآن»[3] ولعذوبة صوت بلال فقد جعل الأذان من نصيبه رضي الله عنه.

---

(١) حديث صحيح. انظر صحيح أبي داود للإمام الألباني (٩٨/٩٩).

(٢) حديث صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير للإمام الألباني.

(٣) حديث صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير للإمام الألباني.

Twitter: @ketab_n

وهـا هو صوت بلال الذي ملأ شـوارع مكـة: أحدٌ.. أحدٌ.. هاهـو عذباً كأنهار الحبشـة.. حراً كطيورها.. ينساب في سـماء المدينة يوقظ فجرها.. يوقظ شمسها، وينادي المهاجرين والأنصار، ويسحرهم بصوته.

يقول عبد الله بن زيد: (فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه، ويؤذن به، فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج يجر رداءه ويقول: والذي بعثك بالحق يا رسـول الله، لقد رأيت مثل ما رأى. فقال رسول الله ﷺ: «فلله الحمد»)[1].

لا بد أن ابن الخطاب رضي الله عنه لم يحضر تلك الآراء والاقتراحات وإلا لتكلم بمـا رآه، فقد (كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك فكتمه عشـرين يومـاً، ثـم أخبر النبي ﷺ فقال له: ما منعك أن تخبرني. فقال: سـبقني عبد الله بن زيد فاستحييت)[2].

إذاً لا بـوق.. لا رايـة.. لا أجراس. لكنه التوحيد.. حمله طيفٌ جميل (عليه ثوبان أخضران)[3].

فرحـة جديدة للمؤمنين، وتميز جديـد. فرحة لعبد الله بن زيـد، فرحة لعمر.. وصوت بلال يتدفق منعشاً في شوارع المدينة وسمائها، ولم يكن هناك مئذنة للمسجد، ولا منارة، ولكن:

فرحة لامرأة من الأنصار

وشـرف تتغنى به، وتنافس بـه تلك الأنصارية التي بنت المنبر لرسـول الله ﷺ. امرأة من بني النجار جعلت من بيتها نبعاً للنداء الجديد.. جعلت من كل بيتها موضعاً لقدمي بلال وصوته.

تقـول تلـك المرأة الكريمـة: (كان بيتي من أطول بيت حول المسـجد، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة، فيأتي بسَـحَر، فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه

---

(١) هذا الحديث بقية حديث أبي داود (٩٩).
(٢) حديث صحيح. صحيح سنن أبي داود (٩٨).
(٣) جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

Twitter: @ketab_n

تمطى[1]. ثم قال: اللهم أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك، ثم يؤذن. والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة. يعني هذه الكلمات)[2].

وتصحو المدينة.. المدينـــة كلها على ذلك الصوت الندي، وتنتعش وتتوضأ. المدينة كلها.. إلا بيوتاً ترتج مفزوعة الجدران والقلوب.. شاخصة الأعين، فصوت بلال رصاص يخترق بيوت يهود، وجدران عبد الله بن سلول وأمثاله.

أما قريش فقد أدركت أن اليهود وأصحابهم من المشركين قد تورموا حقداً وترقباً، وقـد حان الوقـت لتفجير ذلك الورم في وجه محمد ﷺ ووجـوه أصحابه. لقد حان تحويـل حرات المدينة إلى أودية من الدماء والحروب، والثارات التي لا تنتهي. فجاءت شرارة تلك الحروب مغلفة برسالة مستفزة من قريش.. جاءت لتجعل من:

المدينة حريقاً ومذابح

كانت تلك الشرارة حروفاً مشتعلةً، رسالةً تتقد تهديداً ووعيداً. رسالةً تبشر بالمقابر. فـ(كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ومن كان يعبد معه الأوثان، من الأوس والخزرج - ورسول الله ﷺ يومئذٍ بالمدينة قبل وقعة بدر -: إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه، أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلكم، ونستبيح نساءكم.

فلمـــا بلغ ذلك عبد الله بن أبي[3] ومن كان معه مـــن عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال النبـــي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم، فقال: لقـــد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ. مـــا كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفســـكم! تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم؟!! فلما ســـمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا)[4] فتفرق الشر وهدأت الأنفاس،

---

(١) أي تمطى الفجر وامتد نوره في الأفق.

(٢) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقه أبو داود (٥١٩): حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير عن امرأة من بني النجار: ابن إسحاق سمع شيخه الثقة الذي مرمعنا، وعروة غني عن التعريف والمرأة صحابية من الأنصار رضي الله عنها.

(٣) هو عبد الله بن أبي بن سلول وهو ما يزال على شركه مجاهراً معانداً...

(٤) حديث صحيح رواه أبو داود ٢ - ١٧١ حدثنا محمد بن داود بن سفيان ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: عن رجل من أصحاب النبي وقد رواه عبد الرزاق ٥-٣٥٨ وقد انقلب عنده اســم التابعـــي والصواب ما في أبي داود، فعبد الله بن عبد الرحمـــن لم يرو عن الصحابة والزهري ليس من شيوخه، والصواب ما في أبي داود، رغم ضعف شيخه. صححه الإمام الألباني في صحيح أبي داود.

Twitter: @ketab_n

وسكنت الأنفس المشحونة بالشر، وسلمت المدينة من حرب أهلية، ومعركة كادت تطحن أهلها وجدرانها.

كلماتٌ قليلة وهادئة أعادت السيوف إلى أغمادها.. أعادت العقول إلى رشدها، وخذلت قريشاً، وخذلت اليهود المتربصين خلف شقوق الأبواب، وتم الحفاظ على كيان الدولة الإسلامية الوليدة من حركة عسكرية كادت تعصف بأحلامها وشبابها، فالمدينة بحاجة إلى تلك الأحلام وإلى ذلك الشباب، وإلى قائد عظيم وحكيم فكيف بهذا النبي العظيم الحكيم ﷺ. ولم تكن يوماً من الأيام عطشى إلى تلك الدماء.. التي أدمنت سفحها أياد تمسحت بالجاهلية والأصنام، ولن تسفك قريش مهما حاولت أكثر مما سيسفكه أهل المدينة بأيدي بعضهم البعض.. الأوس يدركون ذلك جيداً، والخزرج ليسوا بأقل وعيا منهم بذلك، وخطوات قليلة إلى المقابر الجماعية لضحايا (بُعاث) تذكرهم متى ما تسلل النسيان إليهم.

إذاً فقد هدأت الأنفس بعد يوم مشحون، ونامت المدينة كطفل على تلك العبارات الحانية كصدر أم حنون، وقدم النبي عليه السلام مفهومه للمواطنة في الدولة الإسلامية.

مفهوم المواطنة في الدولة الإسلامية

خطاب النبي ﷺ لهؤلاء الوثنيين وعباد الأصنام كان خطاباً تصالحياً راقياً مع الكفار، فقد احتواهم في دولته، ولم يفرح بفرصة تصفيتهم والقضاء عليهم وإقصائهم وهو قادر على ذلك، فزعماؤهم معه، ومعه أعداد غفيرة متوثبة من المهاجرين، لكنه لم يفعل ذلك، بل جعلهم ضمن النسيج الوطني في دولته، فهدَّأ ثورتهم، وطيب خواطرهم، وفرش لهم المدينة ورداً وربيعاً من الأمن والسلام والمصالحة، رغم أنهم على الشرك وعبادة الحطب والخشب والحجارة، ورغم أنه بعث لنشر التوحيد والدفاع عن نشره، ورغم أن زعماءهم أعطوه بيعتهم على الحرب والسلم، لكنه عليه السلام يقدم مثالا على التفريق بين أخوة الإسلام ومفهوم المواطنة، وأنه مع الفارق الشاسع بينهما، إلا أن لكل مفهوم حقوقه وحدوده، وأنه يحرم إضرام النار بين المفهومين.

Twitter: @ketab_n

حال عليه السلام بين أمن دولته وبين أعدائها، وقطع الطريق على من يريدون إثارة الفتنة، وإشعال الحرب الأهلية، فلا إكراه في الدين، ولكن هناك إكراه في المواطنة، فمن لم يرد الدين فله ذلك، ومن لم يرد الوطن فالأوطان كثيرة، لكنه سيشهر السيف في وجه كل من سيشهر سيفه في وجه الدين أو الوطن.

أشرقت الشمس من جديد على هذه المدينة الراقية، والدولة المتحضرة.. وأشرق الوعي يحمل تعليمات جادةً وأعيناً أكثر اتساعاً على المستقبل والآفاق، فالمدينة.. المدينة وأهلها في خطر، وتوقعات أبي بكر الصديق ورؤيته الثاقبة بدأت تتشكل على أرض الواقع، فـ:

ماذا توقع أبو بكر؟

منذ أكثر من عام.. عندما أخرج من مكة مع رسول الله ﷺ في ذلك اليوم المرير، وقريش ثائرة الأنفاس مغبرة الأقدام والجياد.. تبحث عن محمد ﷺ وصاحبه وبقية أصحابه، في تلك الساعات الخائفة (لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن. فأنزل الله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

قال أبو بكر رضي الله عنه: فعرفت أنه سيكون قتال)[1].

وصدق أبو بكر، فتلك الرسالة شرارة، والمدينة أمست في خطر، والهشيم يحيط بها من كل ناحية، وفي قلوب المشركين واليهود يتكوم هشيم أخطر، ولا بد من الاحتراز والاحتياط.. لا بد من السلاح في جو مكفهر بالسلاح والشرك، فهب الصحابة رضوان الله عليهم لـ:

حراسة رسول الله ﷺ

ذات ليلة كانت عائشة إلى جانبه ﷺ، وكان السهر إلى جانبهما أيضاً. قلقت عائشة رضي الله عنها، فما الذي حدث؟

---

(١) سنده صحيح. رواه الطبراني في تفسيره (١٦٠/٩) من طرق عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. ومسلم البطين هو ابن عمران وهو ثقة من رجال الشيخين وشيخه إمام من أئمة التابعين ومجاهديهم.. وهو على شرط الشيخين وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٧٩/٣).

Twitter: @ketab_n

تقول رضي الله عنها: (إن رسـول الله ﷺ سـهر ذات ليلة وهي إلى جنبه، فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟

قال ﷺ: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة».

فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح. فقال ﷺ: «من هذا؟» فقال: أنا سعد بن مالك.

فقال ﷺ: «ما جاء بك؟» قال: جئت لأحرسك يا رسول الله. قالت عائشة: فسمعت غطيط رسول الله ﷺ في نومه)[1] بعد أن تطوع سعد بن أبي وقاص لحراسته ﷺ.

لم يكن الخطر سـهماً واحداً نحو رسول الله ﷺ، بل كان أسهماً ورماحاً منطلقة نحـو كل مؤمن.. نحو كل أنصاري ومهاجر، ولا بد أن يكون الحذر دائماً. وفي رسـول الله ﷺ أسوة حسنة لأتباعه لذلك صار:

السلاح صباحاً.. السلاح مساءً

صحابي آخر اسـمه (أبي بن كعب) يقول: (لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل؟)[2].

سؤال يرتعش خوفاً من هذه الجموع التي اتجهت بخيلها ورجلها، ورماحها وأوثانها نحو مدينة التوحيد الوحيدة. سـؤال مُثقل بحمل السـلاح والخـوف؟ فنزلت الإجابة وحياً.. قرآناً وبشـرى.. نزل الوحي يحمـل الأرض... كل الأرض، والدنيا.. كل الدنيا مشرعة الأبواب لمحمد ﷺ وأصحابه.

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ لأحمد ٦-١٤١.

(٢) سـنده حسن. رواه الطبراني (مجمع البحرين ٥٨/٦) والبيهقي ٣-٦ واللفظ له: أحمد بن سعيد الدارمي ثنـا علي بن الحسـين بن واقد حدثني أبي عن الربيع بن أنس عـن أبي العالية عن أبي: أبو العالية تابعي ثقة وتلميذه حسـن الحديث إذا لم يخالف التقريب ٢١٠ و٢٠٥ والحسـين ثقة من رجال مسلم وابنه حسن الحديث التقريب ١٦٩ وأحمد ثقة حافظ.

Twitter: @ketab_n

يقـول أبي ابـن كعـب: (فنزلـت: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾)[1].

آيـات تتنزل بالأعيـاد والفتوح والبشـرى.. أخذها الصحابة واستبشـروا بها..

أخذوها كما يأخذون سـلاحهم ليل نهار، فرسـول الله ﷺ علمهم أن هناك فداءً، وأن هناك تضحيةً وهدفاً، والهدف لا يأتي لمترددٍ، أو جبان أو خائف. خاصةً في مثل هذه الظروف، فالمؤامرة تطل كالوحش فوق رؤوس الجبال على حصن الإسلام الجديد، فلا بد من التحرك.. لا بد من عمل شيء يحمي المدينة ويعيد المظالم إلى أهلها، ويزيح ليل الأصنام الهائل عن عقول وقلوب البشـرية وأجيالها، ولن يكون ذلك بالصلاة والدعاء والمعجزات وحدها.. لا بد من:

نشاط عسكري

فلن يمكّن الله عباده ما لم يقوموا بتحويل دنياهم إلى حركة تلهج بـ(لا إله إلا الله وحده لا شـريك له.. محمد رسـول الله وخاتم النبيين) بدءا من أنفسهم، حتى تتسق وتتناغم مع حركة الكون كله.. المسبح بحمد ربه ليل نهار.

حمل الصحابة تلك البشرى وحملوا شروطها، فحولت ضعفهم قوةً، وخوفهم أمناً وثقة. فهاهو سعد بن معاذ يتجه إلى مكة الطاهرة.. كالتحدي يتفجر بين أصنام قريش وسيوفها.. ثقةً يتحدى، وثقةً يهدد، فيتحول صناديد وطواغيت قريش حوله إلى خراف ترتجف خوفاً، وتتصبب عرقاً.

(انطلق سعد بن معاذ معتمراً، فنزل على أمية بن خلف - أبي صفوان- وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد. فقال أمية لسعد: ألا انتظر، حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت.

---

(١) المصدر السابق.

Twitter: @ketab_n

فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟

فقال سعد: أنا سعد. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة وقد آويتم محمداً وأصحابه؟ فقال: نعم.

فتلاحيا بينهما.. فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي. ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام[1].

فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك - وجعل يمسكه- فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمد ﷺ يزعم أنه قاتلك. قال: إياي؟ قال: نعم. قال والله ما يكذب محمد إذا حدث)[2].

أصيب أمية بالرعب والهلع بعد أن بشره سعد بالقتل. يحدثنا سعد عن ذلك فيقول: أنه (قال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد آويتم الصبأة[3]، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم؟ أما والله لولا أنك مع أبي صفوان[4] ما رجعت إلى أهلك سالماً.

فقال له سعد - ورفع صوته عليه - أما والله لئن منعتني هذا، لأمنعنك ما هو أشد عليك منه: طريقك على المدينة.

فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم - سيد أهل الوادي. فقال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنهم قاتلوك» قال: بمكة؟ قال: لا أدري.

ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً، فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري ما قاله لي سعد؟

قالت: وما قال لك؟. قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي، فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أمية والله لا أخرج من مكة)[5].

---

(١) طريق تجارة قريش إلى الشام وهو يمر بالمدينة أو قربها.
(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٦٣٢).
(٣) يقصد المهاجرين الذين تركوا دين آبائهم وأجدادهم.
(٤) أبو صفوان هو أمية بن خلف.
(٥) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٥٠) (ص٨١٢).

Twitter: @ketab_n

لقد شلت كلمات سعد الواثقة بالله وبرسوله ﷺ.. شلت هذا الطاغية، فأمسى لا يرى سوى الموت يتربص له في منافذ مكة.. لقد جعل خوفه الأرض.. كل الأرض قبراً يحاصره، ويحاصر مكة معه. أما ذلك الشاب المهاب سعد بن معاذ، فعاد إلى حبيبه ﷺ وهو أكثر قوة ويقيناً.. عاد ليجد المدينة غير المدينة.. عاد لينقل ما رآه وما سمعه من خوف يملأ طغاة مكة، عندما هددهم بقطع طرق قوافلهم إلى الشام، وهي شرايينهم وأوردتهم. عاد لينفذ تهديده، فقد منعه أبو جهل، وعلى أبي جهل أن يتحمل ثمن تهوره وجاهليته الحمقاء. أما رسول الله ﷺ فكان أسبق من سعد إلى هذا التفكير، لقد قرر ﷺ أن يجعل للمدينة قوتها التي تُشعر الآخرين بمنعتها، وتشعر قريشاً خاصة.. أن هذا الدين الجديد صار خطراً يهدد صلف وتسلط شركها، ودروب قوافلها، بل ومكانتها بين العرب، عندما قصدهاب:

غزوة العُشيرة

وهي أول غزوة بدأها ﷺ وقادها[1]، وليس لدينا تفاصيل صحيحة عن أحداثها، والعُشيرة قرب ينبع.. على طريق قوافل قريش، وهي أول تهديد عملي لقريش وقوافلها التي سلبت المهاجرين كل أموالهم، ووصف الله معاناتهم بأنهم المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم. كما غزا ﷺ:

غزوة الأبواء

ليس لدينا تفاصيل موثقة عنها، ولكن وقوعها ثابت في مكان يقال له الأبواء بين مكة والمدينة، ذلك المكان الذي وقفت فيه المطايا بمحمد ﷺ وهو طفل صغير، وقفت

---

(١) ورد أن الأبواء هي أول غزوة لرسول الله ﷺ لكن هذا غير صحيح، فالرواية في ذلك ضعيفة رواها كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده.. وكثير هذا ضعيف. وهناك رواية أخرى عن عروة وقد وصلها ابن عائذ لكنها من طريق ابن لهيعة.. وليس فيها أن الأبواء أول غزوة بل إن سعداً، أول من رمى سهماً في سبيل الله، وهذا صحيح ولكنه ليس دليلاً على أن الأبواء أول الغزوات لأن العشيرة -عند المؤرخين - لم يحدث فيها قتال ولم يرم بها بالسهام. أما كون سعد أول من رمى بسهم فقد جاء على لسانه هو ولم يذكر رضي الله عنه متى كان ذلك والرواية عند الشيخين وستمر معنا.

Twitter: @ketab_n

فيــه المطايــا تودع أمه التي فقدهــا هناك وغابت عن عينيه وعــن الدنيا حيث دفنت هناك. ذلك المكان الذي أبكاه ﷺ كان موعداً لغزوةٍ لا نعرف أحداثها الصحيحة بعد، لكنها موجهة لقريش التي بدأت التهديد، وهي نوع من الاســتطلاع العسكري بالقوة، لرصد تحركات العدو وخطره، أكســبت الصحابة خبرة جديدة في الكشف عن طبيعة الأرض والأعداء المحيطين بدولة الإسلام الجديدة.

كانت تلميحاً لمن تسول له نفسه غزو المدينة والغدر بأهلها، فأزعجت تلك التحركات قريشاً، لكن رسول الله ﷺ كان يعد لهم مفاجأة.. سرية بقيادة صحابي عظيم هو أبو عبيدة، والذي حاز لقباً عظيماً فيما بعد هو: أمين الأمة. فما قصة تلك السرية:

سرية نخلة

(بعث ﷺ رهطاً، فبعث عليهم أبا عبيدة، فلما أخذ لينطلق بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ، فبعث رجلاً مكانه يقال له: عبد الله ابن جحش)[1].

حرارة الشــوق أبكت أبا عبيدة، وحبه لملازمة رسول الله ﷺ جعلت رسول الله ﷺ يشــفق عليه ويبقيه جواره، ليعين قائداً عظيماً. فـ (بعث رســول الله ﷺ عبد الله بن جحش في رجب، [مقفلة من بدر الأولى] وبعث معه بثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهــم من الأنصــار أحد، وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يســير يومين، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره، ولا يستكره من أصحابه أحداً. وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين:

من بني عبد شمس: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة.

ومن بني أمية بن عبد شمس ثم من حلفائهم: عبد الله بن جحش بن رئاب - وهو أمير القوم- [وعكاشة بن محصن بن حرثان أحد بني أسد بن خزيمة].

---

(١) ســنده قوي.. رواه الطبري ٤-٣٠٧ وابن أبي حاتم ٢٠٦٤: وغيرهما من طرق عن معتمر بن ســليمان عن أبيه، حدثني الحضرمي عن أبي الســوار عن جندب بن عبد الله. أبو الســوار العدوي تابعي ثقة واســمه حسان بن حريث التقريب ٦٤٦. وتلميذه الحضرمي حق لا بأس به التقريب ١٧١ أما معتمر ووالده فثقتان معروفان.

Twitter: @ketab_n

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان، حليف لهم.

ومن بني زهرة بن كلاب: سعد بن أبي وقاص.

ومن بني عدي بن كعب: عامر بن ربيعة -حليف لهم- وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة [وخالد ابن البكير - أحد بني سعد بن ليث، حليف لهم].

ومن بني الحارث بن فهر: سهل بن بيضاء.

فلما سار عبد الله بن جحش يومين، فتح الكتاب ونظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فسر حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصَّد بها قريشاً وتعلَّم لنا من أخبارهم.

فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب: قال سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة فأرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم. فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع.؟ فأما أنا، فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ. (فرجع رجلان ومضى بقيتهم)[1].

فمضى ومضى معه أصحابه، فلم يتخلف عنه منهم أحد، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له: (بُحران) أضل سعد ابن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا عليه يعتقبانه، فتخلفا عليه في طلبه، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارةً، من تجارة قريش فيها منهم:

عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القوم هابوهم وقدنزلوا قريباً منهم.

---

(١) هذه العبارة ليست في السياق بل هي جزء من الحديث الصحيح السابق. وفي السياق سبب رجوع هذين الصحابيين.. وهو أنهما فقدا بعيرهما.

Twitter: @ketab_n

فأشرف لهم عكاشة بن محصن - وقد كان حلق رأسه - فلما رأوه أمنوه، وقالوا: عُمّار، فلا بأس علينا منهم.

وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من جمادى، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم، فليمتنعن به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام.

فتردد القوم فهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، [وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم] وقدم عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة.

[وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش: أن عبد الله بن جحش قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ ما غنمتم الخمس، وذلك قبل أن يفرض الخمس من الغنائم، فعزل لرسول الله ﷺ خمس العير، وقسم سائرها على أصحابه]، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: [«ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام». فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً.

فلما قال رسول الله ﷺ ذلك سُقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم المسلمون فيما صنعوا وقالوا لهم: صنعتم ما لم تؤمروا به، وقاتلتم في الشهر الحرام، ولم تؤمروا بقتال].

وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، فسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في جمادى.

[وقالت يهود تتفاءل بذلك على رسول الله ﷺ: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، واقد بن عبد الله وقدت الحرب. فجعل الله عليهم ذلك وبهم] فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله عز وجل على

Twitter: @ketab_n

رسوله ﷺ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾.

فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين)[1]. وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي طعن أبو جهل أمه واغتال أباه ضمن تلك السرية.

يحدثنا عن ذلك ابن مسعود وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم فيقولون في قوله تعالى: (﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ... ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم: عبد الله بن جحش وفيهم: عمار بن ياسر، وأبو حذيفة بن عتبة، وسعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان، وسهل بن بيضاء، وعامر بن فهيرة، وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب.

وكتب لابن جحش كتاباً، وأمره ألا يقرأه حتى ينزل (بطن ملل)، فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فإذا فيه:

أنْ سِرْ حتى تنزل بطن نخلة. فقال لأصحابه: من كان يريد الموت فليمض وليوص، فإني موصٍ وماضٍ لأمر رسول الله ﷺ.

فسار، وتخلف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما، فأقاما يطلبانها، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة، فإذا هو بالحكم بن كيسان، والمغيرة بن عثمان، وعبد الله بن المغيرة.

---

(١) حديث صحيح عدا ما بين المعقوفين.. رواه الطبري تفسير (٢/٣٦٠) واللفظ له والبيهقي في الدلائل (٣/١٧-١٨) عن عروة مرسلاً وهو صحيح إلى عروة لكن لم يذكر شيخه من الصحابة... والحديث له شاهد عند الطبراني (٢/١٧٤) وابن أبي حاتم (سيرة ابن كثير ٢/٣٧٠) من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه: حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله: عن النبي ﷺ أنه بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح.. كما رواه الطبري في التفسير (٢/٣٦٢) وأبهم الحضرمي فقال: إنه حدثه رجل عن أبي السوار وقال الهيثمي في المجمع (٦/١٩٨)/ رجاله ثقات.. وله شواهد كثيرة عند الطبري (٢/٣٦٣) عن ابن عباس... وأبي مالك الغفاري.. وعن الزهري وعثمان الجزري ومقسم مولى ابن عباس... أما ما بين معقوفين مثل تصرف ابن جحش في الغنائم وقول يهود فهو مرسل... والحديث يشهد له ما بعده.

Twitter: @ketab_n

فذكـــر قتل واقد لعمرو بن الحضرمي، ورجعوا بالغنيمة والأســـيرين، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون، وقال المشركون: إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله، وهو أول من اســـتحل الشـــهر الحرام، وقتل صاحبنا في رجب. وقال المسلمون: إنما قتلناه في جمادى)[1].

وسواء قتل ذلك المشرك في جمادى، أو في رجب، فرسول الله ﷺ لم يأمر بذلك. إنما هي حماســـة المهاجرين المقهورين، المطرودين مـــن ديارهم وأموالهم، ولا ذنب لهم سوى أن يقولوا: لا إله إلا الله. لم يتمالكوا أنفسهم - وهم بشر - عندما رأوا أموالهم التي غصبتها قريش واغتصبتها.. تســـيل أمامهم تجارةً تنمو بين أيدي المشركين، وهم الحفاة الذين تشققت أقدامهم من العوز والفقر، وأضناهم الجوع والتعب.. إنك تبحث بين هؤلاء الرفقة.. تســـألهم أين سعد بن أبي وقاص؟ أين عتبة بن غزوان؟ ألم ينطلقا معكم من المدينة..؟

فتأتيك الإجابة حســـرةً: لقد انطلق سعد وعتبة وسارا مع السرية، لكن على جملٍ واحد جاءا.. يركب أحدهما، وينزل الآخر. ويركب الآخر فترة ليمشي صاحبه. أما الآن فلا جمل لهما، لقد ند وهرب وهما يركضان على أقدامهما المتشققة خلفه.

يذرعان بطون الأودية والشعاب، ولا أحد غير الله يعلم ما سيحدث لهما.

ما موقف الإنسان.. أي إنسان يرى أموال سارقه وقاتل أمه وأبيه أمام عينيه بينما هو يأكل ورق الشجر من الفقر.؟

ما موقف الإنســـان.. أي إنســـان حافي القدمين يبحث عن جمل، ثم يرى جماله المسلوبة منه تتقاطر بالمال، بينما تتقاطر قدماه بالدماء؟ ما شعور سعد المشرد الفقير الذي يصف الأجواء التي عاشها في مثل تلك المهمات الصعبة فيقول: (إني لأول العرب

---

(١) ســـنده قوي. رواه السدي (تفسيره ابن كثير ٢/٣٧٠) عن أبي صالح عن ابن عباس وهذا ضعيف من أجل أبي صالح وهو (باذام) لكن الســـدي رواه من طريق أصح عن مرة عن ابن مســـعود وجماعة من الصحابة، ومُرَّة بن شراحيل تابعي كبير ثقة. وهو صحيح بما قبله.

Twitter: @ketab_n

رمى بســـهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشّجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ما له خلط)[1].

إن رجلاً لا يجد ســـوى ورق الشـــجر لمعذور أن ينهب ما يســـد به رمقه، ويدفع به الموت عن نفسه، فكيف إذا كانت تلك الأموال أمواله وأموال أصحابه المسلوبة.

وبعد هذا كله لا يعذرهم عليه الســـلام، وينتظر حكم الوحي فيهم، فيتنزل العذر من فوق ســـبع سماوات انتصاراً من الله لعباده، وتبرئة لساحتهم البيضاء من تُهم أهل الشـــرك، الذين ارتكبوا الفظائع والشنائع بحق الله أولاً، ثم بحق رسوله ﷺ وصحابته الكرام. عاد الصحابة نصراً وبراءةً.. عادوا ليجدوا في المدينة خبراً.. ليجدوا في وجه رســـول الله ﷺ فرحـــاً، وفي وجوه يهود كدراً وظلمةً. لقد فقدت يهود شـــيئاً عظيماً، وانقطع آخر الحبال بينهما.

اليهـــودُ حداد.. اليهود ســـواد، بعد أن طرق ذلك الخبر أبـــواب حصونهم المنيعة وآذانهم المسدودة.

فما هذا الخبر؟

هذا الخبر هدية قادمة من السماء.. كان في الماضي شوقاً، وكان أمنية تتردد في صدره ﷺ مذ كان في مكة.. مذ كان يخر ســـاجداً لله في بيته المحرم.. متجهاً بقلبه نحو الله.. مســـتقبلاً الشام.. حيث المســـجد الأقصى، لكنه كان يقوم بحركة تعبر عن ذلك الحلم الذي لا يستطيع الإفضاء به. كان ﷺ يجعل الكعبة أمام وجهه، بحيث تكون بينه وبين المسجد الأقصى. لكن ماذا عنه الآن؟

إنه ما زال ينفذ أمر ربه، فيســـتقبل المســـجد الأقصى، أمـــا الكعبة.. أما حبيبته الحزينة التي نشـــأ بالقرب منها، وأحبها ووضع حجرهـــا، فالجاهلية بينهما.. حبيبته بعيدة.. لا يستطيع رؤيتها، ولا الحديث إليها، ولا تحسس ثيابها، ولا حتى استقبالها.

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٧٢٨).

Twitter: @ketab_n

إنها هناك أسيرة.. وهو هاهنا مشتاق.. يتقلب وجهه في السماء، ويطوف طرفه في أرجائها (كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ﴾)[1].

إذاً فالقبلة تحولت من بيت المقدس إلى البيت الحرام بمكة المكرمة، لكن متى كان ذلك..؟ وما علاقة اليهود بالقبلة واتجاه المسلمين في صلاتهم؟ وماذا حدث عند سماع الخبر؟

أما متى؟ فخبر ذلك عند طفل عذب اسمه (البراء بن عازب) حيث يقول: (إن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها: صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه ﷺ، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة.

فداروا كما هم قبل البيت)[2] أي اتجهوا نحو الكعبة، منفذين.. ممتثلين دون تردد، فالأمر وحي.

لكن إذا كان هناك تساؤل فهل هو اعتراض أو احتجاج كاحتجاج يهود؟

المؤمنون أرقى من ذلك، إن لهم قلوباً رقيقة ومشاعر طيبة، وأدباً جماً. كان تساؤلهم رحمة وشفقة بإخوانٍ لهم ماتوا ولم يصلوا تجاه المسجد الحرام.

البراء ينقل تلك المشاعر فيقول: (فقال رجال من المسلمين: وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة، وكيف بصلاتنا نحو بيت المقدس؟)[3].

---

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق (تفسير ابن كثير، البقرة ١٤٣): حدثني إسماعيل ابن أبي خالد، عن أبي إسحاق، عن البراء. وشيخ ابن إسحاق وشيخ شيخه تابعيان ثقتان ثبتان.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠).

(٣) حديث صحيح. وهو جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

Twitter: @ketab_n

بل إن البراء رضي الله عنه كان أحد المتسائلين. هو نفسه يقول: (وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالاً قتلوا، لم ندر ما نقول فيهم؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾)[1] وهو أرحم من أن يخذل من قصده، وأناخ رحله وقلبه ببابه. ولعل تلك التساؤلات بدأت بُعيد الصلاة، حيث بدت المدينة مشغولة بهذا الحدث الكبير، فتأخر وصول الخبر إلى أهل قباء ومسجد قباء، فـ (بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليهم الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة. فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة)[2]. كما استدار أصحابهم في المدينة.. كما امتثل إخوانهم هناك خلف رسول الله ﷺ. أما اليهود فقد استدارت قلوبهم ودروبهم عن الله، وعن رسوله ﷺ، وعن قبلته الجديدة، وتطايرت من حصونهم وألسنتهم ألفاظ الاستهجان والاحتجاج.

ها هم يجوبون شوارع المدينة، في سفاهة وسماجة يقولون: (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟! فأنزل الله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾[3].

لله المشرق والمغرب ولا شيء لليهود، والأمر وحي، واليهود حاربوا الوحي، وقتلوا حملة الوحي من الأنبياء، فكيف لا يحاربون وحياً نزل على غيرهم؟ ونبياً ليس من بينهم؟ واكتملت الآيات، فتلاها رسول الله ﷺ وتلاها أصحابه، ومن بعدهم سيتلونها.. سيتلونها هكذا: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ[4] مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠).

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠٣) ومسلم من حديث ابن عمر (المساجد ١٣).

(٣) سنده صحيح. وهو جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

(٤) أي اليهود.

Twitter: @ketab_n

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ (١) ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ (٢) لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ (٣).. يهتدون إلى ما أعرضت عنه اليهود، وضل عنه النصارى. كانت تلك الأحداث بعد منتصف شهر رجب من السنة الثانية من الهجرة، وبعد عودة سَرِيَّة عبد الله بن جحش، حدثنا بذلك سعد بن أبي وقاص.. ربما بعد أن وجد بعيره.

يقول رضي الله عنه: (صلى رسول الله ﷺ ستة عشر شهراً، ثم حول بعد ذلك قبل المسجد الحرام قبل بدر بشهرين)(٤).

إذاً فالنخل الذي كان في قبلة المسجد أصبح في خلفية المسجد، وبما أن المسجد كان (مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل) فبالتأكيد تكون خلفيته كلها

---

(١) أي باتجاه المسجد الحرام.

(٢) أي اليهود.

(٣) سورة البقرة: الآيات ١٤٢-١٥٠.

(٤) سنده صحيح رواه البيهقي ٢-٥٧٣: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا ابن فضيل، عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب: سمعت سعد. سعيد إمام التابعين وتلميذه تابعي ثقة التهذيب ١١-٢٢١ ومحمد بن فضيل بن غزوان ثقة ثبت ٥٠٢ وسماع تلميذه للسيرة صحيح، وابو العباس الأصم ثقة ثبت.

Twitter: @ketab_n

مسقوفةً، وبناء جدار في قبلته السابقة أو أحد زواياها، قد يفي بحاجةٍ ماسةٍ.. فهناك أمر يحطم القلب، وتدمع له العين.. هناك حاجة ملحة تطل من منافذ المدينة كل يوم، حيث يتهادى إلى المدينة مهاجر أو مهاجرون. بعضهم ضاق بقومه، و البعض ضاق به قومه وضيقوا عليه، وسلبوا كل شيء لديه، أو دفع كل شيء ثمناً لهروب جميل أو هجرة أجمل. دون مال يأتون.. البعض حفاة، وبعضهم أشباه عراة، وأحضان المدينة والأنصار مفتوحة لهم، وهذه الدولة الصغيرة تستقبلهم وتحميهم، لكن بيوت الأنصار قد امتلأت، والهاربون والمطاردون قد كثروا.

نظر ﷺ إليهم.. تأملهم.. تأمل أبيات الأنصار الممتلئة، وتأمل فقره وفقرهم..

نظر ﷺ إلى مسجده، فجعله دار من ليس له دار، ومأوى من ليس له مأوى، فبنى ذلك الجدار في آخر المسجد[1]، فأصبحت حجرة (صفة) متواضعة.

تدافع القادمون إليها، وعاش في تلك الصفة رجال يمسي الفقر معهم حيث أمسوا.. يبيت معهم، ويصبح كظلهم، يأكل ولا يأكلون، ويشرب ولا يشربون.. عاشوا فيها أياماً ليست كالأيام، وميزهم الفقر بلقب كالفقر هو:

أهل الصفة

رجال فضلوا جوار رسول الله ﷺ رغم العوز على أن يعيشوا عيشةً أيسر بجوار طاغية أو صنم.. يصفهم أحد الصحابة فيقول: (أهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال)[2].

ويقول أحد الذين شاهدوهم: (كان أصحاب الصفة الفقراء)[3] لا يملكون شيئاً.. غرباء لا يعرفون أحداً. هذا هو أحد الفقراء.. أحد الذين عاشوا تلك المعاناة، ودلفوا إلى تلك الصفة الجميلة.. غريب اسمه (طلحة بن عمرو) رضي الله عنه يقول: (كان

---

(١) لا أعرف تحديداً صحيحاً لموقع الصفة وإلا لذكرته وذكرت إسناده.

(٢) متفق عليه.. انظر البخاري (٦٤٥٢) وهو حديث طويل وما ذكرته جزء منه.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٤٠).

Twitter: @ketab_n

الرجل إذا قدم على النبي ﷺ وكان له بالمدينة عريف نزل عليه، وإذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصفة. وكنت فيمن نزل الصفة)[1].

لكن ماذا عن شعور رسول الله ﷺ نحو هؤلاء الضعفاء بعد أن بنى لهم تلك الصفة؟ هل تخلى عنهم؟

يواصل طلحة حديثه فيقول: (وكنت فيمن نزل الصفة، فوافقت رجلاً، وكان يجري علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مد من تمر بين رجلين)[2] لأن رسول الله ﷺ لا يجد لهم أكثر من مدٍ للاثنين معاً.. نصف مدٍ يملأ الكف الواحدة.. هو طعام الرجل الواحد من أهل الصفة.. من الليل إلى الليل.. ليومه وليلته، وقد يأكل الرجل منهم، وقد يأكلون جميعاً بينما رسول الله ﷺ لا يجد ما يأكله، وقد لا يجدون ولا يجد رسول الله ﷺ ما يأكله.

يقول أحد الصحابة: (أهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال. إذا أتته ﷺ صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها)[3].

إذاً فنصف المد لم يكن متوفراً يومياً، بل ربما مر يوم أو يومان والانتظار يحرق أهل الصفة.. ينظر بعضهم إلى بعض، وينظرون إلى باب الصفة.. إلى باب المسجد.. إلى باب رسول الله ﷺ يبحثون عن لقمة.. عن نصف لقمة.. عن أي شيء يسد جوعهم، فلا يجدون سوى الجوع طعاماً وشراباً، ويخرج رسول الله ﷺ من بيته، فتتعلق أعينهم به، ويحدقون بيديه فيجدونها خالية كبطونهم. فيدركون أنه ما من طعام.

يقول أحدهم: (الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع)[4] مثل هذا الجائع.. كيف سيصلي وقد حان وقت الصلاة؟!

---

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٣-٢٨٧ وأبو نعيم ١-٣٣٩ واللفظ له من طريق: داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن طلحة بن عمرو. داود ثقة متقن وشيخه تابعي ثقة قيل اسمه محجن أو عطاء التقريب ٢٠٠ و٦٣٢وطلحة صحابي رضي الله عنه.

(٢) إسناده صحيح. رواه أحمد (٣/٢٨٧) وهو الحديث السابق.

(٣) متفق عليه قال أبو نعيم (١/٣٣٩).

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري (٦٤٥٢).

Twitter: @ketab_n

ها هو ﷺ يدخل المسجد فتقام الصلاة، ويقوم أهل الصفة خلف رسول الله ﷺ للصلاة، وبعضهم يترنح من الهزال والجوع، فيصطفون بين إخوانهم المصلين، ويكبر ﷺ، فيكبرون. وفي لحظات الخشوع الهادئة مع الله.. يسمع المصلون دوياً وارتطاماً بين الصفوف، ويسمع رسول الله ﷺ خلفه حركةً وأنيناً، وتخفق القلوب القريبة من الحدث، ويتألم الجميع بعد انقضاء الصلاة، وينهض عليه السلام بنفسه، فمالذي حدث؟

هذا هو فضالة بن عبيد الأنصاري.. أحد الصحابة.. كان يصلي خلف رسول الله ﷺ.. سألناه:

ماذا حدث يا فضالة

فيجيب فضالة وهو عالم من الشعور والألم فيقول: (كان رسول الله ﷺ إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم لما بهم من الخصاصية[1] وهم أصحاب الصفة، حتى يقول الأعراب: إن هؤلاء مجانين. فإذا قضى رسول الله ﷺ صلاته انصرف إليهم فيقول: لو تعلمون ما لكم عند الله، لأحببتم أنكم تزدادون حاجة وفاقة[2].

قال فضالة: فأنا مع رسول الله ﷺ يومئذٍ)[3] حيث كان يواسيهم، ويدفع عنهم ما يؤلمهم بشيء يهون معه الجوع، وتحلو معه المعاناة.. يعزيهم بشيء يحول الموت وما بعده إلى أمنية وحلم لا حدود له. ومع هذا العزاء وهذه المواساة كان ﷺ يتألم لتألمهم، ويتألم مثل ألمهم.

تقول حبيبته عائشة رضي الله عنها: (كان ﷺ إذا دخل قال: هل عندكم طعام؟ فإذا قيل: لا. قال: إني صائم)[4].

---

(١) الجوع.

(٢) الفقر والحاجة.

(٣) سنده صحيح. رواه أبو نعيم في الحلية (١٧/٢) من طريق حيوة وابن وهب عن ابن هانئ أن أبا علي الجنبي حدثه أنه سمع فضالة بن عبيد. أبو هانئ: حميد بن هانئ الخولاني ثقة التهذيب ٣-٥١) وشيخه عمرو بن مالك الهمداني تابعي ثقة أيضاً التهذيب ٨-٩٥.

(٤) صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع الصغير ١-٨٦٠.

Twitter: @ketab_n

لقد تحول الجوع إلى عبادة، وتحول الأكل عبادة..

قال ﷺ مبشراً إخوانه الموسرين: (الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر)[1].

ويقول ﷺ مندهشاً ومبشراً: (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)[2] (عجبت للمؤمن إن الله تعالى لم يقض له قضاءً إلا كان خيراً له)[3].

يقول ﷺ ذلك، وهو يتمنى لو يدفع عنهم هذا الفقر وهذا الهزال، لكنه لا يجد، فقد كانت تمر به أوقات لا يملك فيها سوى المواساة.. يستمع إلى الشكوى تلو الشكوى، في أجواء من الحرية والفاقة. ها هو (طلحة بن عمرو) أحد أهل الصفة.. يروي لنا حواراً جرى بعد إحدى الصلوات بين رسول الله ﷺ وبين أحد الفقراء، فيقول: (كان يجري علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مدٍ من تمر بين رجلين، فسلم ﷺ ذات يوم من الصلاة، فناداه رجلٌ منا فقال: يا رسول الله، قد أحرق التمر بطوننا، وتخرقت عنا الخنف.

فمال رسول الله ﷺ إلى منبره فصعده، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ما لقي هو وأبو بكر الصديق عليه السلام من قومهما، فقال: مكثت أنا وصاحبي بضعة عشر ليلة ما لنا طعام إلا البرير، فقدمنا على إخواننا من الأنصار وعظم طعامهم التمر، فواسونا فيه. فوالله لو أجد لكم الخبز واللحم لأطعمتكم، ولكن تدركون زماناً - أو من أدركهم منكم - تلبسون فيه مثل أستار الكعبة، ويغدى[4] عليكم ويراح[5] بالجفان)[6].

---

(١) صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع الصغير ١-٧٣١.

(٢) صحيح مسلم ٤-٢٢٩٥ .

(٣) صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢-٨٣٨.

(٤) يقدم لكم في الصباح.

(٥) يقدم لكم في المساء.

(٦) سنده صحيح. رواه أبو نعيم (٣٧٤/١) من طريقين: عن داود بن أبي هند، عن أبي حرب ابن أبي الأسود الدؤلي عن طلحة بن عمرو ورواه أحمد من الطريق نفسه وقد مر معنا.

Twitter: @ketab_n

فرح أهل الصفة بهذا الوعد الصادق، وتأثروا لما تعرض له رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق من أذى ومعاناة، حيث يمر معظم الشهر ليس عندهما ما يأكلانه سوى ثمر الأراك، فما تعرض له أهل الصفة شديد، ولكن ما تعرض له رسول الله ﷺ وصاحبه كان أقسى وأشد.

ينصرف أهل الصفة إلى صفتهم، وقد طواهم الجوع والرضى والاحتساب، وانتظار الفرج. ولم يكن ﷺ يواسيهم بالماضي أو بالمستقبل فقط، بل كان إذا اشتدت حاجتهم يتحرك، ويحرك المدينة كلها من حولهم.

يقول أحد أبناء أبي بكر الصديق: (إن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وإن رسول الله ﷺ قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس »، وأن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة)[1].

مأساة هم أهل الصفة وارتحال وقصص باكية.. تنصت لها الأجيال بإجلال، فهذا أحدهم: (قرة بن إياس) يقص لابنه ما جرى لهم مع رسول الله ﷺ، وكان اسم ابنه معاوية. معاوية ينصت لأبيه وهو يقول: (لقد عمرنا مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا الأسودان. ثم هل تدري ما الأسودان؟ قال معاوية: لا. قال: التمر والماء)[2] هذا هو الطعام وهذا هو الشراب فما هي:

ملابسكم يا أهل الصفة

لو شاهدتهم لبكيت، ولاستحيوا منك وأنت تنظر إليهم، وتنظر إلى تلك الأشياء التي ألقوها على أجسادهم.. يسمونها ملابس! وما هي بملابس. إنها أسمال مهلهلة بالية.. باكية.

---

(١) متفق عليه قاله أبو نعيم ورواه في الحلية (٣٣٨/١).

(٢) سنده صحيح. رواه أبو نعيم في الحلية ٢-٢٢-٣٣ من طريق روح بن عبادة. ورواه جعفر بن سليمان، قالا: حدثنا بسطام بن مسلم عن معاوية بن مرة قال: قال أبي. وروح وجعفر ثقتان، وشيخهما ثقة من رجال التقريب، وشيخه تابعي ثقة التقريب ٥٣٨.

Twitter: @ketab_n

لو استمعت إليهم وهم يستغيثون: (يا رسول الله قد أحرق التمر بطوننا، وتخرقت عنا الخنف)[1] الكتانية الغليظة الرديئة.

من يصدق أنه (كان من أهل الصفة سبعون رجلاً ليس لواحدٍ منهم رداء)[2]. والرداء كالعباءة.

لقد كان ذلك.. رآهم رسول الله ﷺ، ورآهم أحد الصحابة، فنقل للجميع ما رآه وقال: (رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب، فمنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من هو أسفل من ذلك، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته)[3] فهو لا يملك غيره، ولا يملك ثمن سراويل أو ملابس داخلية تستر عورته.

وفي تفصيل آخر يقول: (رأيت سبعين من أصحاب الصفة، ما منهم رجل عليه رداء: إما إزار، وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته)[4].

إن من يطلع على تلك المآسي التي تلوَّى منها أولئك الفقراء العظماء، ليظن أنهم مجرد فقراء مساكين.. جاءوا يبحثون عن الطعام والشراب والمأوى، وهم - والله - ما قدموا من أجل لقمة أو رغيف، ولم يتسللوا من أجل صُفة متواضعة.. إذا ضربها المطر ساعة أمطرت عليهم ساعات، وابتلت ثيابهم وجنوبهم وظهورهم، والأرض التي يتوسدونها. إن هؤلاء العظماء قد فروا من العيش الرغيد، وتركوا الأهل والأموال والعشيرة، وربما الخدم.. تركوا الدنيا بكل زخارفها، لأنها كانت تركن إلى صنم.. لأنها كانت تلوذ بغير الله. قرأوا القرآن فاكتشفوا التوحيد، فأعاد خلق تصوراتهم وأفكارهم ورؤيتهم للكون والحياة من جديد، فاتجهوا بكليتهم.. بعواطفهم ومهجهم وعقولهم إلى

---

(١) مر معنا وهو صحيح.

(٢) سنده قوي. رواه أبو نعيم. الحلية ١-٣٣٩ حدثنا محمد بن محمد بن إسحاق حدثنا زكريا الساجي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عمي عبد الله بن وهب، عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة. وشيخ أبي نعيم هو أبو أحمد الحاكم حافظ عصره (طبقات الحفاظ ٣٣٨) وشيخه ابن يحيى ثقة فقيه من رجال التقريب وأحمد صدوق من رجال مسلم، وعمه ثقة معروف، وابن غزوان ثقة التهذيب ٨-٢٩٧ وأبو حازم الأشجعي تابعي ثقة التقريب ٢٤٦.

(٣) رواه أبو نعيم (٣٤١/١) من طريق الإمام أحمد بسند قوي وانظر ما بعده فهو هو...

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٤٢).

Twitter: @ketab_n

الله سبحانه وتعالى، وتسللوا والناس نيام إلى صفةٍ لا تقي من البرد، ولا من الجوع. لكنها بالتأكيد صفة تستدفئ بمسجد رسول الله ﷺ، وبقرب رسول الله ﷺ.. يعمرها القرآن، ويزينها الإيمان.

تمر بها عائشة رضي الله عنها ذات ليلة وهي في طريقها إلى بيتها، فتقف خلف جدارها مأسورةً مأخوذةً. فتبطئ الخطا، وتبطئ على زوجها رسول الله ﷺ. ثم تعود، وعندما تصل يسألها رسول الله ﷺ: (أين كنت.؟ قلت: يا رسول الله سمعت قراءة رجل في المسجد، ما سمعت مثله قط.

فقام رسول الله ﷺ وتبعته. فقال لي: ما تدرين من هذا؟

قلت: لا. قال: هذا سالم مولى أبي حذيفة.

ثم قال: الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا)[1].

سالم هذا عبد فقير صغير السن.. لكن النبي ﷺ يفخر به.. يبتهج به، ويشكر الله سبحانه أن وهب هذه الأمة مثله.

إن أمة تفخر بالموالي والعبيد كما تفخر بالأشراف، لأمة عظيمة. وإن ديناً يتساوى فيه البشر، ليستحق الخلافة في الأرض.. كل الأرض، ويستحق أن تتقطع الأعناق في الصحاري والقفار بحثاً عنه.

في يوم من الأيام يقرر أحد المؤمنين أن يترك أهله وديارة.. يقرر أن يلتحق بتلك الصفة المتواضعة خوفاً على دينه. أيام تمر وليالي تمضي، وهو يسير مع غلامه في طريق الهجرة، وذات يوم وعندما خيَّم الليل.. يقرر ذلك الغلام الفرار والهرب من سيده، فيفعل، ويتركه وحيداً مع الليل الخوف، فيواصل سيده المسير دون تردد، وتلك الليلة المشحونة بالهموم والوحدة والإرهاق تملأ صدره.. فيتنهد شعراً ويقول:

---

(١) سنده صحيح. رواه ابن المبارك وأبو نعيم في الحلية (٣٧١/١) من طريق: حنظلة بن أبي سفيان عن عبد الرحمن بن سابط عن عائشة رضي الله عنها ح. حنظلة شيخ ابن المبارك وشيخ الوليد عند أبي نعيم ثقة حجة (التهذيب ٦٠/٣) والتقريب (٢٠٦/١) وشيخه عبد الرحمن بن سابط تابعي ثقة (التقريب (٤٨٠/١) والتهذيب (١٨٠/٦).

Twitter: @ketab_n

يـا ليلـة مـن طولهـا وعنائهـا علـى أنهـا مـن دارة الكفـر نجَّت

مسـافر بلا رفيق، وليل طويل مخيف، وطريق غير آمنة. كل ذلك يهون، لأنه يؤدي إلى المدينة.. إلى الحبيب محمد عليه السلام.

سكن ذلك المسافر في الصفة، وتخرج منها ليكون أعظم علماء الإسلام في الحديث.. تخـرج هو وغيره من تلك الصفة علماء، لأنها لم تكن ملجأ فقط. لقد تحولت إلى كتاب مفتوح منذ ذلك اليوم الذي خرج فيه ﷺ على أهل الصفة فنثر الكنوز بين أيديهم.

عقبة بن عامر كان أحد الحاضرين. سألناه ماذا قال لكم رسول الله ﷺ يا عقبة؟ فقال: (خرج رسـول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين، في غير إثم ولا قطيعة رحم؟».

فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال ﷺ: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل، خير له من ناقتين، و ثلاث خير له من ثلاث، وأربع خيـر له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»)[1] الإبل التي هي أنفس ما يملكه العربي.. حولها الإسلام إلى أشياء رخيصة أمام أحرف العلم.

وحدث رسول الله ﷺ أصحابه ذات يوم عن العلم والمال، فأمرهم أن يحفظوا هذا الحديث فقال: (وأحدثكم حديثاً فاحفظوه إنما الدنيا لأربعة نفرٍ:

«عبـدٍ رزقه الله مالاً وعلمـاً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل.

وعبدٍ رزقه الله تعالى علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية» يقول: «لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء.

وعبـدٍ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، و لا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقاً. فهذا بأخبث المنازل.

---

(١) حديث صحيح. رواه الإمام مسلم، صلاة المسافرين.

Twitter: @ketab_n

.. وعبـدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهـو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان. فهو بنيته، فوزرهما سواء»)[1].

حتى النوايا والأمنيات حولها الإسـلام إلى كنوز، لتتحول حياة المسـلم إلى أحلام وآفـاق تهون نحوها المعاناة. لذا فقـد انطلق أهل الصفة نحو العلـم، وانطلق أغنياء الصحابـة نحو العلم، ونحو أهل الصفة وغيرهم من الفقراء، وانطلق الأنصار، وتفجر كرمهم من جديد، وفاح عبيرهم، وتوهجت شمسهم نحو أهل الصفة والفقراء.

هاهم يقومون بأعمال أشـبه بالمعجزات.. أشـبه بالخيال، لأنهم الأنصار، ولأنهم ينجزونها كلها في اليوم والليلة، وفي كل يوم وليلة.

يحدثنـا عنهم أنس بن مالك فيقول: إنهم رجال (مـن الأنصار يقال لهم «القراء» فيهم خالي «حرام» يقرأون القرآن ويتدارسـون بالليل، يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء، فيضعونه في المسـجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشـترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء)[2].

ألم أقل إنه عمل أشـبه بالمعجزات. قبل شـروق الشـمس ينهضون.. يصلون، ثم يستسقون لأهل المدينة.. يضعون لهم الماء في المسجد مسبلاً للعطشان، وابن السبيل، ولمن يمر أو يقيم في المسـجد. ثم يتوجهون كالحياة إلى خارج المدينة.. تهوي فؤوسهم وسواعدهم.. يحتطبون، ويكدحون، ثم يذهبون به إلى بيوتهم؟

لا، بل إلى السوق حيث يمارسون البيع والشراء.. يبيعون الحطب، ويشترون بثمنه طعاماً لأهل الصفة وللفقراء الآخرين.

هذا هو نهارهم سقاية.. وكدح، وبيع وشراء، ثم صدقة طيبة يدخلون بها البسمة إلى قلوب إخوانهم المساكين. فإذا جن الليل عليهم توجهوا إلى مدرسة الإسلام، ومنبع ثقافته.. إلى المسجد.. يقرأون القرآن، ويتدارسون العلم ويصلون.

لا تدري أهم علماء، أم عمال، أم عباد، أم تجار؟

---

(١) حديث صحيح. صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع وصحيحي الترمذي وابن ماجه.
(٢) حديث صحيح. رواه الإمام مسلم، الإمارة، ٣ - ١٥١١.

Twitter: @ketab_n

إنهم الحياة إذا رسمها القرآن، ونفثت فيها السنة.. إنهم العطاء بكل أبعاده وأعماقه وآفاقه.. إنهم الأنصار، ولا تعرف الدنيا للأنصار مثيلاً. أما رسول الله ﷺ فقد انطلق من جديد.. يكشف الشعور بالمساكين والفقراء. انطلق رسول الله ﷺ نحو الجميع بوحي جميلٍ وجديد.. وحي يجعل من الإحساس بالفقر والفقراء عبادةً جديدةً.

الإسلام من جديد يقدم للفقراء الهدايا والهبات والمشاعر، فبعد أن مر شهر رجب من السنة الثانية، وحل بعده شهر شعبان أصبح المؤمنون ينتظرون هذا الجديد الجميل، الذي سيطل مع إطلالة هلال شهر رمضان القادم. فرمضان هذه السنة سيختلف عن أي رمضان مضى. لقد أمر الله سبحانه بـ:

صيام شهر رمضان

وأنزل على نبيه ﷺ آيات بينات يقول فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾[1].

إذاً فالصيام كان مفروضاً على الأنبياء السابقين.. كان مفروضاً على اليهود، وكان مفروضاً على النصارى، لكنهم حرفوا فيه كما حرفوا الكتب التي جاء بها أنبياؤهم، وزادوا ونقصوا كما فعلوا في التوراة والإنجيل. فصار لكل طائفة صيام، وتشكل الصيام وتنوع حسب أمزجة الأحبار والرهبان.

أما الآن فقد جاء محمد ﷺ، وجاء رمضان، وكتب الصيام من جديد. فما هذا الصيام الذي ضيعه أهل الكتاب وأعاده الله طرياً بمحمد ﷺ؟

ما هو الصيام

بدأ الصيام بـ: ترك الطعام والشراب والجماع من بعد صلاة العشاء إلى غروب الشمس، فكان المسلم يأكل ويشرب من بعد الغروب إلى أن يصلي العشاء فقط، فإذا

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٨٣، ١٨٤.

Twitter: @ketab_n

صلى العشـــاء حرم عليه الطعام والشـــراب. كما أن من نام في الليل، ثم اســـتيقظ في الليلة نفسها فلا يحل له أن يأكل أو يشرب شيئاً حتى غروب شمس الغد.

هذا إن كان المســـلم ســـليم الجسم، ولا يشكو من أي مرضٍ، وكان مقيماً في بلدته غير مســـافر. فإن كان مريضاً أو مســـافراً فيجوز له أن يفطر، لكن يجب عليه صيام الأيـــام التـــي أفطرها فيما بعد. وقبل ذلك كله كان بإمكان أي مســـلم ســـليماً كان أو مريضاً.. مقيماً كان أو مســـافراً. كان بإمكان أي مســـلم أن يفطر، ولا يقضي أي يومٍ أفطره، لكن بشرط.

هذا الشـــرط هو أن يقوم المفطر بتقديم وجبة تشبع مســـكيناً واحداً عن كل يوم أفطره. لكن هذه الأحكام لم تدم. لقد تغيرت ونسخت، وجاءت بعدها:

أحكام جديدة في الصيام

وكان لهذه الأحكام الجديدة أســـباب وقصص.. بعضها طريف، وبعضها يتلوى من الجوع. لكن الصيام لم يتغير. ما زال: ترك الطعام والشراب و... فما هذه القصص؟

البراء بن عازب رضي الله عنه يقص علينا إحداها، ويحدثنا عن أهل بيت صاموا وصـــام معهم بيتهم، الذي كان خالياً كبطون أهله. ذلك البيت الذي لم يكن فيه ما يبل الريق، أو يسد الجوع. إنه باختصار صفة أخرى..

يقول البراء: (إن أحدهم كان إذا نام قبل أن يتعشى لم يحل له أن يأكل شيئاً، ولا يشرب ليلته ويومه من الغد حتى تغرب الشمس، حتى نزلت: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

ونزلـــت في أبي قيس بن عمرو، أتى أهله وهـــو صائم بعد المغرب، فقال: هل من شيء؟ فقالت امرأته: ما عندنا شيء، ولكن أخرج ألتمس لك عشاء.

فخرجت ووضع رأسه فنام، فرجعت إليه فوجدته نائماً، وأيقظته فلم يطعم شيئاً، وبات وأصبح صائماً حتى انتصف النهار، ففشـــي عليه، وذلك قبل أن تنزل هذه الآية فأنزل اللـــه فيـــه)[1]. ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾.

(١) صحيح النسائي ٢-٤٦٧ للإمام الألباني وهو في للبخاري (١٩١٥) بلفظ آخر.

Twitter: @ketab_n

فقـط ولم ينزل الله كلمـة: (من الفجر) بعد قوله تعالـى: ﴿مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾. في بداية الأمر مما جعل بعض الصحابة يخطئ في معنى الخيط الأبيض والخيط الأسود فكانـت هذه القصة الطريفة التي رواها صحابي اسـمه سـهل بن سـعد رضي الله عنـه فقال: (أنزلـت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾. ولـم ينزل: (من الفجر)، وكان رجـال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسـود، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: (من الفجر) فعلموا أنما يعني الليل والنهار)[1].

أما القصة الأخرى فهي تتحدث عن قِصر وقت الفطر، وأنه مرهون بأداء صلاة العشاء.

يقـول أحد الصحابة رضي الله عنهم وهو يتحدث عن قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: فكان الناس على عهد النبي ﷺ إذا صلوا العتمة[2] حرم عليهم الطعام والشراب والنساء، وصاموا إلى القابلة، فاختان رجل نفسه فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر، فأراد الله أن يجعل ذلك يسـراً لمن بقي ورخصة ومنفعة، فقال سبحانه: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾. وكان هذا مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر)[3] فجعل الفطر مباحاً حتى طلوع الفجر، فيصوم المسلم حتى يغيب قرص الشمس حيث قال ﷺ لأصحابـه: «إذا أقبـل الليل من ها هنا، وأدبر النهار من ها هنا، وغربت الشـمس فقد أفطر الصائم»[4].

أما عن الصوم الاختياري في أول الأمر، فقد تغير أيضاً وألغي كما قال االصحابي سـلمة بن الأكوع رضي الله عنه: (لما نزلت هذه الآية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ كان مـن أراد منا أن يفطر ويفتـدي فعل، حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فنسختها)[5].

---

(١) حديث صحيح. رواه الإمام البخاري (٤٥١١).
(٢) العشاء.
(٣) حديث صحيح. صححه الإمام الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٤٠).
(٤) حديث صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير (١/١٢٧).
(٥) حديث صحيح. رواه البخاري وأبو داود واللفظ له (صحيح أبي داود ٢/٤٤١).

Twitter: @ketab_n

فما هي الآية التي بعدها والتي نسختها وغيرت كل الأحكام السابقة التي مرت معنا؟ هذه الآية هي في قوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[1]..

هذا هو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، والذي قال فيه ﷺ: (أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان)[2].

شهر الكتب المنزلة التي ضاع بعضها، وحرف بعضها، ولم يبق منها سوى القرآن شاهداً لها.. شاهداً على أممها، التي ضيعتها وحرفتها، ورغم الصوم.. رغم الجوع والعطش، لم يتحول هذا الشهر إلى شهرٍ للخمول، ولم تتحول المدينة فيه إلى جدران يغط تحتها الصائمون، ويستندون كالكسل إليها وأعينهم إلى الشمس ينتظرون غروبها. فالمدينة تعج بالحركة نهاراً، وبالقيام والتهجد ليلاً. بيوت المؤمنين في ليالي رمضان تشتعل بنور القرآن.. بالسجود والركوع والدموع.

---

(١) سورة البقرة: الآيات ١٨٥-١٨٧.

(٢) حديث صحيح. صحيح الجامع (٣١٣/١).

Twitter: @ketab_n

في تلك الليالي كانت إحدى الحجرات وجعاً وأنيناً.. أنين قادم من الحبشة.. قادم من المعاناة، وما كادت تستقر به الأقدام بين حرات المدينة حتى كان موعده المحتوم مع المرض والآلام.

فلذة كبد رسول الله ﷺ وقرة عينه هي تلك الأنين.. رقية بنت محمد ﷺ أقعدها المرض، وأسهر زوجها عثمان بن عفان، وآله.

رقية مريضة

هاجرت من مكة.. خاضت البحر فألقاها في الحبشة، وخاضته مرةً ثانية، فتهادى بهـا حتى وضعها بين يـدي والدها العطوف الحنون. ومـا كادت تتنفس هواء الحرية والأمن، حتى أطاح بها المرض، فهي طريحة الفراش والوجع في ذلك الشهر الكريم.

رسـول الله ﷺ يزورها ويطمئن عليها، ويوصـي زوجها الحزين بملازمتها. رقية بضعة من رسول الله ﷺ، والأمة أمانة، والرسالة أمانة. هموم تتداعى إلى قلبه ﷺ.. تتكتل أمام عينيه، ولا بد لها من حلول. رقية مريضة، وأهل الصفة جائعون، والمهاجرون قد سُـلبوا أموالهم وبيوتهم لينجوا بأنفسهم وإيمانهم من سياط الشرك وأهله، وهناك فرصة تلوح في الأفق لاسترجاع شيء مما سلبه الطواغيت منهم.

ترى هل يبقى ﷺ قرب ابنته الحبيبة؟ أم سـيركب إلى تلك الفرصة؟ هكذا كانت ليالي رمضان الأولى في المدينة، لكن كيف كانت ليالي رمضان في مكة. سـندع رسول الله ﷺ حتى يقرر ولنتسلل إلى مكة لنرى:

كيف كان ليل رمضان في مكة

إذا كانت أنسام الليل تحمل أنين رقية ودموعها، فإن أنسام مكة تحترق بزفرات نساء ورجال مسـتضعفين.. يمنعهم الضعف من البـوح بتوحيدهم ودينهم، وحبهم لنبيهم ﷺ. أسرارهم كالجمر في صدورهم.. يرعبهم ليل مكة، ويؤرقهم العيش بين الأصنام والشرك والمشركين الذي كان ليلهم خليطاً من الخمر والغطيط.

Twitter: @ketab_n

أنسام مكة تحترق بزفرات أخت رقية المريضة.. أختها الكبرى زينب، التي تتحرق شوقاً إلى أبيها.. إلى أخواتها الحبيبات.. رقية وأم كلثوم وفاطمة. إنها لا تعلم شيئاً عنهم، ولا تدري هل ستلتقي بهم يوماً من الأيام أم لا؟ ونبي الله ﷺ يشتاق إليها ويحبها ويثني عليها، ويتمنى قربها وقدومها.

إنها أكبر بناته، وقد عانت وعانت الكثير في سبيل الله. إنها ابنة نبي، لكنها زوجة رجل لا يزال على شركه.. رجل صادق ووفي اسمه: أبو العاص بن الربيع، وهو شغوف بها ويحبها، لكن شركه يخنق ليلها وأنفاسها. فتاة مستضعفة مبتلاة، وهموم تزدحم في صدر والدها عليها وعلى أختها، وعلى كل مستضعف ومستضعفة. هذا هو ليل زينب الحزينة. وهذا هو ليل مكة المخيف الذي كان يحمل الفزع إلى إحدى البيوت.. إلى إحدى النساء التي كانت غارقة في نومها، حتى انتشلها الفزع، وانتشلها فارس الأحلام.

فارس الأحلام أتاها، لا ليحملها بين ذراعيه، بل ليدك بيوت قومها. فارس الأحلام هذا مخيف ومرعب.. يقفز في الهواء.. فوق الكعبة والجبال.. يحرك الصخور.. يصيح بأهلها.. صوته مخيف.. يتوعد بالموت والشظايا.

تلك المرأة المفزوعة لم تكن بعيدة من زينب بنت نبي الله ﷺ.. بل من أقرب الناس إليها، وتعيش بالقرب منها. امرأة من صلب قريش.. إنها ابنة عبد المطلب، وعمة رسول الله ﷺ واسمها: (عاتكة). فهل يا ترى ستكون رؤياها كرؤيا والدها، الذي غاص في الأعماق وحفر زمزم؟ أم أن فارس القمم الذي رأته في منامها سيدمدم ما تبقى لقريشٍ من آبار تتضح بالشرك؟

تلك الرؤيا حولت مكة إلى غبار وضجيج، ونزاع وتشاتم. سنخيم على بيت عاتكة لننظر ما يحدث في منامها:

رؤيا

عاتكة بنت عبد المطلب

(كانت عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ساكنة مع أخيها العباس بن عبد المطلب، فرأت رؤيا قبيل بدر ففزعت، فأرسلت إلى أخيها عباس من ليلتها حين

Twitter: @ketab_n

فزعت، واستيقظت من نومها وقالت: رأيت رؤيا وقد خشيت منها على قومك الهلكة؟ قال: وما رأيت؟ قالت: لن أحدثك حتى تعاهدني أن لا تذكرها، فإنهم إن سمعوها آذونا، فأسمعونا ما لا نحب.

فعاهدها عباس، فقالت: رأيت راكباً أقبل على راحلته من أعلى مكة يصيح بأعلى صوته: يا آل غدر، ويا آل فجر، اخرجوا [لمصارعكم] في ليلتين أو ثلاث.

ثم دخل المسجد على راحلته، فصرخ في المسجد ثلاث صرخات، ومال إليه من الرجال والنساء والصبيان، وفزع الناس له أشد الفزع، ثم أراه مَثُلَ على ظهر الكعبة على راحلته[1]، فصاح ثلاث صرخات: يا آل غدر، ويا آل فجر، اخرجوا [لمصارعكم] في ليلتين أو ثلاث. حتى أسمعَ من بين الأخشبين[2] من أهل مكة.

[ثم إن بعيره مَثُلَ به على رأس أبي قبيس[3] فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث].

ثم عمد لصخرة عظيمة فنزعها من أصلها، ثم أرسلها على أهل مكة، فأقبلت الصخرة لها دوي، حتى إذا كانت عند أصل الجبل أرفضت[4]، فلا أعلم بمكة بيتاً ولا داراً إلا قد دخلها فلقة من تلك الصخرة. فقد خشيت على قومك أن ينزل بهم شر.

ففزع منها عباس وخرج من عندها، فلقي من آخر ليلته الوليد بن عتبة بن ربيعة - وكان خليلاً للعباس- فقص عليه رؤيا عاتكة، وأمره أن لا يذكرها لأحد.

فذكرها الوليد لأبيه، وذكرها عتبة لأخيه شيبة، وارتفع حديثها حتى بلغ أبا جهل ابن هشام، واستفاضت. فلما أصبحوا غدا عباس يطوف بالبيت حين أصبح، فوجد أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وأبا البختري في نفر يتحدثون. فلما نظروا إلى العباس يطوف بالبيت ناداه أبو جهل: يا أبا الفضل إذا قضيت طوافك فآتنا.

---

(١) قفز بعيره الذي يركبه على ظهر الكعبة.
(٢) جبلان يحيطان بمكة. أى سمعه الناس الذين يسكنون بين هذين الجبلين.
(٣) اسم جبل. أى قفز به بعيره على رأس ذلك الجبل.
(٤) تفرقت: أي تطايرت متحولة إلى حجارة صغيرة وشظايا عند أسفل الجبل.

Twitter: @ketab_n

فلمـــا قضـــى طوافه أتى فجلـــس، فقال أبو جهـــل: يا أبا الفضل، مـــا رؤيا رأتها عاتكة؟

قال: ما رأت من شـــيء. قال: بلى. أما رضيتم يا بني هاشـــم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النســـاء، إنا كنا وأنتم كفرسي رهان[1]، فاستبقنا المجد منذ حين، فلما تحـــاذت الركب قلتم: منا نبي[2]. فما بقي إلا تقولوا: منا نبية!! لا أعلم في قريش أهل بيت أكذب رجلاً، ولا أكذب امرأة منكم.

فآذوه يومئذٍ أشـــد الأذى، وقال أبو جهل: زعمـــت عاتكة أن الراكب قال: اخرجوا في ليلتين أو ثلاث، فلو قد مضت هذه الثلاث تبينت لقريش كذبكم، وكتبنا ســـجلاً ثم علقنا بالكعبة: أنكم أكذب بيت في العرب رجلاً وامرأة)[3].

يقـــول العباس: [فوالله مـــا كان إليه مني من كبير إلا أني أنكرت ما قالت، فقلت: ما رأت شيئاً ولا سمعت بهذا.

فلما أمســـيت لم تبق امرأة مـــن بني عبد المطلب إلا أتتنـــي فقلن: أصبرتم لهذا الفاســـق[4] الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم تناول النســـاء وأنت تسمع، فلم يكن عندك في ذلك غيرة؟!!

فقلـــت: قد والله صدقتن وما كان عندي في ذلك من غيرة، إلا أني قد أنكرت ما قال، فإن عاد[5] لأكفينه.

فقعدت في اليوم الثالث أتعرضه ليقول شـــيئاً فأشـــاتمه، فوالله إني لمقبل نحوه، وكان رجلاً حديد الوجه، حديد النظر، حديد اللسان، إذ ولى نحو باب المسجد يشتد. فقلت - في نفســـي-: اللهم العنه كلَّ هذا فرقاً[6] أن أشـــاتمه، وإذا هو قد سمع ما لم

---

(١) أي كالمتسابقين إلى هدف.

(٢) يقول هذا الطاغوت: إنكم يا بني هاشم ادعيتم النبوة كذباً عندما تساوينا وإياكم في الشرف والمجد حتى تتغلبوا علينا.

(٣) انظر تخريجه في نهاية القصة.

(٤) المقصود هو أبو جهل.

(٥) المقصود هو أبو جهل.

(٦) خوفاً.

Twitter: @ketab_n

أســمع: صوت ضمضم بن عمرو، وهو واقف على بعيره بالأبطح، قد حول رحله، وشق قميصــه، وجدع بعيره[1] يقول: يا معشــر قريش، اللطيمة، اللطيمــة. أموالكم مع أبي ســفيان، وتجارتكم قد عرض لها محمد وأصحابه، فالغوث، الغوث. فشغله ذلك عني وشغلني عنه، فلم يكن إلا الجهاز حتى خرجنا][2].

لقد ثارت قريش وهاج الكفر كله، فما الذي أصاب القوم حتى صاروا كالمجانين؟

هــل تحققت رؤيا عاتكة وصدقت، وكذب أبو جهل وطــار عقله، فطار عقل أمية وصوابه؟ ما الذي حدث، وماذا فعل رسول الله ﷺ بأبي سفيان وقافلته هذه؟

لقــد كنا فــي المدينة عند رقية حيث كان بيتها ســاكناً إلا من أنينها.. حيث كانت المدينة ساكنة بالإيمان، فما الذي كان يخطط له رسول الله ﷺ والناس نائمون؟

ســنعود إلى المدينة حيث ترقد رقية. ها هي طريحة الفراش والألم، وها هو عثمان بقربها ينظر إلى حبيبته وردة تذبل يوماً بعد يوم.. تذبل ألماً بعد ألم. لقد عادها أبوها ﷺ قبــل أيــام، ورأى ما بها فأوصى عثمان الحزين بالمكوث عندهــا، ثم ودعهما بعد أن ألقى عليها نظرة الوالد المحب الحاني، وودعته بعينين حزينتين.

كأني بعينيها تغرقان بالدموع.. تتعلقان بهذا الوالد الذي لا يستطيع البقاء عندها، ولا يملك لها سوى الدعاء.

اســتودعها الله وتركها، ومرارة الوداع في حلقها وقلبها، ومرارة الوداع في كلماته لعثمان. وعثمان صابر محتسب.. يفوته الخروج مع حبيبه ﷺ فيصبر، وقد تفوته رقية وترتحل عنه. أي ليلٍ سيخيم على عثمان؟

---

(١) أي قطع أنفه تعبيراً عن هول الكارثة التي حلت بقريش.

(٢) هذا الخبر حسن بطرقه... وهو عند الطبراني (٣٤٦/٢٤): ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير. وهذا مرســل وابن لهيعة فيه ضعف، لكن الرواية ثابتة عن عروة عند ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة، ويزيد ثقة كما رواها ابن إسحاق بسند متصل: حدثني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس، وقد صرح ابن إسحاق باسم شيخه الذي وثقه فقال: حدثنا حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس.. ورغــم أن رواة الســند كلهم من بيت العباس بن عبد المطلب إلا أن حســيناً هــذا ضعيف، وروايته تتقوى بمرسل عروة.. انظر البيهقي ٣-٢٩ وهي عند الطبراني من طريق عبد العزيز بن عمران. حدثنا محمد بــن عبد العزيز بن عمر بن عبــد الرحمن بن عوف عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط عن عاتكة وعبد العزيز قد توبع عند ابن منده لكن شــيخه ضعيف وبقية الرواة ثقات، والقصة حسنة بهذه الطرق.

Twitter: @ketab_n

رسـول الله ﷺ أكثر صبراً واحتسـاباً.. ابنة في مكة لا يستطيع رؤيتها.. حبيسة الشـرك. وابنة حبيسـة المرض، وأصحاب معدمون يتزاحمون في صفة مليئة بالجوع، وقريش تسـرح وتمـرح وتتاجر بأموال أصحابـه، وأمة تحتاج إلى قائـد يحملها إلى المستقبل، وإلى تلك الفرصة من التعويض وانتزاع الحقوق المغتصبة.

قدم ﷺ حاجة أمته على حاجته، ومصلحتها على هموم أسـرته، فخرج، لكن إلى أين..؟ هاهو أنس بن مالك يسـير مع رسول الله ﷺ سنعرف منه ما حدث. إنه يتكلم فلننصت إليه:

الخروج وأسبابه

يقول أنس رضي الله عنه: (بعث رسـول الله ﷺ (بسيسـة) عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان. فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ [1])[2].

ذهب الصحابي المدعو «بسيسـة» فـي مهمة حددها ﷺ، وهي تحسـس أخبار القافلة القرشـية القادمة من الشام نحو مكة، والتي يقودها أبو سفيان بن حرب، وتم رصد وتحديد طريق سـيرها ومكانها. أتم بسيسة مهمته كما هو مطلوب منه، ثم عاد إلى رسـول الله ﷺ (فحدثه الحديث، فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: إن لنا طلبة، فمـن كان ظهـره حاضراً فليركب معنا، فجعل رجال يسـتأذنونه في ظهورهم في علو المدينة؟ قال: لا، إلا من كان ظهره حاضراً)[3].

جاء أبو بكر، وجاء عمر، وجاء علي، أما عثمان فاستبقاه رسول الله ﷺ بالمدينة، وأمـره بالمكوث، وجاء بقية الصحابة مـن المهاجرين والأنصار، وجاء عمر بن الخطاب بابنه الصغير عبد الله فتأمله ﷺ، فوجده طفلاً، فأعاده مكسـور الخاطر بعد أن كان يحلم بخطوات يسيرها في دروب البطولة والشهادة.

وجاء طفل آخر اسمه البراء بن عازب، فأعاده ﷺ أيضاً، فراح فيما بعد يتحدث إلى من حوله عن تلك الرفقة العظيمة، ويصفها بالإيمان ويتمنى لو سـار معها فيقول:

---

(١) قال بعد هذه الكلمة: لا أدري ما استثنى بعض نسائه، أي أن بعضهن كانت عنده ﷺ.

(٢) حديث صحيح. رواه مسلم (كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد).

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم (كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد).

Twitter: @ketab_n

(اســتصغرت أنا وابن عمر يوم بدر، وكنا -أصحاب محمد- نتحدث أن عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر، كعدة أصحاب (طالوت) الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوز معه النهر إلا مؤمن)[1].

وجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومعه فتى صغير اسمه (عمير) إنه أخوه، وهو شــجاع مثله، لكنه كان خائفاً مضطرباً، بل لقد بكى. فكيف يكون شجاعاً، وكيف يرغب في الشهادة وقد انتابه الخوف والبكاء؟!

تلــك قصة عجيبة رويت عن أخيه ســعد حيث يقول: (رأيــت أخي عمير بن أبي وقــاص قبل أن يعرضنا رســول الله ﷺ بدر يتوارى، فقلــت: مالك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رســول الله ﷺ فيســتصغرني، فيردني وأنا أحــب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة.

[فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره، فقال: ارجع.

فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ] فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره)[2].

كأني بســعد يعقد ســيور سيفه لأخيه ويبتسم، فيبتســم عمير لمن حوله وللجنة. قصة مؤثرة تســيل دموعاً وشوقاً للشهادة، وشــاب ملأت الجنة روحه وجوانحه. إنها حال الشــباب في أي زمان ومكان تحل فيهما قيادة إســلامية صافية ومخلصة. لقد اجتــاز عمير بن أبي وقاص آخر العقبات في حياته، وها هو أمام بوابة مشــرعة على الخلود. عمير من ثمار الرسول ﷺ.. عمير وغيره.

انظروا إلى هذين.. إنهما صديقان يكبران عميراً بقليل.. أســدان اسم أحدهما: (معاذ بن عمرو بن الجموح) واســم الآخر (معــاذ بن عفراء) وعلى أحد الأبواب، وفي

---

(١) حديث صحيح. رواه البيهقي (٣٦/٣) وهو عند البخاري بلفظ آخر... انظر البخاري (٣٩٥٥، ٣٩٥٦، ٣٩٥٧، ٣٩٥٨، ٣٩٥٩).

(٢) ما أريده من هذه القصة هو ما بين المعقوفين أما ما كان خارجهما فسنده ضعيف لأنه من طريق الواقدي كما في الإصابة -ترجمة عمير- وعند ابن ســعد (١٤٩/٣) وما بــين المعقوفين عند الحاكم (٤٧/٣) من طريق يعقوب الزهري أخبرنا إسحاق بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن جعفر عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن عامر بن سعد عن أبيه.. وهذا السند صحيح ورجاله ثقات لولا أوهام يعقوب بن محمد الزهري وهو صدوق لكنه لم ينفرد فقد تابعه شــيخ البزار في روايته (كشــف الأســتار ٣٥١/٢) واسمه محمد بن قيس. ولعله تويع أيضاً عند البغوي فقد روى الحديث كما قال الحافظ في الإصابة.

Twitter: @ketab_n

بيت من أبيات المدينة كانت الدموع، وكان الوداع والعناق بين شاب وأمه، ولك أن تتخيل ما تشعر به أم تفارق ابنها.. تودعه وهي لا تدري هل سيعود إليها أم أنها بعثت به إلى الموت، وبعثت بنفسها إلى الحزن والحداد. أم الربيع بنت النضر - عمة أنس بن مالك، وأخت الأسد الهصور: أنس بن النضر- تودع ابنها الذي يرتع في قلبها.. تودع ابنها (الحارث[1] بن سراقة) وداعاً حاراً باكياً، لكنها الجنة فليذهب الحارث إلى الجنة من أي طريق شاء.

فارس آخر.. ربما كان يشتري بعض التمر.. ربما كان قبل قليل بين النخيل يخترف منها، وربما غير ذلك، لكنه كان يضع بعض التمرات في جيبه، ولما سمع النداء هب مسرعاً لنداء الله ورسوله ﷺ.. إنه (عمير بن الحمام)[2].

اجتمع هؤلاء وغيرهم حول نبي الله ﷺ، فكانت المشورة وحرية الرأي قبل الانطلاق.

المشورة قبل الانطلاق

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه. فقال سعد بن عبادة: إيانا يريد رسول الله ﷺ؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد، لفعلنا.

فندب رسول الله ﷺ الناس، فانطلقوا)[3].

ولئن كانت المشورة قبل الانطلاق فقد كان هناك:

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الفتى رضي الله عنه فيما بعد إن شاء الله.

(٢) سيأتي الحديث عن هذا الصحابي رضي الله عنه فيما بعد إن شاء الله.

(٣) سنده صحيح. رواه أحمد (سيرة ابن كثير ٢/٣٩٤) وروى مسلم نحوه.. وسند أحمد صحيح متصل رجاله أئمة ثقات هم.. عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس.

Twitter: @ketab_n

سرية في الانطلاق

تقول عائشة رضي الله عنها: (إن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر)[1].

دون ضوضاء.. دون أجراس وضجيج انطلق ﷺ وصحابته، وسمح ﷺ بالانطلاق معه لمن ليس معه راحلة، وأمر ﷺ بالاشتراك والتناوب بين الاثنين والثلاثة على الراحلة الواحدة. فامتثل الجميع وتحركوا نحو تلك القافلة مسرعين.. يطوون الأرض طياً، وفي طريقهم يرون راكباً يسابق الريح إليهم، فيلحق بهم.

ما الذي حدث؟ هل هو عثمان بن عفان جاء ليخبر رسول الله ﷺ أن ابنته زينب اشتد بها المرض؟ أم هو رجل لم يعلم إلا متأخراً فلحق بهم بعد أن علم بالأمر؟

ليس هذا ولا ذاك.. إنه رجل مشرك، لكن فيه من الشهامة والرجولة الشيء الكثير.. إنه يمتطي راحلته وشهامته، ويتجه بهما نحو رسول الله ﷺ يكلمه، ثم يرد عليه ويسير ﷺ، فيلحق به ثم يكلمه مرة أخرى، فيرده ثم يسير ﷺ ويتركه. فمن هذا الرجل، ولماذا تركه ﷺ في مكان يقال له (حرة الوبرة)؟

تقول عائشة رضي الله عنها: (خرج رسول الله ﷺ قِبل بدر، فلما كان بحرة «الوبرة» أدركه رجل يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: «جئت لأتبعك وأصيب معك».

قال له رسول الله ﷺ: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا.

قال ﷺ: «فارجع فلن أستعين بمشرك».

ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة. فقال له النبي ﷺ كما قال له أول مرة، قال: فارجع فلن أستعين بمشرك.

ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: نعم.

---

(١) سنده صحيح. رواه أحمد (١٥٠/٦) والنسائي وغيرهما (سيرة ابن كثير ٣٨٩/٢):... سعيد بن أبي عروبة وسعيد بن بشر والصواب: سعيد بن بشير عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة وقد خالفهما هشام فرواه عن قتادة عن زرارة عن أبي هريرة ومع احتمال التعدد إلا أن سعيداً رغم كونه مدلساً فإنه أثبت الناس في قتادة وشيوخه ثقات. التقريب (٢٥٩/١) و (٢٨٩/١).

Twitter: @ketab_n

فقال له رسـول الله ﷺ: فانطلق)[1] فانطلق الرجل مع النبي ﷺ وأصحابه مسـلماً، بعد أن دفن الشـرك والأصنام بالبيداء، ورفرف مع شـجاعته ونجدته في أجواء التوحيد الطاهرة الفسيحة، وواصل المسلمون سيرهم نحو القافلة، لكن مشكلة وقعت، وأمراً خطيراً لم يحسب له المسلمون حساباً؟ لقد علمت قريش بخروج رسول الله ﷺ. لكن كيف؟

كيف علمت قريش بخروج رسول الله ﷺ

يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشـام ندب المسلمين وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها.

فانتـدب الناس، فخف بعضهم، وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسـول الله ﷺ يلقى حرباً، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً على أموال الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك. فحذر عن ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه.

فخرج ضمضم بن عمرو سـريعاً إلى مكة)[2] ووصل إليها، فسمعت قريش (صوت ضمضم بـن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي، واقفاً على بعيره، قد جدع بعيره، وحول رحله، وشـق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة.. اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمدٌ في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث.. الغوث)[3].

وتجمعـت قريش حول هذا المشـهد الفاجعة، وصرخـت بوجه ضمضم بن عمرو تسأله عن تفاصيل أكثر، وثارت مكة وارتجت، وتعالى الضجيج، وسلت السيوف، ونسى

---

(١) حديث صحيح. رواه مسلم (١٨١٧).

(٢) رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبري ٦-١٨٢ من طريقين: مرسل صحيح إلى عروة، والثاني عن ابن عباس وابن إسحاق لم يذكر أسماء شيوخه وهم جمع، ويشهد له ما بعده.

(٣) حديث حسن. مر معنا عند الحديث عن رؤيا عاتكة وهو جزء من حديث الرؤيا.

Twitter: @ketab_n

العباس شـــجاره مـــع أبي جهل، واحتقن الطواغيت.. طواغيـــت قريش كلهم.. كلهم إلا واحداً أذهله الخبر، فأصيب بالهلع.

إنه لا يدري ما يفعل، ولا كيف يتصرف؟ إنه يرتجف ويرتجف.. يهرول مسرعاً إلى منزله، وعندما يصل لا يبحث عن ســـلاح، ولا يفتش عن درع ورمح.. إنه خائف جداً، ويكاد يموت من الخوف.

لم يكن ســـبب ذلك الخوف تجارة له مع أبي ســـفيان يخشى أن يفقدها، ولم يكن خائفاً على ســـمعة قريش. الأمر أشـــد وأخطر.. إنه يحس بدنو أجله.. ويرى في كل شـــبر خارج مكة قبراً مشـــرعاً ينتظره. إنه أمية بن خلف، وهو لا يستطيع التفريق بين من يقول: الغوث.. الغوث، أومن يقول: الموت.. الموت..

كأني به وهو يستمع إلى صراخ ضمضم يتذكر صراخ سعد بن معاذ في ذلك اليوم المشـــئوم، عندما كان ســـعد بن معاذ في نزاع مع أبي جهل، بعد أن رفض أبو جهل أن يطوف ســـعد بالكعبة وهو من أنصار محمد ﷺ، وعندما حاول أمية إسكات سعد بن معاذ رضي الله عنه.. بشـــره سعد بنهاية تصطك لها الركب.. بشره سعد بكارثة فقال له: (دعنا منك يا أمية فوالله لقد ســـمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه قاتلك. قال أمية: بمكة؟. قال سعد: لا أدري.

ففزع لذلك أمية فزعاً شـــديداً، فلما رجـــع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تـــري إلى ما قال لي ســـعد..؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعـــم أن محمداً أخبرهم أنه قاتلي، فقلت له: بمكة؟ فقال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة)[1].

واليوم هاهي قريش غاضبة وســـتخرج كلها، ولن يتخلف منها أحد، فهل سيتخلف سيد من ســـاداتها، وما عذره؟ هل سيقول: إني خائف؟ هل سيقول: إن محمداً صادق في قوله ووعده؟ حائر أمية .. حائر.. يلتفت إلى امرأته يحدثها أنه قد (جاء الصريخ. قالت له امرأته: أما علمت ما قال لك أخوك اليثربي؟

قال أمية: فإني لا أخرج)[2].

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٥٠) والبيهقي (٣-٢٧).
(٢) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٣/٢٦).

Twitter: @ketab_n

إذا فقد قرر أمية البقاء في مكة وعدم الخروج، فلتذهب القافلة إلى الجحيم، ففي خروجه سفر إلى الموت على يد محمد وأصحابه. لكن هل سيتركه أبو جهل ينعم بالبقاء؟ لا أظن ذلك، فأبو جهل الآن كالمجنون.. يجول في شوارع مكة، كالثور الهائج يثير الغبار في أزقتها.. يطرق أبوابها. لن يتركه أبو جهل ينعم بالطعام والشراب والرقاد ليواجه الموت نيابة عنه، لقد (استنفر أبو جهل الناس فقال: أدركوا عيركم. فكره أمية أن يخرجه، فأتاه أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك.

فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني فوالله لأشترين أجود بعيرٍ بمكة. ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني. فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً.

فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره فلم يزل بذلك)[1] كلما نزل منزلاً ربط بعيره السريع تأهباً للهرب والفرار.. لم يزل كذلك خائفاً، يرى الموت خلف الصخور وبين الشجر.. يرى الموت يسيل في الوادي.. يراه مقبلاً مع قطع السحاب الصيفية، وفي المساء يرى الظلام عباءة يرتديها الموت، والنجوم عيون تحدق به.

مضوا خلف أبي جهل مصطحبين المغنيات والخمر والموت، حتى وصلوا إلى أرض بين مكة والمدينة يقال إنها كانت (موسماً من مواسم العرب، يجتمع لهم بها سوق كل عام)[2] واسم هذه الأرض:

بدر

وقد قرر أبو جهل ومن معه تحويل أرضها إلى ساحةٍ لاحتفالٍ صاخب، سيجعلون أرض بدر خمراً ونساءً، ورقصاً ومقابر لمحمد وأصحاب محمدٍ، سيجعل أبو جهل من تلك الأرض احتفالاً غير عادي.. احتفالاً لقريش وحدها.. في موعد هو الذي يحدده، وقد وصف الله عز وجل ذلك الخروج وتلك الغطرسة بقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٥٠).
(٢) تفسير الطبري (تفسير سورة الأنفال).

Twitter: @ketab_n

كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾[1].

زحفت الجموع، وزحف معهم أمية، وخيم شبح الموت على كل شبرٍ يسير إليه.. إنه الآن يتوقع خروج رسول الله ﷺ أو بعض صحابته في أية لحظة، ومن أي مكان ليقتلوه.. إنه ليتساءل.. ترى:

أين محمد

أجل أين رسول الله ﷺ؟

لقد (خرج رسول الله ﷺ في أصحابه [حتى بلغ وادياً يقال له: «ذفران» فخرج منه، حتى إذا كان ببعضه نزل] وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار النبي ﷺ الناس، وأخبرهم عن قريش)[2].

لكن كيف علم ﷺ بخروج قريش.. كيف عرف عددهم، ولماذا يستشير أصحابه مرة أخرى، وهم قد وافقوا على الخروج معه عندما كانوا في المدينة؟ لنبدأ بالأمر الأول.

كيف علم ﷺ بخروج قريش

يقول أحد الصحابة المشاركين بتلك الأحداث وهو أنس بن مالك: (إن رسول الله ﷺ ندب أصحابه، فانطلقوا إلى بدر، فإذا هم بروايا قريش فيها عبد أسود لبني الحجاج، فأخذه أصحاب رسول الله ﷺ فجعلوا يسألونه: أين أبو سفيان؟ فيقول: والله ما لي بشيء من أمره علم، ولكن هذه قريش قد جاءت فيهم: أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف.

فإذا قال لهم ذلك ضربوه. فيقول: دعوني، دعوني أخبركم. فإذا تركوه قال: والله ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذه قريش قد أقبلت، فيهم أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف قد أقبلوا. والنبي ﷺ يصلي -وهو يسمع ذلك- فلما انصرف[3]

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٧.

(٢) حديث حسن. دون ما بين المعقوفين. رواه ابن إسحاق وهو جزء من حديثه الطويل.

(٣) انصرف من صلاته: انتهى والانصراف يعني أيضاً: التسليم.

Twitter: @ketab_n

قال: «والذي نفسي بيده إنكم لتضربونه إذا صدقكم، وتدعونه إذا كذبكم، هذه قريش قد أقبلت لتمنع أبا سفيان»[1].

هكذا علم رسول الله ﷺ بمقدم قريش وطواغيتها.. كان الأمر خطيراً وعصيباً جداً، ولا بد لنبي الله ﷺ من أن يعيد حساباته من جديد.. لا بد من معرفة حجم الخطر القادم، وهل في الإمكان مواجهته؟ أم أن في مواجهته تهوراً، ولا بد من الانسحاب للحفاظ على صفوة الأمة ونواتها..؟ ما غاب ذلك عن رسول الله ﷺ ولم يغب. فقط وبحوار قصير بين رسول الله ﷺ وبين ذلك الغلام المشرك، ودون ضرب، أو تعنيف، أو إكراه.. دون سياط أو حبال.. انتهى كل شيء.

كيف عرف ﷺ عدد قريش

يتحدث عن ذلك بطل آخر من شباب الإسلام. علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث يقول: (كان النبي ﷺ يتخبر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار الرسول ﷺ إلى بدر - وبدر بئر- فسبقنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، رجلاً من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط.

فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم -والله- كثير عددهم، شديد بأسهم. فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ، فقال له: كم القوم؟ فقال: هم -والله- كثير عددهم، شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم، فأبى. ثم إن النبي ﷺ سأله كم ينحرون من الجزور؟[2] فقال: عشراً كل يوم.

فقال رسول الله ﷺ: القوم ألف، كل جزور لمائة)[3]. بفطنته وذكائه ﷺ توصل إلى عدد قريش، لكن كم كان:

---

(١) حديث صحيح. رواه مسلم وأبو داود واللفظ له صحيح أبي داود ٢٣٣٢.

(٢) الإبل.

(٣) سنده صحيح. رواه البيهقي ٣-٤٢ وأحمد ١-١١٦: إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حارثة عن علي: إسرائيل ثقة وسماعه من شيخه (جده) قبل الاختلاط، وجده تابعي ثقة التقريب ٤٢٣ أما حارثة بن مضرب فتابعي كبير ثقة التقريب ١٤٩.

Twitter: @ketab_n

عدد الصحابة؟

إذا كانت قريش ألفاً، فإن ذلك الطفل الذي منعه الرسول ﷺ من الخروج لصغر سنه يحدثنا عن عدد المسلمين (البراء بن عازب) رضي الله عنه يقول: (استصغرت أنا وابن عمر يوم بدرٍ، وكنا -أصحاب محمدٍ- نتحدث أن عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر، كعدة أصحاب (طالوت) الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوز معه النهر إلا مؤمن)[1] لقد كان امتحاناً صعباً لطالوت ومن معه أمام جيش الروم، وهاهو امتحان آخر لأصحاب رسول الله ﷺ.. إنهم ثلاثمائة وبضعة عشر فقط، وهؤلاء الثلاثمائة إذا نظرت إليهم باحثاً عن خيل يركبونها لم تجد سوى فرسين. يقول علي: (ما كان معنا إلا فرسان، فرس للزبير، وفرس للمقداد بن الأسود)[2].

ثلاثمائة ليس معهم إلا فَرَسَان، فماذا عن البقية..؟

إنك لو نظرت مرة أخرى إليهم، لنظرت إلى مشهدٍ خلاب، رغم الفقر والحفاء والعوز.. لن تجد أحداً يسير على قدميه كل الطريق، ولن تجد أحداً يركب كل الطريق.. كانت قافلةً من القلوب والمشاعر قادها ﷺ إلى بدر. عبد الله بن مسعود أحد تلك القلوب التي تخفق بالإيمان والإيثار والنظام يقول رضي الله عنه وعنهم: (كنا يوم بدرٍ كل ثلاثةٍ على بعير، كان أبو لبابة وعليّ زميلي رسول الله ﷺ، فكانت إذا حانت[3] عقبة رسول الله ﷺ يقولان له: نحن نمشي عنك.

فقال: ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما)[4].

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي واللفظ له ٣-٣٦.

(٢) سنده حسن رواه البيهقي ٣-٣٩: أخبرنا أبو عبد الله، أخبرنا عبد الله بن إسحاق البغوي، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا ابن وهب، وأخبرني أبو صخر عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن علي: أبو معاوية صدوق من رجال مسلم واسمه: عمار بن معاوية الدهني، وأبو صخر: حميد بن زياد التهذيب ٣-٣٦ من رجال مسلم حسن الحديث، وتلميذه إمام معروف، والبغوي مسند بغداد التذكرة ٨٨٩.

(٣) إذا جاء دور الرسول ﷺ في المشي.

(٤) إسناده حسن رواه أحمد ١-٤١١ و٤١٨ و٤٢٢ من طريق حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود. عاصم حسن الحديث وزر ثقة التقريب ٢٨٥٢١٥.

Twitter: @ketab_n

رسول الله ﷺ ونبيه وخير خلقه يقطع المسافات مشياً، رغم وجود من يبذل روحه فداءً لتلك الخطوات الشريفة. لكنه كان يشارك أصحابه.. يعلمهم.. يتماهى بهم.. يشفق عليهم، ويرأف بهم، ويحنو عليهم، ويطمع مثلهم بالأجر من عند الله.

لقد رق ﷺ لمنظرهم وهم يتعاقبون، ورق لحالهم وهم يتساقطون من التعب والجوع وطول السفر، فاتجه إلى أرحم الراحمين يستمطره رحمة لهؤلاء المساكين. ابتهل.. لهج بقلبه ولسانه وقال: (اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم)[1].

دعاء يفيض رحمةً وشفقة، وحالة أصحابٍ يرثى لها، وظرف صعب يفاجئ القافلة المؤمنة، وعدو كشر عن أنيابه وسيوفه وحقده. ومع ذلك كله.. لم تخف القلة المؤمنة، ولم ترتجف، لكن هناك من كره لقاء قريش بهذا الاستعداد الضعيف، فما للقتال خرجوا، وما لهذه الجموع احتسبوا. لقد خرجوا يريدون مالاً لهم في قافلة، فصاروا أمام جيش متأهب لأخذهم.

لقد كرهوا ذلك خوفاً على دولتهم الفتية.. على رسولهم أن تناله أيدي المشركين ورماحهم. لقد وصف الله سبحانه تلك المشاعر فقال: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦﴾[2].

يقول كعب بن مالك رضي الله عنه: (تخلفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد)[3].

لقد رأى ﷺ في وجوه الصحابة العزم والشجاعة، ورأى في وجوه البعض الشجاعة والكراهية معاً، وذلك لعدم الاستعداد، وقلة العدد والعدة.

رأى خوفهم عليه وعلى دينهم ودولتهم فتوقف ﷺ لـ:

---

(١) سنده حسن. رواه البيهقي ٣-٣٨ وأبو داود ٢٧٤٧ من طريق ابن وهب حدثنا حيي عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو. ابن وهب ثقة مر معنا، وحيي حسن الحديث، قوي إذا روى عنه ثقة، والحبلي ثقة من رجال مسلم اسمه: عبد الله بن يزيد.

(٢) سورة الأنفال: الآيتان ٥، ٦.

(٣) حديث صحيح طويل. رواه البخاري (٤٤١٨).

Twitter: @ketab_n

المشورة الثانية

(خرج رسول الله ﷺ في أصحابه [حتى بلغ وادياً يقال له «ذفران»، فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل]، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار النبي ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضوان الله عليه فقال وأحسن. ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امض إلى حيث أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، [فوالذي بعثك بالحق لئن سرت بنا إلى برك الغماد[1]، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه])[2] (لا نقول كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ولكن نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك. قال ابن مسعود: فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره)[3].

لقد تأثر ابن مسعود بما قاله المقداد، وتمنى في تلك اللحظات لو كان هو صاحب تلك الكلمات، ولم يستطع ابن مسعود أن يكتم ذلك في نفسه، لقد صرح به فيما بعد فقال: (شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً، لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عُدل به)[4] أما رسول الله ﷺ فبعد أن رأى تلك العواطف الجياشة تموج أمامه، وعن يمينه، وعن شماله، وتحميه من خلفه.. بعد أن رأى الفداء يظلله كالحب.. كالغمام. صاح مرة أخرى بالفئة المؤمنة؟ فتنبه أحد الأنصار لهذا النداء المتكرر، وفهم مراد رسول الله ﷺ. لقد تحدث أبو بكر وعمر وتحدث المقداد، ومع ذلك كله ينتظر رسول الله ﷺ رأياً آخر، له في نفسه وزن لا يقل عن تلك الآراء السابقة.

---

(١) قال الراوي: مدينة الحبشة.

(٢) حسن. رواه ابن إسحاق وقد مر معنا، حيث صرح بالسماع من شيوخه الثقات: الزهري، وعاصم بن عمر، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان.. وهؤلاء أخذوه عن شيخهم الإمام عروة بن الزبير ورواه شيوخ غيرهم عن ابن عباس، لكن هؤلاء الشيوخ غير معروفين والحديث يشهد له ما قبله من الأحاديث وما بعده عدا ما بين المعقوفين فلم أجد له شاهداً. والحديث جزء من حديث بدر الطويل.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري عن ابن مسعود (٣٩٥٢).

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري عن ابن مسعود (٣٩٥٢).

Twitter: @ketab_n

كان ﷺ (يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة قالوا: يا رسول الله، إنا براء من ذمامك[1] حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه[2] بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: أجل.

قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصُبُر عند الحرب، صُدُق عند اللقاء، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك)[3].

وجاءت البشرى من الله..

وأنزل الله كلامه وعداً صادقاً لا يتأخر، وأمناً يملأ الأجواء والصدور، فأزال بقايا الخوف، وطهر به القلوب المؤمنة.

نزل جبريل بقوله الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾. والشوكة هي جيش قريش، وغير ذات الشوكة هي القافلة.

---

(١) الذمام: الحرمة أي نحن غير مسئولين عنك حتى تسكن في مدينتنا.

(٢) هاجم المدينة.

(٣) هو جزء من حديث ابن إسحاق الطويل وله شاهد عند ابن مردوديه (سيرة ابن كثير ٢/٣٩٥). من طريق محمد بن عمرو ابن علقمة عن أبيه عن جده وجده ولد في عهد رسول الله ﷺ وروايته عن الصحابة أما عمرو فهو حسن الحديث في الشواهد والمتابعات.

Twitter: @ketab_n

أخـذ ﷺ تلك الآيات ونادى رفقة الدرب والإيمان، وقال لهم: (سـيروا على بركة الله وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم غداً)[1].

قال أحد الأنصار وهو أبو أيوب الأنصاري: (فلما وعدنا إحدى الطائفتين، إما القوم وإما العير، طابت أنفسـنا)[2]وطاب المسـير إلى بدر (فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشـركين إلى بدر)[3] ونزل المسلمون بالعدوة الدنيا، أي بحافة الوادي من جهة المدينة (وجاء المشـركون فقال رسـول الله ﷺ: لا يتقدمن أحد منكم إلى شـيء حتى أكون أنا دونه)[4] وأقبل المشـركون من هناك.. من الجهة الأخرى المسـماة بالعدوة القصوى، أي حافة الوادي البعيدة.. البعيدة عن المدينة جهة مكة وكان ذلك في:

٥٢/٩/١٦

في السـادس عشـر من شهر رمضان بنى الصحابة لرسـول الله ﷺ قبة.. هي أشبه بغرفة عمليات المعركة، كان ﷺ يصلي فيها ويدعو، ويوجه ويبشر، وكان أبو بكر معه فيها.

يقـول أحد الصحابـة: (إن النبي ﷺ قال وهو في «قبة له» يـوم بدر: اللهم إني أنشـدك عهدك ووعدك، اللهم «إن شـئت لم تعبد بعد اليوم أبداً» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك، حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك -وهو في الدرع-.

فخرج وهو يقول: سـيهزم الجمع ويولون الدبر، بل السـاعة موعدهم والسـاعة أدهى وأمر)[5]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سـنده قوي. رواه الطبراني ٤-٢٠٩ من طريق ابن لهيعة ورواه من الطريق نفسه الطبري ٦-١٨٦ والراوي عند الطبري هو ابن المبارك فصح بذلك هذا الجزء من السـند: وشـيخ ابـن لهيعة، يزيد بن أبي حبيب ثقة التقريب ٦٠٠ وقد رواه عن التابعي الثقة: أسـلم بن يزيد التجيبي (التقريب ١٠٤ وأسلم رواه عن أبي أيوب رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم.

(٤) حديث صحيح. رواه مسلم.

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٨٧٥-٤٨٧٧).

Twitter: @ketab_n

خـرج ﷺ مـن القبة، وخرج وراءه أبـو بكر، وخرجت معهما البشـرى العظيمة: سـيهزم الجمع ويولون الدبر، وصار ﷺ يتمشـى ويشير، ثم يمشي ويشير، وإذا أشار إلى موضع من الأرض تكلم، ولهج بالبشرى للجميع.. لقد كان يشير بيده ويتحدث إلى من معه وحياً، فإلى أي شيء كان يشير، وعن أي شيء كان يتحدث؟

مصارع القوم

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ ليخبرنا عن مصارع القوم بالأمس: هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً، هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً)[1].

ويتحدث أنس بن مالك عن تلك المواقع فيقول: (قال رسـول الله ﷺ: هذا مصرع فلان غداً. ووضع يده على الأرض. وهذا مصرع فلان. ووضع يده على الأرض. وهذا مصـرع فلان. ووضع يده علـى الأرض)[2] وكأنه يضه يده علـى مواضع الحماس في القلوب المؤمنة ليفجرها.

لقد ملأت هذه البشـرى المؤمنين حماساً ونشاطاً، وأيقنوا بنصر يشرق عليهم مع صباح الغد إن شـاء الله، فقضوا يومهم ذلك همةً وحركةً.. يسـتعدون وينفذون أوامر قائدهـم ﷺ، ويدعـون ربهم نصراً طـال انتظاره، ويرجونه الظفـر في هذه الحرب التي قبعت في طريقهم دون موعد، حتى تتكسـر شوكة الباطل، وترتفع راية التوحيد، وتتطاير فلول الشرك مع الرياح.

كان ذلك اليوم مليئاً بالدعاء والعمل والأحلام، وكان يوماً مرهقاً، وكانت ليلة مقمرة.. ليلة فرش فيها القمر بسـاطاً للجميع، لكن القمر افتقد أحبابه إلا رسول الله ﷺ، فلقد خلدوا إلى نوم عميق بعد يوم شاق، كان العمل فيه مرهقاً.

يقول علي بن أبي طالب عن تلك الليلة: (لقد رأيتنا ليلة بدر وما من أحد إلا وهو نائم، إلا رسول الله ﷺ فإنه يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح)[3] أما الصحابة فنام

---

(١) حديث صحيح. رواه مسلم (الجنة) والبيهقي (٣/٤٨) واللفظ له.

(٢) سنده صحيح. رواه أبو داود ومن طريقه البيهقي ٣-٤٦: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن ثابت عن أنس. موسى ثقة ثبت من رجالهما والبقية أئمة ثقات.

(٣) سنده صحيح مر معنا. رواه أحمد ١-١٢٥ وغيره عن شعبة أخبرنا أبو إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي، وهؤلاء رجالهما عدا حارثة وهو تابعي ثقة التقريب ١٤٩.

Twitter: @ketab_n

بعضهم بعد أدائهم صلاة العشاء، ثم ناموا جميعاً، وعندما استيقظ علي رآهم نائمين جميعاً، وهاهم الواحد تلو الآخر يهبون من نومهم العميق بعد علي بن أبي طالب، فما الـذي أيقظ علي وأيقظهم..؟ هل هو القمـر..؟ هل هي الليل القمراء التي يحلو معها الحديث والسمر..؟ لا، فالقمر قد اختفى، والتعب أشد من أن يقاوم لكنه:

المطر..المطر

تآلف السـحاب وحجب القمر، وتسـاقط المطر قطرات.. قطـرات، ثم ازدادت القطرات شـيئاً قليـلاً حتى تنبه الصحابـة.. فإذا المطر زخات.. زخات.. يغسـلهم، ويخاطبهم القرآن كالمطر: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾[1].

تحـرك الصحابـة يسـتظلون مـن المطر، أما رسـول اللـه ﷺ فلم يكـن نائماً ليستيقظ..

كان كمـا يصف علي رضي الله عنه: (أصابنـا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشـجر والحجف[2] نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل ويقول: اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تعبد

فلما أن طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله

- الصلاة جامعة -

فجاء الناس من تحت الشـجر والحجف فصلى بنا رسـول الله ﷺ وحرض على القتال)[3] ثم احتضنت رسول الله ﷺ إغفاءة قصيرة رأى فيها:

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١١.

(٢) الحجفة ترس من جلد.

(٣) سنده حسن. رواه الطبري التفسير ٦-١٩٣: حدثنا هارون بن إسحاق، حدثنا مصعب بن المقدام، حدثنا إسرائيل، حدثنا أبو إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي. وقد مر معنا، لكن الذي جعل السند حسناً هو أنه من رواية مصعب، وهو حسن الحديث من رجال مسلم. التقريب ٢-٢٥٢ وهارون الهمداني صدوق التقريب ٥٦٨.

Twitter: @ketab_n

بشرى ومنام

ربنا سبحانه يتحدث عن ذلك المنام القصير فيقول: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[1]..

أشـــرقت في وجوه الصحابة شـــمس جديدة، ويوم جديد، فتنفسوا هواءً منعشاً، وصباحـــاً طرياً بالصلاة والمطر.. الأرض أمامهم ســـاكنة ملبدة لا غبار فيها، والأجواء تملأ صدور المؤمنين حماساً وثقة بالله ووعده، ورسول الله ﷺ يحرضهم على القتال.. يشـــرع لهم أبواب الشـــهادة والجنة، ويجعل من أصحابه أحبابـــاً لله فـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[2].. والرسول ﷺ يحب أن يكونوا كذلك، لذلك نظمهم وجعلهم صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وصار يمشـــي بينهم يصفهـــم ويعدل صفهم، ثم قال لهـــم: (إن جمع قريش عند هـــذا الضلع الحمراء من الجبل)[3].

جمع المشركين عند الجبل

بدأوا بالنهوض مثقلين، وصداع الخمر يرن في رؤوسهم.. بدأوا بالنهوض وقلوبهم شتى، وأفكارهم شـــاردة، والنظام عنهم شارد.. بعضهم كان لا يريد الخروج، والبعض يـــرى أن من الخطأ قتال أبنـــاء عمومتهم وإخوانهم وأبنائهم، وهناك من خرج أشـــراً وبطراً، وقد أغراه قلة عدد المؤمنين فضمن النصر واطمأن للنتيجة، و(لما اطمأن القوم بعثوا عمر بن وهب الجمحي فقالوا: أحرز لنا القوم من أصحاب محمد.

فاســـتجال حول العســـكر ثم رجع إليهـــم فقال: ثلاثمائة رجل يزيـــدون قليلاً، أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد.

فضرب في الوادي حتى أبعد فلم يرَ شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، ولكن قد رأيت يا معشـــر قريش البلايا تحمـــل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٣.

(٢) سورة الصف.

(٣) رواه أحمد بسند صحيح وهو جزء من حديث علي الطويل الذي مر معنا.

Twitter: @ketab_n

ليس لهم منعة إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم)[1].

سكت الجميع وهم يستمعون إلى هذا الوصف المرعب، وتسلل من بين هذا الحشد الصامت رجلٌ حكيم، واسمه أيضاً: حكيم.. (حكيم بن حزام) تأثر بكلام عمرو بن وهب الجمحي، وأحس بشيء خطير تحمله نواضح يثرب، (فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد.. إنك كبير قريش الليلة، وسيدها والمطاع فيها، [هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت][2]؟ هل لك ألا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر؟

قال: وماذا يا حكيم؟

قال: [إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي][3] ترجع بالناس، وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي.

قال عتبة: قد فعلت، [أنا أتحمل بديته][4] أنت علي بذلك إنما هو حليفي، فعلي عقله وما أصيب من ماله، فأْتِ ابن الحنظلية [يعني أبا جهل فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك][5] فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره؟

ثم قام عتبة خطيباً فقال: يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه، أو ابن خاله، أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون)[6].

---

(١) أثرٌ رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبري (٤٢/٢): حدثني إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار وهذا السند صحيح فوالده ثقة وقد سمع من بعض الصحابة (التقريب ٦٢/١) وهؤلاء الأشياخ ربما كانوا من الصحابة فإن كانوا كذلك فالسند متصل وللأثر شاهد يقويه أيضاً انظر ما بعده.

(٢) هذه الزوائد ليست عند الطبري (انظر ابن كثير ٤٠٧/٢).

(٣) هذه الزوائد ليست عند الطبري (انظر ابن كثير ٤٠٧/٢).

(٤) هذه الزوائد ليست عند الطبري (انظر ابن كثير ٤٠٧/٢).

(٥) هذه الزوائد ليست عند الطبري (انظر ابن كثير ٤٠٧/٢).

(٦) هذا الأثر هو بقية الأثر السابق (انظر ابن كثير ٤٠٧/٢ - السيرة) وشاهده عند الطبري عن حكيم بن حزام، وفيه ضعف ليس بالشديد. (٤٤٣/٢).

Twitter: @ketab_n

كان عتبة بعيد النظر.. خائفاً من مصير قومه الأسود الذي يقودهم إليه رجل طائش حاقد هو أبو جهل.. كان عتبة على جمله الأحمر يدور بين المشركين.. يحاول ثنيهم عن عزمهم، فهو يرى الموت سهاماً في نظرات أصحاب محمد ﷺ، ويرى العار في قتل أبناء العم وقتالهم.. كان عتبة على تلك الحال يناشد، ويمشي ويناشد، ويحاول حقن دماءٍ توشك أن تُسفح على جنبات بدر.. يحاول ردم مقابر ومآسٍ كالهاوية. لا بد أن أمية بن خلف كان في تلك اللحظات يستمع إليه، ويستبشر به، ويحتفي بكلماته وقلبه يرقص طرباً بما يقول، ولسان حاله يقول: لله درك يا أبا الوليد.. كم أنت رائع، فأنت تنقذني من موت ينتظرني.. موت وعدني به محمد.

لم يكن من حول عتبة فقط هم الذين يثنون على رأيه.. رسول الله ﷺ كان يراقبه من بعيد.. من الجهة الأخرى كان ينظر إليه، ولم يعرف من هو حتى الآن، لكنه أدرك من حركاته أنها حركات رجلٍ نصوح مشفق على قومه. (نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة وهو على جمل أحمر فقال: إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا - وهو يقول: يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم، فإنكم إن فعلتم لم يزل ذلك في قلوبكم، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه، وقاتل أبيه، فاجعلوا جبنها برأسي وارجعوا)[1]. كان عتبة يريد أن يتحمل عارها وشنارها، ويجنب قومه جحيم الحرب ونارها.

أراد ﷺ أن يعرف من هو صاحب الجمل الأحمر (فقال النبي ﷺ للزبير: ناد بعض أصحابك، فسله من صاحب الجمل الأحمر؟ قالوا: عتبة ابن ربيعة، وهو ينهى عن القتال وهو يقول: يا قوم إني أرى قوماً مستميتين، والله ما أظن أن تصلوا إليهم حتى تهلكوا)[2].

---

(١) سنده جيد وهو صحيح بالشواهد. رواه البزار ٢-٣١٣ - زوائد. يزيد بن هارون أنبأنا جرير بن حازم، عن أخيه يزيد بن حازم، عن عكرمة عن ابن عباس: يزيد ثقة متقن وشيخه ثقة إلا عن قتادة وهذا ليس منها فشيخه هنا هو أخوه يزيد وهو ثقة (التقريب ٦٠٦ و١٣٨ و٦٠٠ وعكرمة غني عن التعريف. وللحديث شواهد.

(٢) سنده صحيح. رواه البزار (٣١١/٢) بالسند الذي مر معنا كثيراً وهو: إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة عن علي. وتلميذ إسرائيل هو عثمان بن عمر العبدي: ثقة. (التقريب ١٣/٢) وتلميذه الثقة الثبت: محمد ابن المثنى المعروف بـ (الزمن) (التهذيب ٤٢٥/٩).

Twitter: @ketab_n

والتفت ﷺ فرأى عمه حمزة في موقع قريب من المشركين فأراد أن يتحقق من قول أصحاب الزبير ويتأكد: (فقال رسول الله ﷺ: يا علي، ناد لي حمزة -وكان أقربهم من المشركين- منْ صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟

فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال ويقول لهم: يا قوم إني أرى قوماً مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم، اعصبوها اليوم برأسي وقولوا: جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم)[1].

كان عتبة يثير الحسرات والزفرات، فابنته هند زوجة أبي سفيان تحبه وتخشى عليه، أما ابنه الوليد وأخوه شيبة فكانا رهن إشارته، لكن أين ابنه الآخر؟

حسرة على عتبة

كان عتبة فوق جمله الأحمر يثير إعجاب النبي ﷺ برأيه السديد، لكنه كان يثير حسرة لدى أحد الشباب المؤمنين خلف رسول الله ﷺ.. كأني بهذا الشاب يتطاول، ويتطاول ليحظى بنظرة أخيرة لصاحب هذا الجمل الأحمر.. كأني به يرفع رأسه ليراه، فيتحرك قلبه نحوه بالأسى والحزن، والذكريات الحلوة المريرة. فعندما كان هذا الشاب طفلاً كان صاحب الجمل الأحمر يحمله ويداعبه.. كان يسير معه في طرقات مكة وكان يكسوه أحسن الثياب، ويطعمه أطيب الطعام.. كم مرة قبله، وكم مرة عانقه، وكم مرة تعثر فحمله، وبكى فأسكته بما يرضيه، ومرض فبحث له عمن يداويه.. ذكريات حلوة ومريرة، فمن يكون هذا الشاب، وما صلته بهذا الشيخ الكبير؟

إنه: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وهذا الشيخ هو أبوه الذي رباه ورعاه وحنا عليه، وهو اليوم عدوه.. والده اليوم أعقل وأحكم من في معسكر قريش، فأين تلك الحكمة، وأين هذا العقل قبل اليوم؟! أين الحكمة في الخروج من أجل أصنام لا تستطيع الحراك من أماكنها؟ أين الحكمة في عبادة حجر أو خشبة تفتقر إلى أبسط صفات السيادة، ألا وهي إصدار الأمر أو النهي..؟!!

---

(١) حديث صحيح مر معنا. رواه أحمد بالسند السابق.

Twitter: @ketab_n

كان هذا الشاب يتحسر على أبيه، مثلما تحسر علي بن أبي طالب على أبيه، وهو يشـاهد رجاءات النبي ﷺ تتحطم على صخرة العناد في قلب أبي طالب، ليموت أبو طالب وهو كتلة من العناد، وهاهي الصورة تتكرر على أرض بدر.

كان عتبة خائفاً أشـد الخوف على مجد قريش أن يدفن في هذا الصباح الممطر الجميل.. عتبة يرى الموت يطل عليهم من فوق الجبال.. يرى الموت في السحاب، وفوق نواضح يثرب، لذلك أرسـل حكيم بن حزام إلى أبي جهل لعله يتراجع عن غيه. أرسـل حكيم بن حزام إلى أبي جهل ليعرف رأيه فهو صاحب شر مستطير، وعقل صغير. أبو جهل سـفيه متهور.. قد يثير الفتنة والمشاكل بين جيش قريش نفسه، فيكونون غنيمةً سـهلةً لمحمد وأصحابه.. غنيمة أسـهل من قافلة أبي سفيان، فلا بد من كلمة واحدة، ورأي واحد ولو كان مراً.

توجه حكيم كما طلب منه عتبة، ليروي ما حدث فيقول: (فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعاً فهو يهنئها[1] فقلت له: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا؟ فقال: انتفخ والله سـحره حين رأى محمـداً وأصحابه، فلا والله لا نرجع حتـى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال، ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه، فقد تخوفكم عليه)[2]. كان أبو جهل يسـتخدم العواطف.. يثيرها.. يفجرها فتنةً.. يفجرها ثارات وسـيوفاً، وهاهـو يقلب الحقائق.. يجعل من رأي عتبة العاقل جبناً، وخوفاً على ابنه أبي حذيفة الذي بين صفوف المؤمنين. ويبرر هذا الرأي الساقط بأن عتبة يرى أن محمداً ﷺ وأصحابه.. لا يأخذون من المشركين جهداً أكثر من جهدهم في تناول وجبة من الطعام قد طبخ فيها جمل من الجمال.

إنه يرى المسـلمين جزوراً شهياً قد قدم على مائدة بدر، وقد حان موعد التهامه، وابن عتبة لقمة في هذه الوجبة الشـهية، وقد خشـي عتبة على ابنه من أفواه قريش وسيوفهم المتلمظة المتعطشة.

---

(١) أي يصلحها ويهيئها ويطليها بمكر الزيت.

(٢) أثر حسـن. رواه ابن إسـحاق ومن طريقه الطبري (٤٤٤/٢) وهو حديث طويل ضعيف عدا ما كان له من الشواهد ما يقويه كهذا الجزء الذي يشهد له ما عند البزار التالي.

Twitter: @ketab_n

أبــو جهل يقول: (انتفخ والله ســحره حــين رأى محمداً وأصحابــه، إنما محمد وأصحابــه كأكلة جــزور لو قد التقينا)[1] ويفقد أمية بن خلــف آخر آماله في الحياة، فلقد تحرك ابن الحنظلية البغيض مفتشاً عن إثارة أكثر لهذه القلوب السوداء، ومفتشاً عن جمر يلقيه في تلك النفوس كي تتحرق للثأر. أرسل إلى عامر بن الحضرمي الذي يتحرق للأخذ بثأر عمر بن الحضرمي الذي قتلته سرية (نخلة) السابقة.

أرســل أبو جهل المزيد من الجمر ليلقيه في صدر عامر المتلهف للثأر.. (بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع الناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك. فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ:

واعمراه..

واعمراه..

فحميت الحرب، وحقب أمر الناس، واستوثقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد علــى النــاس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة، فلما بلغ عتبــة قول أبي جهل: انتفخ والله سحره. قال: سيعلم مصفر أسته من انتفخ سحره أنا أم هو)[2].

لــم يكتف أبو جهل ببلوغ صراخه إلى عتبــة.. لقد تحرك الطاغوت نحو عتبة بن ربيعة لاســتفزازه، ليوظفه باتجاهٍ شــقهُ أبو جهلٍ، ليحوله من نقطة ضعف وســكينة، إلــى بــركان تتفجر منه المعركة حالاً.. توجه أبو جهل إلــى عتبة صارخاً بوجهه: (أنت تقــول ذلك! والله لو غيرك يقولــه لأعضضته، قد ملأت رئتك جوفــك رعباً)[3] فثار عتبة وانفجر في وجه أبي جهل قائلاً: (إياي تعير يا مصفر أســته؟ ســتعلم اليوم أينا الجبــان)[4] (ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأســه، فما وجد في الجيش بيضة[5] تسعه من عظم رأسه، فلما رأى ذلك اعتجر[6] على رأسه ببردٍ له)[7].

---

(١) حديث صحيح. وهو جزء من حديث البزار السابق (٣١٣/٢ - الزوائد).
(٢) جزء من حديث ابن إسحاق السابق القوي. ومصفر أسته: الذي يُخرج الريح من الجبن.
(٣) حديث صحيح. وهو جزء من حديث الإمام أحمد وقد مر معنا.
(٤) حديث صحيح. وهو جزء من حديث الإمام أحمد وقد مر معنا.
(٥) الخوذة التي توضع على الرأس في الحروب.
(٦) لف البرد على رأسه كالعمامة... والبرد قماش يلتحف به.
(٧) جزء من أثر ابن إسحاق السابق وهو حسن.

Twitter: @ketab_n

نجح أبو جهل بتحريضه لغضب عتبة، فأوصله إلى حالة شديدة من التوتر والتهور، وأفلح الطاغوت في إثارة حمية أخيه وابنه (فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية)[1] يريدون الحرب.

سمع المسلمون ذلك الضجيج فتزينوا للجنة، وتوجه النبي ﷺ إلى جبار السموات والأرض يناشده ويناشده، ويستمطره رحمةً ونصراً. فنظر إليه أبو بكر الصديق فرق لحاله، وأشفق عليه، ثم تحرك نحوه بكل رفق، والتف حوله وضمه ضمةً لا يجرؤ عليها إلا أبو بكر، فمشاعر أبي بكر لا يعبر عنها إلا أبو بكر.

فكم أبكى ذلك المشهد من الصحابة عندما (نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال:

اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً.

فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده -ألقاه على منكبيه[2]- ثم التزمه من ورائه، ثم قال: كفاك يا نبي الله بأبي وأمي[3] مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[4].

لقد فعل ﷺ كلما يمكنه فعله.. فعل الأسباب كلها، ثم توجه إلى الله يناشده ويدعوه. هذا هو التوكل الصحيح الذي رسمه لأتباعه:

فعل السبب، ولكن جعل النتائج على الله

فعل ﷺ ذلك كله وما زال يفعل:

شاور المهاجرين والأنصار قبل الانطلاق.

---

(١) حديث صحيح. وهو جزء من حديث الإمام أحمد وقد مر معنا.
(٢) لفظ مسلم.
(٣) لفظ ابن جرير.
(٤) حديث صحيح. رواه مسلم ٣-١٣٨٣ وغيره.

Twitter: @ketab_n

ثم قطع الأجراس من أعناق الإبل إمعاناً في السرية.

رفض أن ينتظر أي شخص لم يكن جاهزاً.

أبقى هدف المسير سراً عند انطلاقه.

رفض أن يصحبه أي مشرك حتى ولو كان صادقاً ذا حمية وشهامة.

سمح للقادرين على القتال فقط بمصاحبته.

أمرهم بالتعاقب على الرواحل حتى يهون عليهم المسير قليلاً وهو ليس بهين.

استطاع أن يعرف عدد الخارجين للقتال من قريش.

استشار أصحابه في المضي أو العودة فوافقوا على المضي.

سبق ﷺ المشركين إلى العدوة الدنيا حيث الماء الآبار.

بنى المسلمون لهم حوضاً يشربون منه أثناء المعركة.

وبعد ذلك وقبله توجه إلى الله يناشده ويدعوه.

يقول علي رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ لما أصبح ببدر من الغد أحيى تلك الليلة كلها وهو مسافر)[1]، والسفر إرهاق ومشقة، ومع ذلك يقول علي: (لقد رأيتنا ليلة بدر وما منا أحد إلا وهو نائم، إلا رسول الله ﷺ فإنه يصلي إلى شجرة، ويدعو حتى أصبح)[2].

عمل ودعاء.. هذا هو منهج نبي الله ﷺ، وهذا هو توكله على الله، وبعد الدعاء بدأ العمل من جديد، فالصحابة قليلون، ولا بد من خطة محكمة، وتطبيق صارم كالسيف، فالخطأ يكلف كثيراً، وعدم تنفيذ الأوامر كارثة، فالمعركة تحتاج إلى كل الجهود.. تحتاج

---

(١) سنده حسن مر معنا كثيراً. رواه أبو يعلى ومن طريقه ابن حبان (موارد ٤٠٩): حدثنا الأزرق ابن علي أبو الجهم، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا يوسف بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي. الأزرق صدوق وشيخه حسن الحديث من رجال الشيخين التقريب ٩٧ و١٥٧ ويوسف حفيد أبي إسحاق ثقة من رجال الشيخين.

(٢) حديث صحيح مر معنا.

Twitter: @ketab_n

للجميع دون استثناء، وفي أمسّ الحاجة تلك، وفي أحرج الظروف وأصعبها يصل صحابي ووالده للمشاركة مع نبيهم ﷺ، ومع ذلك يرفض ﷺ مشاركتهما.. رغم صدقهما وإخلاصهما، وتحملهما المشاق في السير نحوه. ذلك الصحابي هو حذيفة بن اليمان.

لماذا يرفض ﷺ مشاركة حذيفة ووالده؟

سؤال بحجم المعركة، والإجابة بحجم محمد ﷺ. ليس هناك أزمة ثقة بحذيفة، بل إن حذيفة فوق الشبهات، كيف لا وقد سلمه الرسول ﷺ يوماً قائمة سرية بالأسماء والأحداث التي سيفصح عنها التاريخ..؟ سلمها ﷺ لأمانة حذيفة وأعماقه.

الأمر هنا لا يتعلق بالثقة.. الأمر يتعلق بالرسول ﷺ وبالقادة الإسلاميين والدعاة من بعده. حذيفة مر من هناك.. هناك حيث صادفه المشركون هو ووالده حسيل. سألنا حذيفة عن أمر يستطيع إخبارنا به.. إنه ليس سراً: ما الذي منعك يا حذيفة من المشاركة في غزوة بدر؟

فيجيب حذيفة رضي الله عنه قائلاً: (ما منعني أن أشهد بدراً، إلا أنني خرجت أنا وأبي (حسيل) فأخذنا كفار قريش، فقالوا: إنكم تريدون محمداً. فقلنا: ما نريد إلا المدينة.

فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرف إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم)[1].

إنها إجابة بحجم محمد ﷺ، والتزام أعيى من يهتبلون ثماراً ناضجة وغير ناضجة.. أعيى زعماء ودعاة ذوي نظرة آنية.. لا يرون إلا ما أمامهم: (نفي لهم بعهدهم)[2] وهم المشركون الذين يعبدون الأصنام، ويحاربون الله ورسوله، وما خرجوا إلا لطمس التوحيد وسفك دماء الموحدين.. خرجوا لذبح نبي الإسلام، وتدمير دولته، ومع ذلك (نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم)[3].

---

(١) سنده حسن رواه ابن أبي شيبة ٧-٣٦٣: حدثنا أبو أسامة، عن الوليد بن جميع، حدثنا أبو الطفيل، حدثنا حذيفة بن اليمان. الوليد تابعي حسن الحديث ومن رجال مسلم التقريب ٥٨٢ وتلميذه حماد بن أسامة ثقة ثبت التهذيب ٣-٢ وأبو الطفيل صحابي.

(٢) حديث صحيح وهو الحديث السابق.

(٣) حديث صحيح وهو الحديث السابق.

Twitter: @ketab_n

ما أعظم هذا الدين وأنقاه وأرقاه.. ياله من تحضر وسمو غير مسبوق. إذا كان هذا هو حجم الاحترام للعلاقة - العهد مع الأعداء، فكم هو حجمه بين المسلم وأخيه؟!!

سؤال عرف الإجابة عليه حذيفة ووالده ووعياه، فودع النبي ﷺ صاحبيه وانصرفا وهما ثقيلان لا يطيقان ذلك الوداع.

تَوَجَّهــا والحزن إلى المدينة، وتوجه ﷺ إلــى صحابته بعد هذا الدرس الذي تغلغل في أعماقهم، وسرى في دمائهم، وعاد ﷺ إلى العمل من جديد، فجعل ﷺ لجيشه رايةً ولــواءً، والرايــة هي (علم الجيش) واللواء أصغر منها و(كانت رايته ﷺ ســوداء، ولواؤه أبيض)[1] .. رايته (كانت سوداء مربعة من نمرة[2])[3]. وتحت هذه الراية نظم ﷺ أصحابه صفوفــاً أو صفاً، لأن الله يحب ذلــك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[4] بنيان متماسك وقوي، ولذلك فإن رسول الله ﷺ لما رأى خللاً في الصف سارع إلى تقويمه.

يحدثنــا أبو أيوب الأنصاري عن ذلك فيقــول: (صففنا يوم بدر فندرت منا نادرة أمام الصف، فنظر رســول الله ﷺ إليهم فقال: معي، معي)[5] وجعل جزءاً منهم خلف الصفوف، وفي أماكن مناســبة تمكنهم من مراقبة تحركات الأعداء، وتقديم المعلومات لرسول الله ﷺ، وكان من بين هؤلاء ذلك الغلام الذي يدعى: (حارثة بن سراقة) وهو أنصاري من بني النجار، وقد أدرك ﷺ أن هذه القلة المؤمنة تحتاج إلى شــعار يعرف بعضهم بعضاً به إذا حمي الوطيس، والتحمت السيوف بالأعناق والرؤوس فكان:

---

(١) حديث حسن. صحيح ابن ماجة (٢/١٣٣).

(٢) بردة من صوف.

(٣) حديث صحيح. صحيح أبي داود (٢/٤٩١) عدا قوله: مربعة.

(٤) سورة الصف.

(٥) ســنده قوي. رواه أحمد (٥/٤٢٠) من طريق موســى بن داود وعبد الله بن المبارك حدثنا.. وأخبرنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أسلم أبا عمران التجيبي حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول:... وهذا الســند قد خلا من علة اختلاط ابن لهيعة لأن أحد تلميذيه هو ابن المبارك.. وشــيخه يزيد بن أبي حبيب المصري ثقة فقيه من رجال الشيخين (التقريب ٢/٣٦٣) وقد سمع من التابعي المصري الثقة أسلم ابن يزيد التجيبي (التقريب ١/٦٤).

Twitter: @ketab_n

الصوف الأبيض شعاراً للمسلمين

قال علي بن أبي طالب: (كان سِيَمَا أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: الصوف الأبيض)[1].

وقد كان لبعض الصحابة علامات يعرفون بها، فحمزة مثلاً (معلم بريشة نعامة في صدره)[2] كان أسداً عليه ريش النعام.

أما الزبير فعلامته يحدثنا بنفسه عنها فيقول: (كان على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجراً بها)[3] ولهذه العمامة الصفراء أصداء في السماء تنتظر النزول سنعرفها بعد قليل، وسنعرف معها علامتين لا يراهما أحد.. علامة لأبي بكر، وعلامة لعلي رضي الله عنهم أجمعين، ولكن قبل ذلك كان هناك علامة للجميع.. علامة في العيون والنفوس.. علامة غشيت المؤمنين كلهم إنها:

النعاس وشيء آخر

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾[4] لقد ألقى الله النعاس على المؤمنين أمناً منه وسلاماً، وثقة بنصر الله، كما بث في نفوسهم شيئاً جعلهم يتحفزون للقتال (لقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم، وقللهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم)[5].

---

(١) سنده صحيح. رواه ابن أبي شيبة ٧-٣٥٤ بالسند الصحيح الذي مر معنا كثيراً: إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة عن علي.. وشيخه وكيع بن الجراح إمام ثقة.

(٢) رواه ابن إسحاق بسند وغيره عنه: حدثني عبد الواحد بن أبي عوف، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف. عبد الواحد ثقة وليس كما قال الحافظ صدوق يخطئ. راجع تعليقي على التقريب، وسعد ووالده تابعيان ثقتان من رجالهما.

(٣) سنده صحيح رواه ابن أبي شيبة ٧-٣٦١ من طريقين أحدهما: حدثنا عبدة، عن هشام، عن عباد بن حمزة عن الزبير، وعبدة بن سليمان ثقة ثبت التقريب ٣٦٩ وهشام ثقة مر معنا كثيراً، وشيخه تابعي ثقة وروايته عن أسماء وعائشة وجابر ووالده وللحديث شواهد.

(٤) سورة الأنفال: الآية ١١.

(٥) رواه ابن إسحاق بسند صحيح ومن طريقه الأموي (سيرة ابن كثير ٢/٤٣٤) حدثني الزهري عن عبد الله ابن ثعلبة بن صعير. الزهري تابعي ثقة معروف وشيخه صحابي.

Twitter: @ketab_n

كان الصحابة مزيجاً من التحفز والنعاس الغريب، وكان الوحي يتنزل على الملائكة أن يهبطوا إلى أرض المعركة لتثبيت المؤمنين، حيث يقول سبحانه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [1]. لكن أين الملائكة؟ بل أين رسول الله ﷺ في هذه اللحظات الحرجة، التي بدأت فيها أصوات المشركين بالارتفاع والشجار من أجل المعركة؟ أين رسول الله فهو ليس بين الصفوف، وليس مع النظار وليس عند الحوض؟

أين رسول الله وأين الملائكة

لقد ذهب قبل قليل إلى العريش، وتبعه أبو بكر.. إنه الآن داخل العريش، وهو يعاني حالة من النعاس، ورأسه يخفق..

هاهو لقد أفاق من نعاسه، وخرج والبشرى تحمله ويحملها.. إنه يبشر صاحبه أبا بكر بشيء مفرح فما هو؟!

يقول أحد الصحابة: (خفق[2] رسول الله ﷺ خفقة في العريش، ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل معتجر بعمامته آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع، أتاك نصر الله وعدته)[3] (هذا جبريل آخذ رأس فرسه عليه أداة الحرب)[4] هبط جبريل مُعْتَمّاً.. ما لون عمامته، وهل هبط لوحده؟

سنعرف بعد قليل، فرسول الله ﷺ يتجه مبشراً أصحابه بما حدث، ومحرضاً شجاعتهم للتضحية بأرواحهم في سبيل الله. إنه يحدثهم.. يوقظ فرحهم بالجنة والشهادة، لقد (خرج ﷺ إلى الناس فحرضهم)[5] وعندما يحرض رسول الله ﷺ لا يقول إلا حقاً، وإذا قال.. تحرك الجميع من حوله.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٢) حرك رأسه وهو ناعس.

(٣) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقة الأموي (سيرة ابن كثير ٢-٤٣٤): حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير.. وقد صرح ابن إسحاق بالسماع من شيخه التابعي الثقة، وعبد الله بن ثعلبة صحابي.

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري.

(٥) رواه ابن إسحاق وهو جزء من حديثه الطويل وهو ضعيف إلا ما كان له ما يقويه. كهذه العبارة عند أحمد وسندها صحيح وقد مر معنا (سيرة ابن كثير ٢-٤٢٢).

Twitter: @ketab_n

يقول ﷺ وهو يتحدث عن الصفوف: (قيام ساعةٍ في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة)[1] و(الشهداء الذين يقاتلون في سبيل الله في الصف الأول، ولا يلتفتون بوجوههم حتى يقتلوا، فأولئك يلقون في الغرف العلا من الجنة، يضحك إليهم ربك، إن الله تعالى إذا ضحك إلى عبده المؤمن فلا حساب عليه)[2].

ويقول ﷺ: (موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)[3] وإن (للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين من أهل بيته)[4].

إذا فهي الرحلة للنصر في الدنيا والتمكين لدين خالق هذه الدنيا، أو السفر العاجل إلى الجنة.. لا العودة إلى تلك الصفة أو بيوت الحجر والطين، بل السفر إلى قصور بحجم الأحياء والمدن.. قصور ليست من الحجارة أو الطين أو القش، بل من الذهب أو الفضة أو المرجان، أو اللؤلؤ أو الياقوت، أو الألماس، ليس فيها دورات للمياه، فأهل الجنة و(أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك)[5].

إذا كانوا بهذا الجمال، وأجسادهم بهذه النضارة، ولا إفرازات مؤذية لتلك الأجساد، ولا روائح منتنة أو كريهة تنبعث منهم، وإذا كان عرقهم ورائحة آباطهم أرقى من كل أنواع العطور الدنيوية، فلك أن تحلق في الخيال حتى تتعب، كي تصف حبيباتهم المؤمنات، وفتنتهن التي لو بدى شيئا منها لذهل رجال الأرض صالحهم وفاسدهم.. إنها الجنة، حيث السيارات والطائرات واليخوت في منتهى الروعة وجمال التصميم والرفاهية.. ليست حكراً على أحد، وليست لأناس دون ناس.

---

(١) حديث صحيح. صحيح الجامع (٢-٨١٥).
(٢) حديث صحيح. المصدر السابق (١-٦٩٥).
(٣) حديث صحيح. المصدر السابق (٢-١١٢٧).
(٤) حديث صحيح. السابق (٢-٩٢٠).
(٥) صحيح البخاري ٣-١٢١٠.

Twitter: @ketab_n

إنها الجنة حيث لا أمراض ولا قبح ولا ترهل ولا شيخوخة ولا ملل، ولا حسد ولا كراهية، ولا شرك ولا جهل ولا تخلف ولا حروب ولا دمار ولا خوف من القادم والمجهول، بل اقتحام لا ينقطع ولا يتوقف للجديد والجميل والرائع والمثير، واكتشاف متواصل، وأجمل ما فيها رؤية الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى.

إن من يسمع كلمات النبي عليه السلام، ليهون أمامه الموت والفناء، بل إن الموت يهون ويسهل للشهيد حقاً، فالموت يداعب الشهداء مداعبةً.. بشر بذلك رسول الله ﷺ فقال: (الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة)[1].

إن من يستمع إلى هذه الأحاديث وهو على سريره سيبحث عن أي معركة يكون فيها شهيداً، فكيف لو سمعها رجل يحمل سلاحه وسط الصفوف. بل كيف إذا سمعها من يرى زخات المدد من السماء.. يبشر بها رسول الله ﷺ أصحابه، ويبشر بها الله فيقول سبحانه: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾[2] وكانوا خير مدد، وكانوا خير الملائكة.

هذا كبيرهم: جبريل عليه الصلاة والسلام يصفهم بنفسه، فقد (سأل جبريل النبي ﷺ: كيف أهل بدر فيكم؟ قال ﷺ: خيارنا.

قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة هم خيار الملائكة)[3].

أما كبار الملائكة: ميكائيل وإسرافيل، فقد كان في نزولهم تكريماً لأبي بكر الصديق، ولعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فلقد (قيل لأبي بكر الصديق وعلي يوم بدر: مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم، يشهد القتال، أو يقف في الصف [ولا يقاتل][4].

---

(١) حديث صحيح. السابق (١-٦٩٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٩٢) والبيهقي (١٥١/٣) واللفظ له.

(٤) سنده صحيح. رواه ابن أبي شيبة واللفظ له عدا ما بين المعقوفين ٧-٣٥٣ والبيهقي ٣-٥٥ وأحمد والبزار (الزوائد ٢-٣١٤) من طرق عن مسعر بن كدام الهلالي وهو ثقة ثبت فاضل (التقريب ١٨٧/٢) عن شيخه أبي عون الثقفي وهو ثقة من رجال الشيخين (التقريب (١٨٧/٢) عن شيخه التابعي الثقة أبي صالح عبد الرحمن بن قيس الحنفي (التقريب ٤٩٥/١).

Twitter: @ketab_n

لقد ثارت المعارك في نفوس الصحابة، واستعر لهيبها في دمائهم، فقال ﷺ لهم قولاً ينظم حماسهم وتوثبهم، ويسدد رميهم وسيوفهم.. قولاً يفتك بأعدائهم.

ها هو أحدهم أبو أسيد الساعدي ممتلئاً بالحماس والتوثب، سألناه: ماذا قال لكم نبينا يا أبا أسيد الساعدي فقد كنت بين الصفوف؟

فقال رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ حين اصطففنا يوم بدرٍ: إذا أكثبوكم - يعني إذا غشوكم - فارموهم بالنبل، واستبقوا نبلكم)[1].

يكاد الصبر يفتك بالصف المؤمن.. ذلك الصف المرصوص كالبنيان، إلا لبنة قويةً كانت تتململ.. تشعر بالحرج.

إنه عبد الرحمن بن عوف، فما الذي جرى له؟ ولماذا يشعر بالإحراج وكأنه يريد أن يغير مكانه؟

عبد الرحمن بن عوف يتمنى مكاناً آخر

أيتمنى ابن عوف أنه كان في بيته، حتى لا يقاتل عشيرته وأبناء عمومته؟ أم هو خائف؟

الأمر ليس كذلك، فليست هذه طباع عبد الرحمن بن عوف، لكن القدر ساقه ليكون بين غلامين صغيرين في الصف.. كان ينظر يميناً فيرى غلاماً، وينظر عن يساره فيرى مثل ذلك. ماذا سيفعل ابن عوف؟ لم يمهله الغلامان، لقد بادراه بالهمس. كان همساً غريباً.. كان كل واحد منهما لا يريد أن يُسمع صاحبه ما يقول. ما قصة هذين الغلامين؟

سألنا عبد الرحمن بن عوف عما جرى له مع هذين الغلامين فقال: ([إني لواقف] يوم بدر في الصف، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما [سراً من صاحبه] فقال: يا عم أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم، وما حاجتك إليه؟ قال: أخبرت

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٣-٧٠) وغيرهم.

Twitter: @ketab_n

أنه يسب رسول الله ﷺ، [عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه] والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك.

فغمزني الآخر فقال لي أيضاً [سراً من صاحبه] مثلها، [فما سرني أنني بين رجلين مكانهما]، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني)[1]

سلَّ كل فتىً سيفه ليسبق صاحبه إليه، لكننا سنسبق الفتيان إلى أبي جهل. ها هو.. إنه يحرض الناس على القتال، بل إنه يفعل أمراً عظيماً طالما كفر به، إنه يدعو الله وحده.. إنه لا يدعو الأصنام.. لماذا؟

هل أسلم أبو جهل

هل أسلم في اللحظات الأخيرة؟ يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (إن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم [أينا كان] أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرفه فاحنه الغداة، فكان المستفتح)[2].

لم يسلم أبو جهل.. كان يريد استدراج سذاجة قومه أكثر فأكثر للقتال..

كان لا يريد أن تقع كارثة، فزعامته لقريش مرهونة بهذه المعركة، وببقاء رسول الله ﷺ حياً.. كأني بأمية بن خلف يستمع إلى دعائه فيقول: لعنة الله عليك من أفاك..

وقد أنزل الله على نبيه آيات تبشر أبا جهل بما أراد فقال سبحانه: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] وأبو جهل ليس منهم.. إنه يحاول أن يكرس وهماً في نفوس أتباعه بأنهم على حق. لم يكتف أبو جهل بالاستفتاح والاستنصار من الله، لقد هرع إلى عتبة بن ربيعة ليسخر منه أمام الجميع، وليجعله أضحوكة وعبرة لمن يفكر بالتراجع عن الحرب مجرد تفكير.

---

(١) صحيح البخاري ٣-١١٤٤ والزوائد له أيضاً لكن في رواية أخرى.

(٢) رواه ابن إسحاق بسند صحيح ومن طريقه الإمام أحمد ٥-٤٢١: حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة ابن صعير. والزهري ثقة وشيخه صحابي والسند مر معنا من قبل.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٩.

Twitter: @ketab_n

وقف أبو جهل أمام عتبة (فقال: أنت تقول ذلك! والله لو غيرك يقول لأعضضته، قد مـلأت رئتك جوفك رعباً)[1]، ففضب عتبة من تلـك الكلمات الجارحة، ونجح أبو جهـل في إثارته، فأخذته العزة بالإثم، فالتفـت إلى أبي جهل وقد احتقن من الغضب فقال له شيئاً يمرغ رجولته وزعامته.. قال عتبة لأبي جهل: (إياي تعني يا مصفر أسته، سـتعلم اليوم أينا الجبان)[2](ستعلم من الجبان المفسد لقومه، أما والله إني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً، أما ترون؟ كأن رؤوسهم الأفاعي، وكأن وجوههم السيوف)[3].

تجمد الدم في عروق أمية، وأدرك أبو جهل أن حمزة في الطريق، وتهاوت معنويات الوثنيين، لكن عتبة أصر على الخروج ليغسل عار الجبن الذي سكبه عليه أبو جهل، ثم صاح بعد أن لف قطعة قماش على رأسـه: يا شـيبة بن ربيعة.. يا وليد بن عتبة، لقد (دعا أخاه وابنه فخرج يمشـي بينهما)[4] (فقالـوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار مشببة)[5] (ثلاثة نفر: عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء، ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة. فقال: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. فقالوا: ما لنا بكم حاجة.

ثم نـادى مناديهم: يا محمد أَخْرِجْ إلينا أكفاءنا من قومنا)[6] و(قال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن نبارز من بني عمنا من بني عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ:

(قم يا حمزة.. وقم يا علي.. وقم يا عبيدة)[7]

ثلاثة من بني عبد المطلب كأن وجوههم السيوف.. ثلاثة أقبلوا كأنهم الموت، فكان عتبة الضحية لحمزة هذا اليوم، فهوت حكمته وشـجاعته، وشـركه وعناده على أرض

---

(١) حديث صحيح مر معنا وهو جزء من حديث الإمام أحمد ١ - ١١٧.
(٢) هو جزء من الحديث الصحيح السابق ١ - ١١٧.
(٣) سنده صحيح. رواه البزار زوائد ٢-٣١٣. يزيد بن هارون أنبأنا جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن عباس. جرير ثقة إذا روى عن غير قتادة، ويزيد ثقة وتلميذه شيخ البزار إبراهيم بن سعيد الجوهري ثقة التقريب ٦٠٦ و٨٩ وللحديث شواهد.
(٤) جزء من حديث البزار السابق وهو صحيح زوائد ٢-٣١٣.
(٥) جزء من حديث أحمد الصحيح وقد مر معنا ١ - ١١٧.
(٦) جزء من حديث ابن إسحاق وهو حسن بحديث أحمد السابق.
(٧) جزء من حديث أحمد الصحيح وقد مر معنا ١ - ١١٧.

Twitter: @ketab_n

بدر، وهوى أخوه شيبة جثة هامدة تحت قدمي علي. لم يستغرقا وقتاً طويلاً أمام هذين الفارسين من بني عبد المطلب، لكن ماذا حدث لعبيدة بن الحارث رضي الله عنه.

علـيٌّ يقـص علينا ما حدث فيقـول: (أقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شـيبة، واختلـف بين عبيدة والوليـد ضربتان، فأثخن كل واحدٍ منهمـا صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه، واحتملنا عبيدة)[1]

ابتهج ﷺ بفرسـانه، وفـرح بانتصارهم، وتحمس المؤمنون جميعـاً لعناق الموت، فرائحة الشـهادة تعطـر أجواء بدر.. تأجج حماسـهم، وأيقنوا كمـا أيقن نبيهم ﷺ بالنصر، فصاح بأصحابه: (قوموا إلى جنة عرضها السموات الأرض)[2].

سمع أحد الصحابة -وهو الذي كان يحمل تمراً في جيبه- سمع ذكر الجنة فطار قلبه، وتوجه نحو رسـول الله ﷺ كالفرح، ولما وقف أمامه قال: (يا رسـول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال ﷺ: نعم.

قال: بخ.. بخ. فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قول بخ.. بخ؟ قال: لا والله يا رسـول اللهً، إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال ﷺ: فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن)[3].

ما هذا الرجل، ومن هو..؟ يبشـره ﷺ بالجنة فيأكل تمراً..!! سنعرف بعد قليل، فلنعد إلى رسول الله ﷺ حيث لا تمر في كفيه، لكن كفه كانت مليئة بشيء غير التمر.. شيء لا يؤكل. فما هذا الشيء وماذا يريد أن يفعل به؟

لقد (أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى بيده، ثم خرج فاستقبل القوم، فقال:

شاهت الوجوه

ثم نفحهم بها، ثم قال لأصحابه: احملوا)[4] فانطلق الصحابة كالسـهام.. كالموت، ونظـر صاحب التمـرات إلى تمراته، ثم قال: (لئن حييت حتـى آكل تمراتي هذه إنها

---

(١) سنده صحيح. رواه أبو داود ٢-٥٩ وغيره بسند إسرائيل عن أبي إسحاق... السابق.

(٢) حديث صحيح. رواه مسلم ٣- ١٥٠٩.

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم ٣-١٥٠٩.

(٤) سنده قوي مر معنا رواه الأموي (ابن كثير ٤٣٤/٢) حدثنا أبي حدثنا ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير. الزهري ثقة وشيخه صحابي والأموي وولداه ثقتان.

Twitter: @ketab_n

لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل)[1] قتل شهيداً رضي الله عنه وأرضاه.. هذا الشهيد أنصاريٌ يدعى: عمير بن الحمام.

أما حمزة فقد شق صفوف الوثنيين بسيفه.. يتساقطون أمامه واحداً واحداً. أحد الجبناء: أمية بن خلف كان ينظر إليه وينتفض، وينتفض السيف في يده، وتتنفض الريشة التي زين بها حمزة صدره.. أمية بن خلف كان يرتعد خوفاً ويقول لمن حوله: (ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل) وهو لم يحدد من ذلك الشخص بعد.. لم يعرف أنه حمزة بعد، وكان أحد ضحايا حمزة رجل من مشاهير قريش اسمه: (طعيمة بن عدي) وهو أخو الرجل الشهم (المطعم بن عدي).

ومن مكان آخر انطلق عبد الرحمن بن عوف، وانطلق الشابان كقذيفتين من حوله.. يتسابقان نحو رأس أبي جهل، لكن كيف والمشركون كالشجر الملتف حوله.. يحمونه من سيوف المهاجرين والأنصار؟ أي سيف سيشق طريقاً نحو أبي جهل..؟ أي سيف سيجز ذلك الشجر الوثني الملتف حول أبي جهل..؟

الذين صنعوا الأحداث يتحدثون. عبد الرحمن بن عوف يقول للغلامين وسط الموت والسيوف: (نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه [فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين] فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال: أيكما قتله؟

قال كل منهما: أنا قتلته. قال ﷺ: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا.

فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال: كلاهما قتله. وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والآخر معاذ بن عفراء)[2]

هذا ما حدث باختصار، أما التفاصيل فعند من خاض سيفه في تفاصيل أبي جهل.. التفاصيل عند معاذ بن عمرو بن الجموح، فبعد أن أشار عبد الرحمن بن عوف بيده إلى أبي جهل قال معاذ: (سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة[3] وهم يقولون:

---

(١) هو باقي حديث مسلم السابق.

(٢) حديث صحيح. رواه مسلم ٣-١٣٧٣ وما بين المعقوفين عند البخاري.

(٣) الشجر الملتف.

Twitter: @ketab_n

أبو الحكم لا يخلص إليه، فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربةً أطنت[1] قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنـــواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها، وضربني ابنه عكرمة على عاتقـــي فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضنـــي[2] القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأســـحبها من خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليهـــا حتى طرحتها، ثم مـــر بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق)[3] فتركه يشقى بآخر أنفاسه.. تدوسه الأقدام وتدوس زعامته، ويكسوه التـــراب الذي طالما نثره في وجوه الضعفاء والمســـاكين. هوى الطاغية الشـــرس الذي قضى أكثر من عشر سنين في محاربة الله ورسوله ﷺ.. قضاها في اضطهاد الفقراء، وقتل العجائز والمسنين من المؤمنين.. هوى هذا الكافر على يد شابين صغيرين اقتحما ثأراً لله ولرسوله وللمؤمنين، وخيم الموت على أبي جهل، والتهمت الصحراء ساقه.

خيمـــة من الموت ضربها الشـــابان الأنصاريـــان عليه، فلم يبق منه ســـوى عينين زائغتين.. تضعفان كلما سقط طاغوت آخر...

ها هو الطاغوت الآخر: عقبة بن أبي معيط يهوي إلى الأرض.. سقط سيفه، وسقط شـــركه، لكنه لم يمت ما زال حياً.. إنه يرسف في قيوده، وأحد فرسان الإسلام يقتاده كذلٍ وديع.. يمر به على جثث رفاقه في اضطهاد محمد عليه السلام فيرتجف.

وهنا طاغوت ثالث يرتطم بالأرض.. يرتج عند ارتطامه.. إنه أمية بن خلف، وشحمه الذي يلف جسداً يتموج من الرعب، وبالقرب منه يسقط علي ويرتجف من الخوف.

أجل عليٌّ خائف جداً فســـيفه ليس بيده، وهو يخشـــى طعنة من هنا أو هناك، أو أن تدوسه الأقدام والحوافر، فما الذي أصاب علياً؟ ومن الذي أسقطه وكيف يرتجف من الخوف؟

---

(١) أطارت.

(٢) أي حال بينيه وبينه.

(٣) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق والبيهقي (٣/٨٤) حدثني ثور بن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس. عكرمة تابعي ثقة وثور بن يزيد الحمصي ثقة ثبت. التقريب ١٣٥.

Twitter: @ketab_n

علي خائف من الموت

أما كيف.. فلا بد أن أحد فرسان الإسلام قد أسقطه عن ظهر دابته، وأما لماذا.. لماذا أسقط ذلك الفارس علياً عن ظهر دابته. فالسبب بسيط.. لقد أسقطه، لأنه علي بن أمية بن خلف وليس علي بن أبي طالب، فابن أبي طالب يصول ويجول كالأسد بين عجول الشرك.. يلتقي بمن شاء، ويُسقط ما شاء منهم.. أما علي بن أمية فهو كالذبيحة قرب أبيه الجبان.. قرب أبيه الذي شاهد الموت عدة مرات. لم ينفعه أبو جهل، ولا هبل، ولا بعيره الذي اشتراه بأغلى الأثمان. فأبو جهل يتلبط في دمائه، وهبل حجر تركه في مكة، وبعيره وبعير ابنه بين غنائم المؤمنين، والموت قادم.. قادم يا أمية..

لكن أمية -فجأة- يشعر أن الحياة قادمة.. إنه يرى من خلال الموت فرجة إلى الحياة.. يحملها أحد المهاجرين.. يحملها عبد الرحمن بن عوف وهو شاهر سيفه يجندل به جنود الشرك، لكن أي أمل يحمله عبد الرحمن وسيفه يقطر دماً؟!

يبدو أن أمية بن خلف يحمل سراً، فلقد تطلق وجهه واستبشر عندما رأى عبد الرحمن بن عوف، ويبدو أن ابن عوف يحمل في ذاكرته المزيد عن تفاصيل ما حدث في بدر.

دعونا نستمع إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يحكي سر أمية، وآخر آمال أمية، فهو إن لم ينج الآن على يد صديقه ابن عوف فسوف ينتن على أرض بدر.

قصة أمية وعبد الرحمن بن عوف

كان أمية وعبد الرحمن صديقين في الجاهلية، وكان بينهما تعامل تجاري بعد الإسلام، بل وبعد الهجرة.. هذه العلاقة تخللتها قصة مثيرة، بدأت في مكة قبل الإسلام فمتى ستنتهي..؟

يحدثنا عن بدايتها وعن نهايتها عبد الرحمن بن عوف فيقول: (كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت: عبد الرحمن، فكان

Twitter: @ketab_n

يلقاني ونحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو، أرغبت عن اسم سماك أبوك؟ فأقول: نعم هداني الله للإسلام، فتسميت عبد الرحمن. قال: إني لا أعرف الرحمن)[1].

ومضت الأيام والأحداث بالاثنين.. بقي أمية في مكة على شركه وأصنامه، وهاجر عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة، ومارس التجارة بعد أن دلوه على سوق المدينة، فصار أحد رجال الأعمال والتجار الناجحين. ويمضي ابن عوف متحدثاً عن قصته مع أمية وهو في المدينة فيقول: (كاتبت أمية بن خلف كتاباً: بأن يحفظني في صاغيتي بمكة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة)[2] (كان بيني وبين أمية بن خلف كتابٌ، بأن يحفظني في ضياعي بمكة، وأحفظه في ضياعه بالمدينة، فلما ذكرت: الرحمن، قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته: عبد عمرو.

فلما كان يوم بدر)[3] (مررت به وهو واقف مع ابنه علي، وهو آخذ بيده، ومعي أدراع لي قد استلبتها فأنا أحملها، فلما رآني قال: عبد عمرو. فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم، قال: هل لك في، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التي معك؟ قلت: نعم، ها الله.

فطرحت الأدراع من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن، ثم خرجت أمشي بينهما)[4](خرجت به إلى شعب لأحرزه حتى يأمن الناس)[5]، وتوجه الثلاثة إلى ذلك الشعب، ثم توجهوا (إلى جبل)[6]، فارتاحت نفس أمية بن خلف.. يا لها من أيام عصيبة تلك التي كانت تحمل في دقائقها الموت والحياة معاً لأمية.

---

(١) حسن. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي ٣-٩١: حدثني يحيى بن عباد عن أبيه وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن قالا: وهناك انقطاع بين صالح وجده، لكن عباد تابعي كبير والحديث حسن بما بعده وحديث صالح موصول عند البخاري وهو التالي.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٢٣٠١) والصاغية: الحاشية والأتباع.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي واللفظ له (٣-٩٠).

(٤) حسن. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٣-٩١): حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قالا: وفي الطريق الثانية انقطاع بين صالح وجده لكن عباد بن عبد الله ابن الزبير تابعي كبير والحديث بعد هذا حسن بما بعده وحديث صالح موصول عند البخاري وهو ما بعده.

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي واللفظ له (٣-٩٠).

(٦) جزء من حديث البخاري (٢٣٠١).

Twitter: @ketab_n

اطمأن أمية فتحدث عن اللبن الذي سيشـــربه ابن عوف وأصحابه من نياق أمية، التي ســـيفتدي نفسه وابنه بها، واسترخت أعصابه، فاسترسل في الحديث وقال لعبد الرحمن بن عوف وهو يمشـــي (بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما: يا عبد الإله: من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟

قلت: حمزة. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل)[1]

وواصلوا المشـــي والمسير، وفجأة دوت صرخة مرعبة من بعيد.. اتسعت لها عيون أميـــة وابنـــه.. صرخة قلبت أرض بدرٍ على رأس أمية مـــن جديد.. صرخة من أعماق مضطهـــد لا تزال جراحه تلتهب. يقول عبـــد الرحمن بن عوف: (فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي -وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على الإســـلام- فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قلت: أي بلال، أسيري.

قال: لا نجوت إن نجا. ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلـــف لا نجوت إن نجا)[2] (فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال: أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا أمية بن خلف.

فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشـــيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه، ثم أتوا حتى تبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: أبرك.

فبرك، فألقيت عليه نفســـي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي)[3] (فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة[4]، فأنا أذب عنه، فأخلف رجل بالسيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط، قلت: انج بنفسك ولا نجاء، فوالله ما أغني عنك شيئاً، فهبروهما بأسيافهما حتى فرغوا منهما)[5]..

---

(١) ســـنده صحيح رواه ابن إســـحاق ومن طريقه البزار (٣-٢٢٧)وغيره: حدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف. إبراهيم له رؤية وابنه تابعي ثقة وشيخ ابن إسحاق ثقة وجرح ابن حبان لا يضره.

(٢) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق وهو الحديث السابق.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٢٣٠١).

(٤) التفوا حولنا وكأنهم داخل بئر صلبة لا تحتاج إلى طي.

(٥) حديث صحيح. جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

Twitter: @ketab_n

(قتلوه وأصاب أحدهم رجلي بسيفه)[1]..

يتذكر عبد الرحمن رضي الله عنه ذلك مبتسماً ويقول: (يرحم الله بلالاً، فجعني بأدراعي وبأسيري)[2].

وهكـذا انتهت قصة أمية الطويلة، كما تنتهي قصص كثير من أمثاله الذين قضوا حياتهم في التعذيب، والتنكيل بمن يقع بين أيديهم من المؤمنين والضعفاء والمساكين.. انتهت حياته على يد من كان يتفنن في تعذيبه، ويسلقه تحت شمس مكة المحرقة. لقد (اشترى أبو بكر بلالاً، وهو مدفون بالحجارة)[3] الحامية في حرارة الصيف.. دفنه أمية، فهل سيدفن أمية بالحجارة؟

لم تنته المعركة بعد، والساحة حبلى بالمشاهد المثيرة.. المثيرة، فهذا سعد بن أبي وقاص، وقد سقط أخوه الصغير عمير شهيداً.. يقاتل بضراوة، وكأنه يقاتل عن اثنين.. كأنه يقاتل عن أخيه الصغير. يشاهده عبد الله ابن مسعود فيتعجب من شجاعته ويقول: (كان سعد يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر قتال الفارس والراجل)[4]

وفي مكان آخر كان الزبير بن العوام فارساً يقتحم قلعة من الحديد، فتتهاوى بين يديه.

يقول رضي الله عنه: (لقيت يوم بدر عبيد بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش. فحملت عليه بالعترة فطعنته في عينه فمات)[5].

وسقط مع من سقط من الكفار، الذين ملأت جثثهم أرض بدر، ورأى المشركون ما يحدث لقادتهم وأبطالهم، فجمعوا شظايا عزم لديهم، فشدوا على المسلمين في محاولة يائسة.. محاولة كالانتحار، وهي في حركتها تشبه كتلة من اللهب تهوي على

---

(١) حديث صحيح. جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

(٢) حديث صحيح. جزء من حديث ابن إسحاق السابق.

(٣) حديث صحيح مر معنا في المجلد الأول.

(٤) سنده قوي رواه البزار ٢-٣١٥ حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود. وهناك انقطاع بين إبراهيم وابن مسعود، ورواه متصلاً عن إبراهيم بن يوسف حدثنا أبو معاوية. فجعل علقمة بين إبراهيم وابن مسعود، وإبراهيم في التقريب صدوق به لين والصواب أنه: ثقة فجرح النسائي غير مفسر التهذيب ١-١٨٥.

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٩٨).

Twitter: @ketab_n

الأرض، فتتطفئ لكنها تؤذي من يتصدى لها. ومع ذلك كان أشجع الناس يتقدم كالموج يطفئها.. كالموت يخمدها، وخلفه كان سعد الذي يقاتل كرجلين، والزبير الذي يهزم الحديد، وعلي بن أبي طالب بشجاعته المعروفة، وعمه حمزة الذي فعل بهم الأفاعيل، وعمر بن الخطاب الذي تهابه كل قريش، وأبو بكر الصديق درع رسول الله ﷺ...

هؤلاء الذين صنعوا الأحداث والتاريخ.. هؤلاء وغيرهم قاتلوا في ساعة من ساعات بدر خلف ذلك الشجاع فمن هو:

أشجع رجلٍ في بدر؟

إنه رسول الله ﷺ، وأحد الذين كانوا يلوذون بشجاعة رسول الله ﷺ.. أحد الذين كانوا يلوذون بسيف رسول الله ﷺ يحدثنا بنفسه فيقول: (لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً)[1] و (لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله ﷺ، وكان أشد الناس بأساً)[2]

وأمام هذا البأس تساقط المشركون من اليأس، وتفتت آخر حلم وثني على أرض بدر، وعلى سماء بدر أيضاً؛ فجيش محمد ﷺ ليس على الأرض فقط، بل وفي السماء له جيش.

أحد الذين كانوا يقاتلون المؤمنين.. أحد الذين أصابهم اليأس والإحباط.. رأى بين السماء والأرض شيئاً كالبساط.. شيئاً قادماً لمحمدٍ، ولأصحاب محمد ﷺ. فماذا رأى جبير بن مطعم، وما أثره على قومه.

يقول جبير: (رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود، أقبل من السماء مثل النمل الأسود، فلم أشك أنها الملائكة، فلم يكن إلا هزيمة القوم)[3] الكافرين الذين تطايروا من جديد كالشظايا.. هرباً من الحتف القاسي الذي يمتطي

---

(١) حديث صحيح. رواه ابن أبي شيبة (٣٥٤/٧) وانظر ما بعده.

(٢) سنده صحيح. رواه أحمد ١-١٢٦ والبيهقي ٣-٦٩ واللفظ. وسنده وسند ما قبله هو: إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي وقد مر معنا كثيراً.

(٣) سنده قوي. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٦١/٣): حدثني أبي عن جبير بن مطعم. والد ابن إسحاق ثقة روى عن معاوية ومعاوية توفي بعد جبير رضي الله عنهما.

Twitter: @ketab_n

نواضح يثرب بعد أن أطلقه ﷺ.. أطلق شباب الإسلام حماساً يفتك بأوصال الوثنية.. حماساً أوقده ﷺ عندما قال: (من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا، فسارع في ذلك شبان الرجال وبقي الشيوخ تحت الرايات)[1]

وبين بريق الانتصار، وبرق التسابق نحو رقاب الطغاة كان هناك من يسابق الشباب نحو تلك الرقاب. هذا أحد شباب الإسلام، واسمه الحارث ويكنونه بأبي واقد الليثي.. يشتد مسرعاً نحو أحد الطغاة فيشاهد العجب.. العجب.

يقول رضي الله عنه: (إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه، فوقع رأسه قبل أن يصل سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله)[2]

كان أحد الملائكة لا شك.. الملائكة التي تحز الرقاب، وتلطم الأنوف والوجوه المشركة؛ فبين السماء والأرض كان هناك صراخ.. كان هناك حيزوم. ولا أدري ما هذا المخلوق الذي تردد اسمه في الفضاء؟ هل هو جواد ذو أجنحة، أم أن حيزوماً ملك من الملائكة؟ لكنه كان مسرعاً لا شك.. يسابق أحد الفرسان نحو أحد المشركين.. فـ (بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. إذ نظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقياً، فنظرنا إليه، فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة)[3] ومدد السماء لم يقتصر على حز الرقاب ولطم الأنوف والوجوه، وتمريغها في الذل.. مدد السماء كان يفعل شيئاً آخر.

عم رسول الله ﷺ (العباس بن عبد المطلب) كان قد خرج مع قريش فوقع في الأسر، وها هو الأنصاري الذي أسره يقتاده نحو رسول الله ﷺ، لكن العباس يصر على أن هذا الأنصاري القصير القامة لم يأسره، والأنصاري يصر على أنه أسره!

---

(١) حديث صحيح؛ وصححه الإمام الألباني في صحيح أبي داود (٥٢٢/٢).

(٢) سنده حسن. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي ٣-٥٦ حدثني والدي إسحاق بن يسار حدثني رجال من بني مازن عن أبي واقد الليثي. شيوخ والده جمع وهو يروي عن الصحابة، فإن كانوا صحابة صح السند وإن كانوا من كبار التابعين فيقوي بعضهم بعضاً.

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم والبيهقي واللفظ له ٣-٥٢.

Twitter: @ketab_n

لم يكذب الأنصاري، ولم يكذب العباس؟ والحقيقة عند رسول الله ﷺ، لقد (جاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله، والله إن هذا ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً، على فرس أبلق ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله.

فقال ﷺ: اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم)[1]، لا بشيطان رجيم. لكن يا ترى أين الشيطان الرجيم من هذه الأحداث.. لا شك أنه بين صفوف المشركين يتلقى نصيبه من الهزيمة والذل. أخبرنا عن ذلك ربنا وهو يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾[2]

لما تهاوت الأجساد من حوله، وشخبت الدماء منها خاف أن يلقى المصير الذي لقيته تلك الجثث ففر، وفر المشركون قبله.. تطايروا كالشظايا في الشعاب والجبال، وانقشعوا عن أرض بدر، فانقشع الغبار، وهدأت الأنفاس.. تأمل ﷺ ذلك المشهد، وتأمل فرسانه من حوله، فإذا الساحة صمت حزين ورهيب.. منظر لا يسر.. سبعون جثة من قريش بلا حراك.. سبعون جثة لأبناء العمومة والعشيرة.. بلا أرواح.

ما الذي أوصلهم إلى هذه المأساة؟ من وما الذي قادهم إلى هذه النهاية المخيفة.. إلى الهزيمة وإلى جهنم؟

أبو جهل قادهم، والشيطان أجج الشرك في نفوسهم. أما يكفيهم ثلاثة عشر عاماً من حديث رسول الله ﷺ.. من حب رسول الله ﷺ، ورحمته وحرصه عليهم؟!!

نهاية مخيفة تلك التي انتهى إليها أولئك السبعون.. لقد فر أصحابهم وتركوهم للشمس والغبار، وتركوا مثل هذا العدد بين القيود والحبال.. سبعون أسيراً يغشاهم الذل، وتجللهم الهزيمة.

---

(١) هو جزء من حديث أحمد ١-١١٧ المشهور عن علي وقد مر معنا.

(٢) سورة الأنفال: الآيتان ٤٧، ٤٨.

Twitter: @ketab_n

ها هو الشـــرير: عقبة بن أبي معيط بين الأسرى، وها هو أبو يزيد واسمه:سهيل بن عمرو أسير أيضاً، وها هم الصحابة يستجيبون لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، فيكتفون بأسر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وأسر ابن عمه عقيل بن أبي طالب، لأنهم خرجوا كارهين لقتال رســول الله ﷺ كما قال نبي الله ﷺ: «من اســتطعتم أن تأسروا من بني عبد المطلب فإنهم خرجوا كارهين»[1]

لكــن لماذا لــم ينه ﷺ عن قتل أمية بن خلف وقد خرج كارهاً أيضاً..؟ السـبب لا يحتاج إلى كثير من التفكير، فأمية بن خلف كان من أشرس الناس على الإسلام وأتباعه خاصة بلال بن رباح بعكس بني عبد المطلب، ثم إن أمية لم يكن كارهاً لقتال المسلمين.. إنه يتمنى ســحقهم وســحق نبيهم ﷺ، لكنه كان خائفاً على نفسه لأنه يدرك أن رسول اللــه ﷺ لم، ولا، ولن يكذب. وقد توعــده بالموت وهو يدرك خطورة وعيده ﷺ. لذلك اشترى تلك الراحلة ليهرب عندما يلوح الخطر، لكن الذي لاح لأميه لم يكن الخطر.. إنه شيء أكثر خطورة.. إنه بلال وقد (كان هو الذي يعذب بلالاً في مكة على الإسلام)[2]

ثم إن بني عبد المطلب دافعوا عن رســول الله ﷺ، وشــاركوه في المعاناة والسجن في الشّعب.. لم يشذ عن هؤلاء الكرام إلا شرير يُسمى (أبو لهب)، وهو لم يحضر إلى أرض المعركــة، ربما كان مريضاً، وقد أســر بالإضافة إلــى العباس وعقيل زوج حبيبة رســول الله ﷺ.. زوج ابنته زينب، التي كانت كارهة لخروج زوجها، وخائفة على دينها ونبيها وأبيها ﷺ، وقد كان من السهل أسر هؤلاء الثلاثة، فهم لا يشعرون في أعماقهم بأي دافع لهذه المعركة سوى عنجهية أبي جهل وغطرسته. أبو جهل!!

أين أبو جهل يا ترى؟ إنه ليس بين القتلى ولا بين الأسرى والحبال؟

---

(١) رواه أحمد (٨٩/١) بسـند حســن من أجل أبي ســعيد شــيخه وهو حســن الحديث من رجال البخاري (التقريــب ٤٨٧/١) قال الحافظ: صدوق ربما أخطأ، ولعل الصــواب أنه ثقة ربما أخطأ. انظر التهذيب وقد قال أبو سعيد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي... وهذا السند صحيح وقد مر معنا.

(٢) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن قتل أمية بن خلف.

Twitter: @ketab_n

أين أبو جهل

ذلك المجرم، الذي رفض الإسلام حسداً لأن النبوة لم تكن في بيته. أين الطاغوت الـذي أخرج قريشـاً وهي كارهة لترقص حوله وهو يشـرب الخمـر..؟ إنه ليس بين القتلى، ولا بين الأسرى؟

لذلك (أمر رسـول الله ﷺ أن يلتمس في القتلـى)[1] وقال لأصحابه: (من ينظر مـا صنع أبو جهل)[2] (من يعلم ما فعل أبو جهل)[3] فتقدم رجل نحيل الجسـم.. دقيق السـاقين.. كان يرعى الغنم في مكة، وكان أبو جهل قد اسـتضعفه ذات يوم في مكة فـآذاه. تقدم هذا الرجل النحيل الصالح وقال لرسـول الله ﷺ: (أنـا يا نبي الله)[4] فانطلقت تلك السـاقان تنفيذاً لإرادة رسـول الله ﷺ، وبعد قليل هدأتا وتهادتا نحو جريح ينزف.. قد طارت سـاقه، وطار صوابه. حدق به ابن مسعود، فإذا هو أبو جهل (فوجـده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟ قال: وهل فوق رجل قتلتموه أو قتله قومه)[5] فقال ابن مسعود: (قد أخزاك الله. فقال: هل أعمد مـن رجل قتلتموه)[6] أي حقد ينضح من جثـة هذا الطاغية، وأي روح خبيثة تلك التي بين جنبيه.

لقد كان أبو جهل جثّة.. كتلةً متورمة من العناد، فهل سـيتركه ابن مسـعود ليخبر رسول الله ﷺ.. أم ماذا؟

ماذا فعل ابن مسعود بأبي جهل

قـال رضي الله عنه: (أدركـت أبا جهل يوم بدرٍ صريعاً فقلـت: أي عدو الله قد أخزاك الله. قال: وبم أخزاني من رجل قتلتموه؟!

---

(١) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن انقضاض معاذ بن عمرو بن الجموح على أبي جهل.
(٢) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٨٦/٣ - ٨٧).
(٣) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٨٦/٣ - ٨٧).
(٤) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٨٦/٣).
(٥) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٨٦/٣).
(٦) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي (٨٧/٣).

Twitter: @ketab_n

ومعي سيف لي، فجعلت أضربه ولا يحيك فيه شيء، ومعه سيف له جيد، فضربت يده، فوقع السيف من يده، فأخذته، ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته.

فقال: الله الذي لا إله إلا هو؟ قلت: الله الذي لا إله إلا هو -حتى حلفني ثلاثاً- [قال: انطلق فاستثبت، فانطلقت فأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته].

فقال رسول الله ﷺ: فانطلق فأرني. فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه ﷺ قال: هذا فرعون هذه الأمة)[1] رأسه هنا، ورجله هناك، وباقيه في مكان آخر.

أبو جهل الذي جمع الشرك كله، ورفض الحكمة كلها. أبو جهل الذي وصف رسول الله ﷺ وأصحابه بأنهم مجرد لقمة.. مجرد أكلة جزور.. أبو جهل الذي اتهم عقلاء قومه بالجبن.. يسقط على أرض بدر دون أن يمس أحداً من المؤمنين بأذى.. دون أن يشفي غليله ولو بضربة واحدة، أما سيف أبي جهل الثمين، فلم تصدر منه سوى ضربة واحدة متجهة نحو رقبة صاحبها.. نحو أبي جهل. هلاك أبي جهل مروع، والتاريخ يكتب للطغاة بحبر المضطهدين. لكنهم لا يقرأون، ولا يفيد من التاريخ سوى العقلاء. هلك أبو جهل بسيفه، والذين مزقوه شباب صغار انتقاما ونصرة لحبيبهم عليه السلام، والذي أجهز عليه وحز رأسه أحد الضعفاء، الذين أخافهم كثيراً، وأذلهم كثيراً في شوارع مكة وأزقتها، بل وفي بيت الله الحرام.

ترى هل يتذكر ابن مسعود وهو يجهز على أبي جهل ذلك اليوم الذي كان فيه خائفاً بجوار الكعبة الآمنة.. ينظر إلى حبيبه ويتمزق حرقة، لكنه لا يستطيع فعل شيء؟ فـ (بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور (بني فلان) فيأخذه فيضعه على كتِفَي محمد إذا سجد؟

---

(١) سنده قوي. رواه الطبراني ٩-٨٣ حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا أبو المعافى محمد بن وهب بن أبي كريمة حدثنا محمد بن أبي تملة عن أبي عبد الرحيم عن زيد ابن أبي أنيسة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود.. ابن أبي تملة لم أجد له من ترجمة والصواب محمد بن سلمة الحراني ابن أخت عبد الرحيم الحراني من تلاميذ خاله ومن شيوخ ابن وهب. التهذيب ٩-٥٠٦ و٩-١٩٣-١٩٤ وهؤلاء ثقات كلهم، وابن ميمون مخضرم ثقة، التقريب ٤٢٧ وشيخ الطبراني حافظ جليل. أعلام النبلاء ١٤-٥٧ وللحديث شواهد منها الطبراني ٩-٨١-٨٢-٨٣ ومنها حديث سنده قوي عند البزار.

Twitter: @ketab_n

فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل إلى بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحت عنه ثم أقبلت عليهم تسبهم.

فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل، سأل ثلاثاً، ثم قال النبي ﷺ: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش.

فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل ابن هشام، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط»[1].

واليوم سقط هؤلاء كلهم.. كلهم إلا عقبة بن أبي معيط، فأين هو..؟ هذا المجرم لا يزال حياً.. إنه بين الأسرى، ولا أدري ما سيفعل به رسول الله ﷺ، لكنه يتعذب الآن بمنظر شركائه في الإجرام وقد بدأوا ينتنون وينتن شركهم، وقد تحققت دعوة رسول الله ﷺ عندما: (استقبل رسول الله ﷺ البيت، فدعا على نفر من قريش فيهم أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط.

قال ابن مسعود: فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر، قد غيرتهم الشمس، وكان يوماً حاراً)[2] وفي اليوم الحار تنتن الجثث سريعاً. إذاً فلا بد من دفن تلك الجثث، ولو كانت جثث كفار، هذه هي تعاليم الإسلام، والإسلام دين صحة ونظافة، ودين يحترم الإنسان لآدميته، ورسول الله ﷺ يقول لأمته: (أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها عليه، وإن تكن غير ذلك فشر تضعونه على رقابكم)[3] لذلك أمر ﷺ أن تقذف تلك الجنائز في بئر كان موجوداً على أرض بدر، ف (نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين من صناديد قريش، فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث)[4] بئر يعج برائحة الموت وعفن الشرك، و (لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه

---

(١) حديث صحيح. رواه مسلم الجهاد والزوائد له ، والبيهقي ٢-٢٨٠ واللفظ له.
(٢) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي ٢-٣٣٥.
(٣) حديث صحيح. رواه البخاري ١ - ٤٤٢ ومسلم ٢-٦٥١.
(٤) حديث صحيح. رواه البخاري ٤-١٤٦١.

Twitter: @ketab_n

فملأهـا، فذهبوا ليخرجوه فتزايـل لحمه، فأقروه، وألقوا عليه مـا غيبه من التراب والحجارة)[1]... هلك أمية ين خلف.. لم يحفر له قبر كبقية الناس، فقد تفسـخ لحمه فتركوه، ودفنوه بالحجارة بعد أن قتله بلال. يال انتقام الجبار لبلال المؤمن المسكين!

أيتذكر بلال وهو يرى عدوه مدفوناً بالحجارة.. أيتذكر تلك الأيام العصيبة، عندما كان أمية يدفنه بالحجارة في مثل هذه الأيام الحارة، وتحت هذه الشمس المحرقة؟ لقد كان بلال حتى آخر لحظات الرق مدفوناً بالحجارة.

يقول أحد الذين أدركوا تلك الأحداث: (اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون بالحجارة) [2] وها هو أمية: الطاغوت الذي دفن بلالاً.. هاهو يدفن بالحجارة أمام عيني بلال المسكين. سبحانك ما أعظمك.. إنها دعوة المضطهدين والمظلومين.

وقبل أن يتخلص النبي ﷺ من تلك الجثث تهادى إلى شـهداء الإسـلام.. شهداء بدر فكم كان عددهم:

ثمانية عشر شهيداً

دفنهـم النبي ﷺ، وتحدث عنهم ابن مسـعود رضي الله عنه بحديث كالماء البارد فقال: (إن الثمانية عشـر الذين قتلوا من أصحاب رسـول الله ﷺ يوم بدر، جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر تسـرح في الجنة، فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة، فقال: يا عبادي، ماذا تشتهون؟

قالـوا: يا ربنا ما فوق هذا شـيء. فيقـول: عبادي ماذا تشـتهون؟ فيقولون في الرابعـة: ترد أرواحنا في أجسـادنا فنقتل كمـا قتلنا)[3] إنهم يبحثـون عن الموت من

---

(١) سـنده صحيح. رواه ابن إسـحاق (سـيرة ابن كثير ٤٤٩/٢) حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت:... وهذا السند صحيح. يزيد بن رومان تابعي صغير ثقة، وهو أحد موالي آل الزبير (التقريب ٦٠١) وشيخه لا يسأل عنه.

(٢) حديث صحيح مر معنا في الجزء الأول.

(٣) سـنده صحيح. رواه الطبراني (٢٤٩/١٠): حدثنا سـليمان بن الحسن العطار أبو أيوب حدثنا محمد بن علي ابن الحسن بن شفيق، سمعت أبي: أخبرني الحسين بن واقد عن الأعمش عن شقيق أن ابن مسعود: شـقيق بن سـلمة أدرك الجاهلية والإسلام التهذيب ٤ - ٣١٧) وسمع منه التابعي الثقة: قال لي أبو وائل: يا سـليمان لو رأيتي ونحـن هراب من خالد بن الوليد. وقال الأعمش عن إبراهيم: عليك بشـقيق، فلا تضر عنعنة الأعمش، لا سـيما وهما كوفيان، وتلميذه الحسـن ثقة، وعلي بن الحسن وولده ثقتان، وشيخ الطبراني ثقة. سؤالات السهمي كما عزاه الشيخ عبد القدوس في مجمع البحرين ٦-١٤٧.

Twitter: @ketab_n

جديد.. يريدون فعل شيء يجعلهم يستحقون كل ما حولهم، ويستحقون ما هم فيه من الرفاهية والدهشة التي لا يمكن وصفها، وماذا يساوي ألم الموت أمام عوالم السعادة والابتهاج والخلود، ماذا يساوي الموت و(الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة)[1]؟

ماذا يساوي ألم الموت أمام تلك القصور الفاتنة، والشوارع الفسيحة الساحرة، والملابس الراقية الأنيقة، والأجساد الشابة الغضة الفاتنة التي سينعمون بها والتي لا تعرف المرض ولا الهرم، ولا الترهل ولا الشحوم ولا الشحوب ولا القبح. لن تهم الطعنات إن كانت كل طعنة بوابة للخلود الذي لا يعرف الموت، والغنى الذي لا يعرف الفقر، والأمن الذي لا يعرف الخوف.. إنها الجنة حيث لا عين رأت مثل جمالها، ولا أذن سمعت بروعة كروعتها، ولا خطر على بال بشر مستواها ومستوى البهجة داخلها.

دفن ﷺ شهداء بدر بثيابهم ودمائهم، وبشرهم وبشر أمثالهم فيما بعد فقال: (أنا شهيد على هؤلاء، لفوهم في دمائهم، فإنه ليس جريح يجرح في الله، إلا جاء وجرحه يوم القيامة يدمي، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك)[2] ويقول ﷺ: (للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته)[3].

هذا ما سيفرح به الشهداء من المهاجرين والأنصار، وما في الجنة أجمل وأبقى. أما ما سيلقاه قتلى قريش فشيء مخيف ومرعب.. بشرهم به ﷺ.. خاطبهم وهم أكوام محشورون في تلك البئر المنتن، ولكن بعد ثلاثة أيام من انقضاء المعركة، وقد

---

(١) حديث صحيح. انظر صحيح الجامع (١-٦٩٦).

(٢) سنده حسن رواه البيهقي في الكبرى ٤-١١ وابن سعد ٣-١٣ عن خالد بن مخلد، حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز حدثني الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه، عبد الرحمن حسن الحديث من رجال مسلم وخالد صدوق وعند البخاري وغيره.

(٣) سنده صحيح. رواه أحمد ٤-١٣١ عن شيخيه قالا: حدثنا إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام. إسماعيل عن شيخه حمصيان ثقتان التقريب ١٠٩ و١٢٠ وابن معدان تابعي ثقة، التقريب ١٩٠.

Twitter: @ketab_n

كانت سنته ﷺ إذا انتصر في معركة أن يقيم ثلاثة أيام[1] على أرض المعركة بعد انقضائها، ثم يعود إلى المدينة.. ربما كان ذلك لتأكيد الانتصار، والمحافظة عليه من أية محاولة -ربما- تقوم بها الفلول الخاسرة لتعويض خسارتها، وفي تلك الأيام الثلاثة كان النبي ﷺ مشغولاً بتركة هذا الانتصار.. مشغولاً بقضايا وهموم تحتاج إلى أكثر من التفكير، ومن هذه القضايا والهموم.

قضية الغنائم

فالغنائم بالنسبة للذين حضروا بدراً لا تعني رصيداً مادياً أبداً.. إنها أكبر من ذلك، والصحابة مهاجرون وأنصار أكبر من هذا التفكير، فالمهاجرون تركوا أموالهم لله، والأنصار شاطروا إخوانهم وأموالهم ودورهم، لكنها غنائم أول معركة مع رسول الله ﷺ، وأول معركة ضد كفار قريش الذين أخرجوا رسول الله ﷺ، وأول معركة في الإسلام، والمشاركة فيها والحصول على شيء من غنائمها له في النفوس أثر ينام ويصحو مع الإنسان، ويظله في كل مكان يسير ويخطو عليه.. أثر يتطهر معه أهل بدر من كل ذنوبهم. لست أبالغ فقد قال رسول الله ﷺ: (لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة)[2] ثم إن الصحابة بشر.. يصيبون ويخطئون، فيقوم ﷺ بتصحيح أخطائهم، لتصحح الأمة أخطاءها، وتأخذ أحكامها من هذه الأحداث، وليس هناك أخصب من المعارك للانفعال والتأثر والخطأ.

فماذا حدث من الصحابة ومارأي بعضهم حول الغنائم؟

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه وعنهم: (إن النبي ﷺ قال: من أتى مكان كذا وكذا، فله كذا وكذا. أو فعل كذا وكذا، فله كذا وكذا. فتسارع إليه الشبان، وبقي الشيوخ عند الرايات، فلما فتح الله عليهم جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي ﷺ، فقال لهم الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا، فأنزل الله عليه هذه الآية: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾[3] والآية التي نزلت هي قوله سبحانه: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ

---

(١) (كان ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال) رواه البخاري وسيمر معنا.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٨٣).

(٣) سنده صحيح رواه ابن جرير ٦-١٧١-١٧٢ عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس. داود تابعي ثقة متقن التقريب ٢٠٠ وشيخه تابعي ثقة ثبت مر معنا كثيراً.

Twitter: @ketab_n

ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

ولكي تتضح الرؤية جيداً دعونا نمشي خلف هذا الشاب الذي يحمل بيديه سيفين.. سيفه وسيف رجل من المشركين. إنه يتوجه نحو رسول الله ﷺ.. يستأذنه، ويرجوه أن يمنحه هذا السيف؟ (فأتى به رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله نفلنيه. فقال ﷺ: ضعه. ثم قام فقال: يا رسول الله: نفلنيه. فقال ﷺ: ضعه.

ثم قام فقال: يا رسول الله نفلنيه، أُجعل كمن لا غَنَاء له؟

فقال النبي ﷺ: ضعه من حيث أخذته)[2].

هذا الشاب هو سعد بن أبي وقاص وهو يحدثنا بنفسه فيقول: (جئت إلى النبي ﷺ يوم بدر بسيف، فقلت: يا رسول الله، إن الله قد شفى صدري اليوم من العدو، فهب لي هذا السيف. فقال ﷺ: إن هذا السيف ليس لي ولا لك.

فذهبت وأنا أقول: يعطاه اليوم من لم يبل بلائي، فبينا أنا إذ جاءني الرسول فقال: أجب. فظننت أنه قد نزل فيَّ شيء من كلامي، فجئت، فقال لي النبي ﷺ: إنك سألتني هذا السيف وليس هو لي ولا لك، وإن الله قد جعله لي، فهو لك. ثم قرأ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾)[3] إذاً فالسيف ليس لرسول الله ﷺ ولا لسعد بن أبي وقاص وكذلك الغنائم، فلمن كانت الغنائم في الحروب التي خاضها الأنبياء من قبل؟ لقد كانت الغنائم تحرق.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١.

(٢) سنده قوي. رواه ابن جرير ١-١٧٣ من طرق عن: سماك بن حرب، سمعت مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. سماك صدوق روايته قوية إلا عن عكرمة، وهذه ليست منها، بل عن التابعي الثقة مصعب بن سعد وهو من رجال الشيخين.

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم والبيهقي واللفظ له (٦/٢٩١ من السنن).

Twitter: @ketab_n

شـــيء غريب، ولماذا تحـــرق؟ يقول أحد الصحابة: (لما كان يـــوم بدر تعجل الناس إلى الغنائم، فأصابوها فقال رســـول الله ﷺ: إن الغنيمة لا تحل لأحد ســـود الرؤوس غيركـــم، وكان النبي[1] ﷺ وأصحابـــه إذا غنموا الغنيمة جمعوهـــا، ونزلت نار فأكلتها فأنـــزل الله هذه الآية: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[2].

نزلـــت هذه الآيات فترك المجاهدون اجتهاداتهم لوحي الســـماء، فليس مع الوحي الصريح اجتهاد، وســـلموا الأمر لله ولرســـوله ﷺ، وســـلمت الغنائم لرسول الله ﷺ، فوزعهـــا على المهاجرين والأنصار ففرحوا بها، كانـــت أول هدايا الله للنبي وأصحابه علـــى أرض معركة، وكانوا أول أمة تباح لها الغنائـــم، لكنهم تعلموا أيضاً أن المال العام (مال الدولة) محرم على أي فرد من أفراد الشـــعب حتى ولو كان مجاهداً، إلا إذا كان بصورة نظامية مستحقة.

فرح ســـعد بن أبي وقاص بسيفه، وبشـــيء آخر مع سيفه. أما علي بن أبي طالب فـــكان نصيبه من الإبل، حيث يقول رضي الله عنه: (كانت لي شـــارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ)[3].

إذاً فعلي رضي الله عنه حصل على بعيرين بعير من نصيبه من الغنائم، وبعير من الخمس، فما هو الخمس الذي تحدث عنه علي بن أبي طالب هنا..؟ الإجابة بسيطة. فقد أمر الله سبحانه بتقسيم غنائم الحرب إلى خمسة أجزاء:

أربعة أجزاء للمجاهدين المشاركين في المعركة.

---

(١) أي من الأنبياء السابقين. وهذا من كلام أبي هريرة وليس من كلام النبي عليه السلام.

(٢) سنده صحيح مشهور رواه الطيالسي ٢-١٩ وغيره عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة.. والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي ٣-٥٣.

(٣) رواه البخاري ٤-١٤٧٠.

Twitter: @ketab_n

أما الجزء الخامس فيقسم أيضاً إلى خمسة أجزاء:

١- جزء لله وللرسول ﷺ.

٢- جزء لقرابة الرسول ﷺ.

٣- جزء ليتامى المسلمين الذين فقدوا آباءهم.

٤- جزء للمساكين المحتاجين من المسلمين.

٥- جزء للمسافرين الذين فقدوا أموالهم، أو نفذت أموالهم وليس لديهم ما يسد حاجتهم للمواصلة، أو الرجوع إلى ديارهم.

وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾[1] ويوم الفرقان هو يوم بدر.

انتهى المسلمون من قضية الغنائم وتقسيمها، وبقيت قضية أخرى لا تقل عنها.. إنها:

قضية الأسرى

أما الأسرى فقد نظر إليهم النبي ﷺ نظرة أسف، ثم نطق بالوفاء كله لأحد رجالات قريش الكرام، الذين كانوا مثالاً في احترام النفس، واحترام الآخرين.. رجل شهم كأبي طالب. إنه المطعم بن عدي، ذلك الرجل الذي حمى رسول الله ﷺ في مكة يوماً من الأيام. تذكر ﷺ موقف المطعم بن عدي فانطلقت مشاعر الوفاء منه لكل صاحب معروف ولو كان مشركاً، فباح بوفائه وقال: (لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتن لأطلقتهم له)[2] لكن المطعم بن عدي تحت الثرى، ولم ينزل على رسول الله ﷺ وحي في أمرهم حتى الآن، فكانت المشورة الملزمة عند عدم وجود نص.

توجه ﷺ نحو أبي بكر وعمر وعلي يستشيرهم: ماذا يفعل بهؤلاء الأسرى؟ فرسول الله ﷺ إذا لم ينزل عليه الوحي لا يستبد برأيه، ولا يفرضه على من حوله،

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠٢٤).

Twitter: @ketab_n

وقد قال ﷺ في أول المعركة: (أشيروا علي أيها الناس) وها هو يتجه بالمشورة في آخر المعركة نحو أبي بكر وعمر وعلي، فكانت الإجابة:

رأياً لأبي بكر ورأياً لعمر

فبأيهما سيأخذ؟ يقول عمر رضي الله عنه: (لما أسروا الأسارى، يعني يوم بدر، قال رسول الله ﷺ: أين أبو بكر وعمر وعلي؟)[1] فجاء أبو بكر وجاء عمر وجاء علي رضي الله عنهم، ولما وقفوا أمامه ﷺ قال لهم: (ما ترون في الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ فقال: لا والذي لا إله إلا هو، ما أرى الذي رأى أبو بكر يا نبي الله، ولكن أرى أن تمكننا منهم: فتمكن علياً من (عقيل) فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من (العباس) فيضرب عنقه، وتمكنني من (فلان) -نسيب لعمر- فأضرب عنقه. فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت.

قال عمر: فلما كان من الغد، جئت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت.

فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء، ولقد عُرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة -لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ-.

فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ... ﴾[2])[3].

---

(١) حديث صحيح. رواه مسلم وابن جرير في التفسير ٦-٢٨٧ واللفظ له من طريق عكرمة بن عمار حدثنا أبو زميل، حدثني ابن عباس وسند ابن جرير صحيح.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٦٧-٦٩.

(٣) حديث صحيح. رواه مسلم وابن جرير في التفسير بالسند السابق.

Twitter: @ketab_n

بكى ﷺ، وبكى صاحبه من خشية الله، وتلا على أصحابه عتاب الله له..لم يخفه عنهم، ولم يضمر هذه الآيات في نفسه، بل أعلنها للجميع. أعلنها لأنها وحي، وأعلنها لأنه مطالب بإعلانها، وأعلنها لأنه صادق، ولو لم يكن صادقاً لما كان نبياً.

كانت تلك الآيات تحمل كرامة لعمر، وتصويباً لرأيه، فهؤلاء الرجال خرجوا لحرب الله ورسوله. صحيح أن بعضهم كان كارهاً، وأن البعض الآخر قد استدرج واستفز من قبل أبي جهل، لكن ألا يستطيع هؤلاء وهؤلاء أن يقولوا: لا؟!

تألم ﷺ لما حدث، لكن الله رحيم بنبيه.. لم يتركه لآلامه ودموعه. بعث له جبريل مرة أخرى يحمل بشرى بالفداء والجنة.

ها هو (جبريل نزل على النبي ﷺ في أسارى بدر فقال: إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء، واستشهد قابل منكم سبعون. فنادى النبي ﷺ في أصحابه، فجاءوا، أو من جاء منهم، فقال ﷺ: هذا جبريل يخيركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم، وبين أن تفادوهم واستشهد قابل منكم بعدتهم؟ فقالوا: بل نفاديهم فنتقوى به عليهم، ويدخل منا الجنة سبعون، ففادوهم)[1] أي يستشهد منا سبعون في السنة القادمة. وهكذا (فادى النبي ﷺ بأسارى بدر، فكان فداء كل واحد منهم أربعة آلاف)[2] أربعة آلاف درهم.

وبعد الأمر بأخذ الفداء استثنى عليه السلام منهم طاغوتاً:

إعدام طاغوت

فقبل أن يطلبوا من أسراهم الفداء أمر ﷺ بإخراج أحد المجرمين من بين الأسرى، واسم هذا المجرم: (عقبة بن أبي معيط).. أمر ﷺ بإخراج عقبة هذا، فهو لن يقبل

---

(١) سنده صحيح. ورواه ابن سعد (٢/٢٢) عن ابن سيرين عن عبيدة مرسلاً ورواه البزار ٣-١٧٦ والنسائي الكبرى ٥-٢٠٠ وغيرهم عن سفيان الثوري عن هشام ابن حسان، عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي وهذا السند كالذهب: عبيدة مخضرم ثقة ثبت، وهشام ثقة وأثبت الناس عن شيخه يقول: حدثني أصدق من أدركته من البشر التهذيب ٩-٢١٥.

(٢) رواه عبد الرزاق (٥/٢٠٦) عن معمر بن قتادة قال: وأخبرني عثمان الجزري عن مقسم عن ابن عباس: وفي الأول إرسال قتادة لكن معمر رواه من طريق أخرى فيها ضعف من أجل عثمان. وللحديث شاهد سيمر معنا عند الحديث عن فداء مشرك يدعى (وداعة).

Twitter: @ketab_n

منه فداءً ولا مالاً، لأنه لا يقل شراسة وإجراماً عن أبي جهل. عقبة كان فرعوناً آخر لهذه الأمة.. إنه مجرم، حتى لقد عزم يوماً على قتل رسول الله ﷺ. ليس في الطريق، وليس في بيته، ولا في الصحراء، بل وهو آمن مع ربه في بيته الحرام، الذي يلقى فيه الرجل قاتل أبيه فلا يتعرض له. لكن عقبة كان كتلة من الحقد والكفر والإجرام.

سأل رجل أحد الصحابة: (حدثني بأشر شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ؟

قال: أقبل عقبة بن أبي معيط ورسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة، فلوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذه بمنكبيه فدفعه عن رسول الله ﷺ، ثم قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)[1].

فشلت محاولة عقبة.. أفشلها أسد من أسود الإسلام.. أحبطها أبو بكر رضي الله عنه، فانسحب عقبة وهو يضمر شراً، فلما خرجت قريش إلى بدر أشراً وبطراً خرج عقبة معها، لينفس عن أحقاده وشروره، لعله يحظى برأس محمد وصاحبه أبي بكر معاً، لكنه فشل من جديد. وها هو علي بن أبي طالب يجتره من بين الأسرى، وهو يرتعد خوفاً من الموت، فيحاول أن يدفع الموت عنه بكلمة يستدر بها رحمةً.. أي رحمة؟ لكن رسول الله ﷺ يقتله بكلمة قبل أن يقول السيف كلمته.

حدث ذلك عندما (قام علي بن أبي طالب فقتله صبراً قال: من للصبية يا محمد؟ قال ﷺ: النار)[2].

عقبة يذكر الصبية، لكنه لا يذكر الله، ولا الإسلام، وكأن سبب هذه المعركة ثأر قديم، أو خلاف في وجهات النظر بين أفراد قبيلة واحدة. ومع ذلك فيمكن لعقبة أن ينجو من الموت، وأن ينجو من النار، لو أنه اختار الله ورسوله. لكنه وهو على شفير الموت يرفض ذلك. لو تشهد لنجا من سيف علي، لكنه يرفض أن يكون عبداً لله وحده، ويرضى بأن يكون عبداً لحجر مقذوف على ظهر الكعبة.. هو صنعه بيديه، بل حاول قتل رسول الله ﷺ من أجل ذلك الحجر، فكان لعقبة ما اختار من لهيب السيف ولهب

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي من الطريق نفسه (٢/٢٧٤).
(٢) هو آخر حديث عبد الرزاق السابق ٥-٢٠٦.

Twitter: @ketab_n

النار، وقذف عقبة مع أصحابه في تلك القليب النتنة المحشـوة عفناً وكفراً وجحيماً.. قذف عقبة باختياره. أما رسول الله ﷺ فلم يكن يكره أن يسلم عقبة والأسرى جميعاً. لقد نفذ أمر ربه الـذي يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ ﴾[1] ورسول الله ﷺ كان رحيماً فلم يكره أن يسلم عقبة ابن أبي معيط.. لم يكره أن ينجو من سـيف علي، فدخول عقبة في دار الإيمان يكفل حمايته من السـيف، ومن سيوف المؤمنين جميعاً.

ها هو أحد فرسـان بدر.. المقداد بن عمرو يبعث برسالة إلى العالم.. من أقصاه إلى أقصاه.. من خلال حوار متحضر جداً مع رسول الله ﷺ.

قال المقداد لنبيه ﷺ: (يا رسـول اللـه، أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يدي بالسـيف فقطعها، ثم لاذ مني بشـجرة فقال: أسلمت لله. أقتله يا رسـول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله. فقال: يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي ثم قال ذلك بعدما قطعها؟!

فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال)[2].

هذا هو الإسلام، وهذا هو خطابه الحضاري لأتباعه والعالم: لا شأن لكم بالنوايا.. لا شـأن لكم، ولا يعرف ما في القلوب إلا من خلقها. لا انتقام ولا مقابر جماعية ولا تشف ولا تشويه للجثث ولا جهاد دون انضباط.

وقد رفض عقبة هذا الخطاب الجميل، فغادر إلى الجحيم غير مأسوف عليه.

بقية الأسرى في نعيم

بقية الأسـرى لم يسـحبوا إلى قليب، ولم يُقتادوا إلى معسكرات تجويع وتعذيب، ولم يؤمروا بالقيام بأعمال شـاقة. فمنذ أغمد الصحابة سيوفهم تحولت الساحة من

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٠.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠١٩).

Twitter: @ketab_n

أنهار دم إلى شـــلالات كرم وواحات سلام.. شرب فيها الأسرى وأكلوا وناموا أكثر من الصحابة، وأكثر من نبيهم عليه الصلاة والســـلام.. شيء لا يصدق! لأنه لم يحدث من قبل.. شيء لا يصدق. أيعقل أن يعامل المسلمون هؤلاء المشركين الذين حملوا السيوف، وطردوا الرسول ﷺ، واغتصبوا المال والدار.. أيعقل أن يعاملوا معاملة المسكين، والطفل اليتيـــم..؟! أجل، يعقـــل إذا كان القائد هو محمد ﷺ، وكان الجيش من الصحابة.. ها هم يقدمون طعاماً للأسرى أفضل من طعامهم، رغم جوعهم ورغبتهم الملحة فيه. ليس لأنهم أبناء العمومة والعشـــيرة، ولا لطمعهم بفدية أكثر، فإن من المشركين من لا يملك إلا سيفه. الســـبب ببساطة هو وعد نزل كالمطر من السماء، فأنبت في قلوب المؤمنين تلـــك الرياض، وتلـــك الرعاية، وذلك الفيض من العطاء.. وحي مـــن الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾[1].

هذه هي معســـكرات الأسر في الإسلام مهما كان الأســـير مجرماً، أو مشركاً أو حتى ملحداً. هذا هو مفهوم الحبس في الإســـلام إن كان في الإســـلام حبس. أســـير مشرك خرج لسفك الدماء يخجل من كرم آسره، وآسر يستحي أن يقدم لأسيره طعاماً أقل من طعامه، أو مســـاوياً له. يكتفي الصحابة بالتمر والماء، ويقدمون الخبز واللحم -إن وجد- لأسراهم.

أخـــلاق زرعها ﷺ في أعماق أصحابه.. أخـــلاق تعادل درجاتٍ من الصلاة والصيام لا يطيقها الإنســـان.. بشـــرهم ﷺ بذلك عندما قال لهم: (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار)[2] ومن الذي يصلي ليله كله دون توقف، ويصوم كل يوم ولا يفطر؟ قال لهم ﷺ: (إن أقربكم مني منزلاً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً في الدنيا)[3] (إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً)[4] و(من كان سهلاً هيناً ليناً حرمه الله على النار)[5].

---

(١) سورة الإنسان: الآيات ٥-٩.
(٢) حديث صحيح. صحيح الجامع (١-٣٢٤).
(٣) حديث حسن. صحيح الجامع (١-٣٢٧).
(٤) حديث صحيح. صحيح الجامع (١-٤٣٨).
(٥) حديث صحيح. صحيح الجامع (٢-١١٠٥).

Twitter: @ketab_n

غـرس ﷺ تلك الأخلاق عندما قال لهم: (أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)[1] و(أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)[2].

سحابة عطر كان محمد ﷺ وأصحابه، بعد أن كانوا قبل قليل عاصفة من السلاح والموت.. سحابةٌ شعر الأسرى تحتها بالارتياح.. شعروا بنسيم الإسلام البارد يغمرهم، ويلطـف لفح الصحراء من حولهم، فانتشـى الأنصار من جديد، وتوهج كرمهم وحبهم لرسول الله ﷺ بالإيثار من جديد.

يقول أحد أبنائهم: (إن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ قالوا: إيذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه.

فقال: لا والله، لا تذرون منه درهماً)[3] وطالب رسول الله عمه العباس بالفداء، بل كان فداء العباس أكثر من فداء غيره.

مكث ﷺ على أرض المعركة ثلاثة أيام كان فيها مشغولاً بأصحابه، يعالج قضاياهم وجرحاهم، ويتلقى الوحي من الله سبحانه في علاجه ذلك.. لم يكن ﷺ مشغولاً بمن معه فقط، بل كان يعيش بقلبه وشـعوره مع أحباب لا يراهم حوله. كان بقلبه وشـعوره بـين حرات المدينة.. يتذكر أصحابـه وأهله، وحبيبته التي لا يدري ما فعل المرض بها، ولا يدري أي حالة تعيشها ابنته رقية.

ترى هل تعافت من مرضها، أم أن الأوجاع تداعت على شبابها؟ تذكر ﷺ المدينة ومن فيها فأرسـل ابنه زيد -زيد بن حارثة[4]- ليبشر المدينة بنصر الله، والقضاء على طواغيت قريش.. يبشـر بأسر أشـرافهم في يوم الإسلام العظيم.. يوم الفرقان، وقد كان ابنه أسـامة ابن زيد ملازماً لعثمان ورقية في مرضها، وكان مع أول من اسـتقبل والده وأخباره.

---

(١) حديث صحيح. صحيح الجامع (١-٣١٠).
(٢) حديث حسن. صحيح الجامع (١-٣٠٦).
(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠١٨).
(٤) كان يسمى في ذلك الوقت زيد بن محمد.

Twitter: @ketab_n

أســـامة يحدثنا عن ذلك فيقول: (إن النبي ﷺ خلف عثمان بن عفان، وأسامة بن زيــد على رقية بنت رســول الله ﷺ أيام بدر، فجاء زيــد بن حارثة على العضباء ناقة رســول الله ﷺ بالبشارة، فسمعت الهيعة، فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة، فوالله ما صدقت حتى رأيت الأسارى، فضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه)[1].

وهذا يعني أن عثمان كان يريد الخروج مع رســول الله ﷺ، لكن رســول الله ﷺ أمره بالبقاء لتمريض زوجته رقية.

قال الشــاب عبد الله بن عمر بن الخطاب إن عثمــان بن عفان (كانت تحته ابنة رســول الله ﷺ، وإنها مرضت، فقال له رســول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شــهد بدراً وسهمه)[2].

لكــن أين رقيــة..؟ أين حبيبتك يا عثمان.. أين حبيبة رســول الله ﷺ وريحانته؟ الإجابة حزن على وجه عثمان، وعلى وجه أسامة.

ماتت رقية رضي الله عنها ووالدها بعيد عنها.. ماتت قبل أن ترى والدها، وتطمئن على ســلامته.. دون أن ترى أختها الحزينة زينب. ها هو الحزن من جديد يخيم على بيــت النبي ﷺ.. فاطمة تبكي، وأم كلثوم تبكي حزناً على رقية.. كم لعبوا ســوياً.. كم ضحكوا وتراكضوا وتســابقوا إلى حضن خديجة، وكــم تواثبوا وتزاحموا ليركبوا على ظهــر محمد.. ما أحوج فاطمة وأم كلثوم إلــى أبيهما، وما أحوجهما إلى خديجة.. ما أحوجهمــا إلى أختهما الكبيرة زينب.. ينثران على صدرها شــيئاً من الدموع، فزينب بعيدة هناك.. حزينة هناك.. في مكة لا يعلمان عنها شيئاً، ولا تعلم عنهم شيئاً.

ماتت رقية قبل أن يصل زيد بالخبر، فقد (وافق زيد بن الحارثة ابنه أسامة حين

---

(١) سنده حسن. رواه البيهقي (١٣٠/٣) أخبرنا أبو الحسن المقرئ وهو إمام حافظ ناقد. انظر السير للذهبي (٣٠٥/١٧) وشيخه الحسن الدقاق صحيح السماع من أهل القرآن والصلاح. المصدر السابق (٥٣٥/١٥) وتاريخ بغداد (٤٢٢/٧) وشــيخه هو الثقة يوســف ابن يعقوب القاضي. تاريخ بغداد (٣١٠/١٤) وشــيخه أحد رجال الشــيخين: الثقة محمد ابن أبي بكر المقدمي. التقريب (١٤٨/٢) وشــيخه حسن الحديث فهو صدوق في حفظه شــيء. التهذيب (٥٨/٨) والتقريب (٧٢/٢) وهو من رجال الســتة واســمه عمرو بن عاصم الكلابي وشــيخه ومن فوقه أئمة ثقات: حماد عن هشــام عن عروة عن أسامة بن زيد. وللحديث شاهد يأتي.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠٦٦).

Twitter: @ketab_n

سوى التراب على رقية بنت رسول الله، فقيل له: ذاك أبوك، حين قدم.

قال أسامة: فجئت وهو واقف للناس يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل، ونبيه، ومنبه، وأمية بن خلف.

فقلت: يا أبت أحق هذا؟ قال: نعم والله يا بني)[1]

ويختلط الحزن في أجواء المدينة بالفرح، ويبتهج بقية المهاجرين والأنصار بالخبر الذي لا يصدقه إلا مؤمن، ويخفف النصر من الحزن والدموع المنثورة على رحيل رقية، ويخيم الليل والوجد على عثمان.. إنه يعود إلى منزله، فلا يجد فيه رقية.. كم هو مشتاق إليها.. كم هو وحيد دون رقية، وكم هو وحيد وقد انقطع نسبه مع النبي ﷺ. يا له من ليل حزين لا تبدده إلا الصلاة.

هذا ما يحدث في المدينة، أما على أرض المعركة فتتسلل خيوط الفجر إلى سماء بدر، ويشرق بلالٌ بالأذان، ويستيقظ من كان نائماً، ويصلي الجميع خلف رسول الله ﷺ. إنه فجر اليوم الثالث بعد انقضاء المعركة، حيث يأمر ﷺ بالاستعداد للعودة إلى المدينة، ويطلب تهيئة راحلته، ويفرغ الجميع مما أمروا به، فينطلق ﷺ إلى غير ما توقع الصحابة، فهذا ليس بطريق المدينة.. إنه يتوقف ويتحدث إلى أقوام بشيء مفزع ومخيف جعل أحد الصحابة يستفسره عن ذلك؟

أنس بن مالك يحدثنا عن ذلك المسير، وعن ذلك التساؤل فيقول: (فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشدت عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفى الركى[2] فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: [يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة... أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟] يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟

---

(١) حديث حسن. رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم (٢١٧/٣): حدثني عبد الله بن أبي بكر، وصالح بن أبي أمة عن أبيه.. وهذان طريقان يقوي بعضهما بعضاً لأن صالحاً لم يوثقه إلا ابن حبان. ويشهد للحديث حديث أسامة السابق.

(٢) حافة البئر.

Twitter: @ketab_n

فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟

فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم [ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا[1]][2] ولا يقدرون على أن يعودوا فيتوبوا. مصير أسود رسموه لأنفسهم، وجحيم مرعب تسابقوا إليه، وهم يحملون أصنامهم. أما رسول الله ﷺ فقد تركهم وما تسابقوا إليه، وانعطف براحلته نحو عواطف جياشةٍ تنتظره في طيبة الطيبة، فليت شعري كيف استقبله أحبابه هناك؟ أيهنئون أنفسهم به ويهنئونه بنصر الله؟ أم يعزونه في رقية..؟

كيف استقبله عثمان هناك؟ كيف كانت حالته ﷺ عندما زاحم الحزن فرحاً يزين صدره؟ كيف كانت حالته عندما التقت عيناه بعيني فاطمة وعيني أم كلثوم؟ وكيف شكتا له الوجد على أختهما الحبيبة..؟

لم تصفُ الحياة لمحمد ﷺ.. لم تصفُ لحبيب الله، فالحزن والمعاناة جزء من حياته.. يفقد ابنته الشابة، ويصبر ويحتسب ويتوهج بوعد الله، فيخفف عن غيره مصيبته ولوعته رغم ما هو فيه، ويقول لعثمان: (لك أجر رجل شهد بدراً وسهمه)[3]

وفي مكان آخر من المدينة تركض أم حارثة.. ذلك الشاب المكلف بالمراقبة والرصد، والذي استشهد هناك في بدر. أمه اليوم مذهولة تتلقى الركب.. تمسك بأزمة المطايا.. تسأل عن حبيبها وفلذة كبدها، فيقع الخبر عليها كالموت، فيحملها الحزن إلى نبيها ﷺ.

لقد (أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع. فقال ﷺ: ويحك، أَوَهبلت؟ أَوَجنةٌ واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس)[4] و(الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها، ومنها تفجر أنهار الجنة)[5].

---

(١) أي أنهم يستمعون لقوله ﷺ حقاً أثناء خطابه لهم.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري عن أنس (٣٩٧٦) وما بين المعقوفين عند مسلم عن أنس.

(٣) حديث صحيح مر معنا وهو عند البخاري (٤٠٦٦).

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري -٤-١٤٦٢.

(٥) حديث صحيح. (صحيح الجامع الصغير ٢-٧٨٩).

Twitter: @ketab_n

سافر حارثة إلى الفردوس، إلى مدنها الساحرة، وبحيراتها وأنهارها وبخوتها ومركباتها المبحرة والطائرة والسيارة.. سافر إلى أحلامه وأمانيه ليجدها فوق ما يتصور ويتخيل ويحلم، فيتمنى العودة ليقتل مرات ومرات حتى يرى أنه استحقها. أما أمه الثكلى فعادت إلى بيتها صابرة محتسبة، فلقد حول الإسلام حزنها إلى مبعث لسعادتها، فاختلطت دموع الحزن بالفرح عند المؤمنين فـ (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر وكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[1]. وعجباً لهذا النبي ما أرحمه. إنه يتجاوز أحزانه إلى الآخرين، ليخفف عنهم، ليحثهم على الإبحار مع شهدائهم في أنهار الجنة، وأهل بيته كانوا مثله.. يواسون تلك البيوت الحزينة، كهذا البيت الذي تنوح فيه عفراء رضي الله عنها:

عفراء حزينة تنوح

عفراء حزينة على صغيريها. عاد الرجال من القتال.. عاد المحاربون بالأسرى والجمال، ولم يعودوا بالصغار.. لم يعودوا بعوف، ولا بمعوذ، ولن تراهما عفراء بعد الآن، ولن تناديهما لقضاء حوائجها بعد اليوم.. لن تبحث عن عروس لعوف، أو لأخيه، ولن تسعد مع نساء المدينة بزفاف بهيج لهما. ولن تفرح بأحفادها منهم.

عفراء مشتاقة إلى صغيريها.. يحترق جوفها من الحزن، وتحمر عيناها من البكاء، ولا يدرك وجد الأم إلا الأم.. خيمة حزن بيت عفراء، أما بيت النبي ﷺ فكان غيمةً من المشاعر.. تمتد إلى الجميع. ها هي سودة وقد سمعت بما حدث لعوف وأخيه.. تتوجه إلى بيت أمهما.. تواسيها، وتعزيها، وتخفف أحزانها ببشرى الشهادة، فصغيراها قد اجتثا فرعون الأمة، وعدو الله ورسوله، وهو أمر يسر أهل السماوات والأرض، ويُخلد ذكرهما، وذكر أمهما. مكثت سودة رضي الله عنها وقتاً عند عفراء، لكن مفاجأةً أخرجتها فعادت إلى بيت زوجها ﷺ متأثرةً بحال تلك الأم الوالهة الجريحة، وتأثرت كذلك بوقع تلك المفاجأة، فتحولت مشاعر سودة إلى كلمات عاتبها الرسول ﷺ عليها فـ:

---

(١) حديث صحيح. رواه مسلم ٤-٢٢٩٥.

Twitter: @ketab_n

ماذا قالت سودة حتى عاتبها زوجها

هذه هي القصة كما يرويها لنا الأنصاري عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة رضي الله عنهما فيقول : (قُدم بالأسارى حين قدم بهم المدينة، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يضرب الحجاب. قالت سودة: فوالله إني لعندهم، إذ أُتينا فقيل: هؤلاء الأسارى قد أتي بهم، فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، فإذا أبو يزيد (سهيل بن عمرو) في ناحية الحجرة، ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبلٍ، فوالله ما ملكت حين رأيت أبا يزيد كذلك، أن قلت: أبا يزيد أعطيتم بأيديكم! ألا متم كراماً .؟

فما انتبهت إلا بقول رسول الله ﷺ من البيت: يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين؟!

فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بالحبل، أن قلت ما قلت)[1].

لقد غمرت سودة أجواءٌ مشحونة بالأحزان، والأحداث والمفاجآت.. تتدافع نحوها.. تتهاوى عليها، وكأن العالم يتقوض فوق رأسها. فتنفلت منها تلك الكلمات دون أن تشعر.. موت رقية، ومناحة عفراء، وأسير من سادات قريش وكرمائها في حجرتها.. خطيب قريش وحكيمها مجموعة يداه إلى عنقه.. متكوم كالذل في زاوية الحجرة.. منظر يثير الشفقة والرأفة، وامرأة رقيقة المشاعر زادها الإيمان شفافية تشهد ذلك كله، لكن رسول الله ﷺ لم يعنفها.. لم يكفرها بتلك الحروف الشاردة. كان ﷺ مربياً. أشعرها دون أن يخدش مشاعرها، وأعادها دون أن يجرحها. سألها سؤالاً.. سأل إيماناً متجذراً في أعماقها، فأفاقت واعتذرت لله ولرسوله ﷺ، وأفاقت المدينة كلها على وقع الحوافر والخفاف، الجمال والخيل والأحمال تملأ شوارع المدينة، والحقد والغيظ يملأ قلوب اليهود والمنافقين، فقد استجاب الله لرسوله (حين خرج

---

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم (٢٢/٣): حدثني عبد الله بن أبي بكر، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن جده.. وشيخ ابن إسحاق ثقة (التقريب ٢٩٧) ويحيى تابعي ثقة (التقريب ٥٩٣) وجده صحابي.

Twitter: @ketab_n

فقال: اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم، ففتح الله لهم يوم بدر، فانقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا)[1]

فرح وعناق في الشوارع، وعلى الأبواب وخلف الأبواب، ورغم هذا الفرح المتدفق في الشوارع والقلوب.. كان ﷺ مأخوذاً بهموم وهموم.. الدعوة والقيادة والأسرى، وبيته الحزين على رقية، وزينب البعيدة بين جبال مكة.

يا له من شوق حمله ﷺ إلى المشي حيث يؤسر زوجها وابن خالتها (أبي العاص بن الربيع) إنه الآن بين الأسرى، ولا أدري في أي حجرة هو. لكن شوق النبي ﷺ إلى ريحانته زينب يأخذه إلى حيث يقبع أبو العاص، ليحدثه في شأن زينب، فلا يتركه حتى (أخذ عليه أو وعده أن يخلي سبيل زينب إليه)[2] ولكن هذا لا يعني أن يعفى زوج ابنة رسول الله ﷺ من الفداء. فهو أحد الأسرى، ولا فرق بينه وبينهم، وما طلبه الرسول ﷺ منه كان طلباً شخصياً لا علاقة له بالحرب، فزينب هي ابنة خديجة بنت خويلد، وأبو العاص هو ابن خالتها هالة بنت خويلد.. هالة التي كان تحلق برسول الله ﷺ في أجواء من الذكريات الحبيبة، فتثير الغيرة في قلب الشابة عائشة رضي الله عنها.

تحدثنا أم المؤمنين عن غيرتها فتقول: (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاع فقال: اللهم هالة! ففرت)[3].

وسوف ينفذ أبو العاص ويفي بوعده، فهو رجل كريم حسن الخلق وإلا لما زوجه رسول الله ﷺ أكبر بناته.

غادر ﷺ أبا العاص بن الربيع إلى أسير آخر يتململ من أسره، وتخجله ثيابه الممزقة.. إنه عمه (العباس) الذي أحزن منظر ثيابه رسول ﷺ، لكن أحد مشركي المدينة شعر بالشفقة على مشركي قريش، فقام بعمل يكسب به معروفاً على النبي عليه السلام، ومعروفاً على مشركي قريش.

---

(١) حديث حسن مر معنا وقد حسنه الإمام الألباني في صحيح أبي داود (٢/٥٢٥).
(٢) حديث حسن. رواه أبو داود وحسنه الإمام الألباني (٢/٥١٢).
(٣) حديث صحيح. رواه البخاري ٣-١٢٨٩ ومسلم ١-٤١٠ .

Twitter: @ketab_n

(عبد الله بن أبي بن سلول) الوثني الحاقد على هذه الدولة التي تحميه، المحتقن مـن هذا الانتصار العظيم يقدم هدية للعباس. جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: «لما كان يـوم بدر، أتى بأسـارى، وأتـى بالعباس، ولم يكن عليه ثـوب، فنظر النبي ﷺ له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ»[1]

شكر النبي ﷺ ابن سلول صنيعه وحفظه له، وترك عمه العباس في أسره، وتوجه نحو أصحابه، وتحدث معهم عن الأسـرى، فجرى الحديث على ذكر أحد شيوخ قريش في الأسر، فكانت:

المعجزة

لقد قيل إن (في الأسرى (أبو وداعة بن صبرة السهمي)، فقال رسول الله ﷺ: إن له بمكة ابناً تاجراً كيساً ذا مال، كأنكم به قد جاءكم في فداء أبيه)[2] وابنه هذا اسمه: المطلب بن أبي وداعة. معجزة ينطق بها ﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى، لكن ما السـبب الذي جعل المطلب ينهض مسرعاً نحو المدينة؟

دعونـا ننتقل إلـى أجواء مكة الكئيبة.. بين منازلهـا وجبالها. حيث أصاب حجر فـارس الأحـلام، الذي رأته عاتكة بنـت عبد المطلب في منامهـا كل منزل من منازل قريش، وشـظايا ذلـك الحجر الآن نزيف في كل قلب يسـكن مكـة. امتلأت البيوت والأخبية بالبكاء والعويل، وشقت الثياب، وارتفع النواح، ونثر التراب على الرؤوس. فأبو سفيان الذي نجا بالقافلة لم ينج من جراح بدر، فقد أثخنته في أعماقه.. ها هي هند بنـت عتبة زوجته تنوح وتنـوح، وقد أصيبت بما لم يصب به غيرها. التهمت الصحراء والدها عتبة، وعمها شـيبة، وأخاها الوليد، وهم شـجعان العرب وسادة قريش. ترى ماذا فعلت هند بثيابها؟ وإلى أي مدى ارتفع نشيجها ونواحها؟ وهناك (أم جميل) أخت أبي سفيان.. حمالة الحطب المجرمة. لا بد أنها احترقت بما سمعت، وهناك زوجة أبي جهل.. ماذا فعلت عندما أخبرها عكرمة بقصة هلاك والده؟ وزوجة أمية بن خلف.. لا بد أنه قد جن جنونها عندما علمت بموت زوجها الشنيع مع ابنها علي.

---

(١) صحيح البخاري ٣-١٠٩٥.

(٢) تخريجه في الحديث التالي فهو جزء منه.

Twitter: @ketab_n

أبو لهب طار صوابه لدوي انتصار ابن أخيه.. يطرق المدى والآفاق.. أجواء بائسة بائسة، ومكة تكاد تحترق بأنفاس أهلها وغيظهم.. الذهول تجده في كل زاوية، وعلى كل وجه.

لكن هناك من اختلطت في نفسه مشاعر البهجة بالأسى.. عاتكة بنت عبد المطلب تفرح بتحقق رؤياها، وهلاك طواغيتها، لكن العباس وعقيلاً قد وقعوا في الأسر. وفي بيت عقبة بن أبي معيط كانت ابنته المحبوسة (أم كلثوم) لا بد أنها حزنت كثيراً لموت أبيها مشركاً. فإذا تخطينا عدة أبيات، ثم توقفنا ودلفنا.. وجدنا زينب ابنة النبي ﷺ والوجوم يلفها.. زوجها أسير، ووالدها وأخواتها بعيدون عنها، وبعض أهل مكة يقتلونها بنظراتهم، لكنها تصبر وتحتسب المرارة والحزن عند الله، وتسمع عن الفداء، فترفع يديها خلف رقبتها، وتحل رباط قلادة لها، وتبحث عن أمين يبعث بهذه القلادة إلى والدها، عل هذه القلادة تحرر أسيرها وحبيبها.

أما المطلب بن أبي وداعة، والذي تنبأ الرسول ﷺ بقدومه إلى المدينة ليفك أسر أبيه، فيسير نحو مجلس لبعض رجالات قريش، الذين ندموا على كثرة النواح والعويل على من التهمتهم الصحراء في بدر. فماذا قال المطلب في ذلك المجلس؟

لقد (كانت قريش ناحت على قتلاها، ثم ندمت، وقالوا: لا تنوحوا عليهم، فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم،...

فلما قالت قريش في الفداء ما قالت، قال المطلب: صدقتم والله لئن فعلتم ليثأرن عليكم. ثم انسل في الليل، فقدم المدينة، ففدى أباه بأربعة آلاف درهم)[1] واصطحبه معه إلى مكة، ورأى الصحابة معجزة نبوية أخرى، وتتابع المشركون بعده يفدون أسراهم بأموالهم، لكن هناك من يحلم بـ:

إطلاق الأسرى دون مقابل

أحدهم كان يحمل طموحاً أكبر، فهو يطمح إلى إطلاق جميع الأسرى. إنه الذي رأى الملائكة على أرض بدر، وهو أحد وجهاء قريش: (جبير بن مطعم بن عدي) ابن

(١) سنده حسن رواه الطبراني (الجزء المفقود رقم ١١) من طريقين:.. وهب بن جرير و... عبيد بن عقيل قالا: حدثنا جرير بن حازم، حدثنا ابن إسحاق، حدثني يحيى بن عباد عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير. صرح ابن اسحاق بالسماع من التابعي الثقة يحيى بن عباد التقريب ٥٩٢ وأبوه تابعي ثقة وجرير ثقة إلا عن قتادة وهذا ليس منه ووالده أوثق منه.

Twitter: @ketab_n

ذلك الشـــهم الكريم «المطعـــم بن عدي».. يمتطي راحلته متجهـــاً نحو المدينة، ليجتمع برسول الله ﷺ في محاولة منه لإطلاق سراح الأسارى من قومه، لكنه يقع في الأسر. لم يأسره أحد من الصحابة، ولا حتى من قطاع الطرق! أسره القرآن وهو يمشي بهدوء بمحاذاة جدار مسجد النبي ﷺ.. في سويعات هادئة بعد الغروب.

يقـــول جبير: إنه (جاء في فداء أســـارى أهل بدر، فوافقت رســـول الله ﷺ يقرأ فـــي صلاة المغرب: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ فأخذني من قراءته فكان ذلك أول ما سمعت من أمر الإسلام)[1] (فسمعته وهو يقرأ وقد خرج صوته مـــن المســـجد ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ فكأنما صدع قلبي)[2]، (وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي)[3]، فاســـتجاب جبيـــر بن مطعم لقلبه الذي تعلق بهذا الصوت المنساب من المسجد، فتوقف يستمع إلى النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝٢٣ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝٢٤ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

---

(١) حديث حســـن من أجل أســـامة بن زيد الليثي وهو حســـن الحديث إذا لم يخالف ويشهد له ما بعده عند البخاري.. والحديث رواه الطبراني (٢-١١٧).

(٢) حســـن. رواه الطبراني (٢-١١٧-١١٨) من طريقين عن هشيم وعزاه لأبي يعلى وهشيم رواه من طريقين: حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه. وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده. وقد صرح هشيم، وسفيان ثقة في غير الزهري، فهذه الطريق ضعيفة وأما الطريق الثانية فهشـــيم ســـمعه من الزهري ومع ذلك فهو معلول لأنه كتب عنه فطيرت الريح أوراقه بعد خروجه فأصبح معلول الحديث إذا روى عنه. وهذان الطريقان يقوي بعضهما البعض بالإضافة إلى حديث البخاري.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠٢٣).

Twitter: @ketab_n

بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

يقـول جبير: (فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾. كاد قلبي أن يطير)[2].

كان جبير خلف الجدار يشقى بقلبه، بينما كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية الصحابة ينعمون بالقرآن والصلاة حتى أتموا صلاتهم، ثم سلم النبي ﷺ وسلم الصحابة من خلفه، وبعد قليل انصرفوا، وانصرف النبي ﷺ، فتوجه إليه جبير ابن مطعم، فاسـتقبله النبي ﷺ بكل الوفاء والعرفان مذكراً إياه بكرم أبيه «المطعم بن عدي». قدَّم جبير للنبي ﷺ التماسـاً يطلب فيه إطلاق الأسرى من قريش، لكن إجابة الرسول ﷺ كانت مخرسة.

لقد قال له: (لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له)[3] فهِمَ جبير بن مطعم إجابة النبي ﷺ، فانصرف بغير القلب الذي جاء به.. يحمل إيماناً يصارع كفراً.. يحمل همَّ عمه الذي قتله حمزة، ويحمل تقديراً للنبي ﷺ وإجلالاً، بعد أن سمع ما يسر من ثناء على أبيه واحتفاظ بالجميل.

عاد جبير إلى مكة ولم يعد الأسـرى، وما زال أبو العاص بن الربيع بينهم، وذات يوم يصل إلى المدينة رجل يحمل مالاً، ويحمل قلادة إلى رسـول الله ﷺ، فيأخذ عليه

---

(١) سورة الطور: الآيات ٧-٣٧.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٨٥٤).

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٠٢٣).

Twitter: @ketab_n

السلام تلك القلادة، وتهتز نياط قلبه وهو يقلبها، وتتعلق عيناه بها فتحمله بعيداً.. بعيداً حيث خديجة.. حيث زينب وحيث مكة الحبيبة، فينضح قلبه بالحزن، ولسانه بالرجاء لأصحابه أن يخففوا أحزانه وأحزان حبيبته.

فيتأثر من حوله بمشهد الحرمان والشوق والغربة الذي يحيط بهذا النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم جميعاً.

تقول عائشة رضي الله عنها: (لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة، أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا. فقالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه وردوا عليها الذي لها)[1] وقبل أن ينطلق أبو العاص إلى زينب أكد لرسول الله ﷺ أنه سيبعث بزينب، وذلك بتحديد مكان تلاقي فيه من سيرسله رسول الله ﷺ لمرافقتها في طريق هجرتها. هذا المكان هو أحد بطون الأودية واسمه (بطن يأجج)، وهو قريب من مكة. ثم انطلق أبو العاص إلى مكة، ولما وصل إلى زينب فرحت به، وفرح بها وسلمها قلادتها وحريتها، فاختارت الله ورسوله، وتوجهت إلى (بطن يأجج) بصحبة ابنتها الصغيرة أمامة.

أما في المدينة فقد (بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: (كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب، فتصحبانها حتى تأتياني بها، فخرجا مكانهما، وذلك بعد بدر بشهر أو شيعة، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت جهرة)[2] بعد أن سلمها أبو العاص قلادتها وحريتها، وأبقى لنفسه الهواجس والحرمان. وفي بطن (يأجج) رافقها أخوها زيد وصاحبه إلى أبيها.. إلى المدينة المنورة بالإسلام. فرح بها رسول الله ﷺ.. فرحت بها فاطمة، وفرحت بها أم كلثوم، لكن وصولها لامس

---

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق وأحمد ٦-٢٧٦ وغيره من طريقه: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة. وهو سند مر معنا فيحيى ثقة ووالده أوثق منه.

(٢) هذه الزيادة هي آخر الحديث السابق وبالسند نفسه عند الطبراني ٢٢-٢٨ وأبي داود ٢٦٩٢ وهي زيادة قوية وتلميذ ابن إسحاق هو محمد بن سلمة الباهلي ثقة من رجال مسلم التهذيب ٩-١٩٤ وتلميذ ابن سلمة شيخ أبي داود ثقة حافظ عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل وتلميذ النفيلي - شيخ الطبراني هو عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب وهو ثقة كما قال الدار قطني (بلغة القاصي ٨٨).

Twitter: @ketab_n

جرحاً في أعماقهن على رقية الراحلة.. الراقدة تحت أطباق الثرى.. ذكرى رقية، وما أصابها في سبيل الله من غربة وآلام.. آذاها المشركون في مكة، فهاجرت مع عثمان إلى الحبشة، ثم عادت إلى مكة، ثم هاجرت إلى المدينة، ولم يطل بقاؤها في المدينة حتى اجتاحتها أوجاع خطفتها، وخطفت شبابها.

كان ذلك كله في سبيل الله، وهذا ما يهون من الحرقة عليها، فهي راحلة إلى النعيم الخالد. تلك هي قصة زينب وأسيرها فـ:

ماذا عن بقية الأسرى

غادر الأسرى إلى مكة بعد أن دفعوا الفدية، ولكن بقي أناس منهم لا يملكون فداءً ولا مالاً.. استخففهم أبو جهل فأطاعوه، وقد ذهب أبو جهل إلى النار وتركهم بين القيود، وهناك آخرون رفض أهلهم دفع الفداء، فماذا سيفعل بهم الرسول ﷺ؟

هل سيقتلهم، أم سيكون الأسر وأعمال السخرة والتعذيب مصيرهم حتى تجمع لهم قريش مالاً؟

لا هذا ولا ذاك. إن رسول الله ﷺ أكبر من أن يكلفهم ما لا يطيقون، والإسلام ما جاء ليصادر الحريات، بل ليدعمها ويطلقها في طرقات البناء والإسلام.

نزل القرآن الكريم يقول للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾[1].

كلمات تسقي بذور الخير في قلوب هؤلاء الأسرى، وتجعلهم أصحاب أفق أبعد، وتفكير أرقى.. كلمات تقدم المغفرة والجنة، فمن أراد الإسلام فلا حاجة لأسره، فليعش بين أهل المدينة على الرحب والإيمان والسعة. أما من يأبى ذلك، فلا حاجة للمسلمين في حبس حريته.. أبواب الحرية أمامه مشرعة، لكن عليه قبل ذلك أن يؤدي.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٠.

Twitter: @ketab_n

الخدمة الاجتماعية بدلاً من الحبس

وبذلك يستفاد منه ومن بقائه بين أظهر المسلمين، بدلاً من إرهاق ميزانية الدولة المسلمة الفقيرة بالإنفاق عليهم.. رغم أن هذا الإنفاق فيه أجر عظيم، وعظيم جداً. كما قال تعالى في وصف الصحابة أنهم: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[1] لذلك أمروا بالخدمة الاجتماعية. فما هي الخدمة التي أداها هؤلاء مقابل حريتهم؟

يقول أحد الصحابة: (كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة)[2] وقد حدثت قصة طريفة بين أحد هؤلاء الأسارى وبين والد أحد أولئك الأطفال، عندما (جاء غلام من أولاد الأنصار إلى أبيه فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي.

قال: الخبيث يطلب بذحل بدر؟ والله لا تأتيه أبداً) أي يأخذ ثأره مما حدث له في غزوة بدر بضرب ذلك الطفل.

وبذلك يؤكد النبي ﷺ مبدأ العلم، وأنه (فريضة على كل مسلم)[3] كما يفتح ﷺ باب خدمة المجتمع كبديل للحبس. فتعلم جزء كبير من أبناء الأنصار القراءة والكتابة، وتفوق المسلمون على عدوهم حرياً وعلماً، وعاد بقية الأسرى إلى مكة، بعد أن أدوا تلك الوظيفة الاجتماعية.

أصابت الدهشة جزيرة العرب لهذا الانتصار، وتفاقم الحقد في نفوس اليهود، وضاقوا بما جرى، ولا أدري لم كل هذا الحقد اليهودي والحسد والأمر كوجه الشمس؟

إنه النبي الذي جاء ليحررهم من الاضطهاد والطغيان، ويخفف عنهم بعض الأحكام التي عوقبوا بها لتمردهم. لا أدري لم كل هذا التبرم والعناد وهم يعرفون أنه ﴿ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٢) سنده قوي. رواه أحمد ١-٢٤٧ وغيره عن علي بن عاصم حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس.. وهو صحيح لولا أخطاء ابن عاصم فهو صدوق يخطئ التقريب ٤٠٣ وهو هنا لم يخطئ فقد تابعه خالد بن عبد الله الطحان ثقة ثبت من رجال الشيخين.

(٣) حديث صحيح. (صحيح الجامع ٢-٧٢٧).

Twitter: @ketab_n

يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1]، وقد تمكن الأحبار والرهبان فيما بعد أن يحذفوا اسم محمد ﷺ من التوراة والإنجيل، لكنهم لم يتمتعوا بقدر من الذكاء يمكنهم من طمس كل شيء يتعلق بمحمد في التوراة والإنجيل. لقد كانوا من الغباء بحيث أبقوا على وصف أحداث وأماكن لا يمكن أن تنطبق إلا على محمد ﷺ، فمثلاً غفلوا عن هذه الكلمات في التوراة، والتي تقول: (هذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: أقبل الرب من سيناء، وأشرق لهم من جبل ساعير وتجلى من جبل فاران)[2] حذفوا اسم محمدٍ ونسوا كلمة (فاران) فجبال فاران هي جبال مكة، وموسى وعيسى، وكل أنبياء بني إسرائيل ليس لهم علاقة بجبال فاران، أي جبال مكة حسب التوراة والإنجيل. فمن هو النبي الذي أوحي إليه وهو فوق جبال فاران، كما أوحي إلى موسى بين جبال سيناء، هل هناك غير محمد ﷺ؟!

شيء آخر.. إنه حادث الهجرة، وحتى غزوة بدر أيضاً كان لهما إشارة في التوراة، وقد حذف الأحبار اسم محمد ﷺ، لكنهم نسوا أن الاسم وحده ليس كل شيء، فالأحداث مفصلة على محمد ﷺ وحده. هكذا تقول توراتهم: (وحي على بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب، بيتوا في صحراء العرب يا قوافل الدّدانيين، هاتوا ماءً للعطشان، يا سكان تيماء استقبلوا الهارب الجائع بالخبز[3]. هم هاربون من أمام السيوف، ومن أمام القوس المشدودة، وويلات الحرب، وهذا ما قاله لي الرب. بعد سنة يفنى كل مجد قيدار (عدنان)، ولا يبقى من أصحاب الأقواس من جبابرة بني (عدنان) قيدار غير القليل)[4].

هذه هي النبوءة التي غفل عنها الأحبار، وتعسف في تأويلها الشراح اليوم، هل تنطبق على نبي غير محمد ﷺ؟ من هو الذي جاء بالوحي من جهة بلاد العرب؟ من هو الذي هرب وأصحابه من شدة العذاب ولظى السيوف؟ من هو النبي الذي هرب

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) الكتاب المقدس ٨٧٥ وانظر محمد...

(٣) أي رسول الله ﷺ ومن معه... وتيماء واحة عربية والدّدانيين شعب عربي.

(٤) الكتاب المقدس، إصحاح إشعيا، ٢١، ص٨٧٥.

Twitter: @ketab_n

مـــن قومـــه (بني عدنان) ثم حاربهم بعد عام؟ من هو الذي أفنى جبابرتهم ولم يبق من جبابرتهم سوى القليل..؟

مـــن هـــو النبي الذي أفنـــى هيبة قريش، وهـــم بنو عدنان بعد ســـنة من هجرته وهروبه، ثم إن هناك حقيقة كالشمس تزداد سطوعاً كلما حاول اليهود إخفاءها.. هذه الحقيقة هي أن التوراة تخاطب اليهود.. اليهود وحدهم، وهي تطلب منهم أن يستقبلوا حامـــل الوحي القادم مـــن بلاد العرب، ومن فاران بالتحديـــد، بالترحاب والخبز، وأن ينصروه فهو هارب من الســـيوف المسلولة والأقواس المشدودة، فلماذا انتقل اليهود من أرض الشام إلى المدينة (يثرب) لماذا تركوا الديار المقدسة الباردة إلى يثرب ذات المناخ الحار، والحمى القاتلة؟

الســـبب واضح: هو أن التوراة كانت فيها تفاصيل أكثر عن هذا النبي، وعن مكان هجرته، وعن وقت خروجه. وإلا فما الذي حشـــر اليهود وجعلهم يزاحمون العرب في (يثرب) ذات الحمى والجبال الوعرة؟ مالذي جعلهم يتحملون كل هذه المعاناة، إلا لأنهم كانوا يريدون أن يوافوا الهارب بالخبز، ويحطموا به العرب والعالم. لكن ويا لأسفهم.. هـــذا الهارب عربي من بني عدنان (قيدار). إنها بالنســـبة لهـــم كارثة. كيف ينقاد بنو إســـرائيل لنبي عربي بعد ذلـــك التاريخ الطويل والحافل بالكتـــب والوحي.. بعد تلك السلسلة الطويلة من الأنبياء العظام من اليهود؟

كيـــف ينقـــاد اليهود المثقفون إلى نبي من هؤلاء العـــرب الذين تغلب عليهم الأمية وتتغلغل في نفوســـهم الوثنية؟ العرب الذين لم يبنوا مدرســـة، ولـــم يؤلفوا كتاباً؟ كيف يرضى اليهود بنبي عربي من بني إســـماعيل..؟ إنه ليس من بني إســـرائيل (يعقوب)، لا ولا حتى من بني إســـحاق. أمر صعب، وحقيقة مـــرة يرفضها اليهود. إنها تعني في نظرهـــم أن يبقى اليهود وكتبهم وتاريخهم على الأرفف، وفي الخزائن لإفســـاح المجال لهذا الجديد الذي يحمله محمد ﷺ.

هذه قصة عجيبة تبين لنا ســـبب قدوم يهود إلى يثرب، وهي تتفق مع ما ورد قبل قليل في التوراة الموجودة اليوم. دعونا نســـتمع إلى رجال تأثروا بالتوراة أكثر مما تأثر بها اليهود أنفسهم.

Twitter: @ketab_n

يقول هؤلاء الرجال: (إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا، أن كنا نسمع من رجل من اليهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسول الله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾)[1].

إذاً فهم في الحقيقة لا ينتظرون نبياً يهديهم إلى الحق، وينقلهم من الظلمات والشرك إلى التوحيد والنور. لقد كانوا ينتظرون ملكاً يبيدون به الجيوش، ويتحكمون به في العالم وثروات العالم، يريدونه من نسل يعقوب وإسحاق، لا من أبناء العمومة - أبناء إسماعيل. وهذا أحد اليهود يتلفظ قبل وفاته بهذه الأمنية، ويبين لمن حول فراشه وهو يموت سبب قدومه إلى يثرب، التي يسميها أرض البؤس والجوع، تاركاً وراءه أرض الخضرة والخمر والأنهار.

يروي لنا هذه القصة رجل من يهود بني قريظة هداه الله للإسلام، ويحدث من نقل لنا هذه الرواية فيقول: (هل تدري عمَّ كان إسلام (ثعلبة بن سعيد) و(أسيد بن سعية) و(أسد ابن عبيد) وهم نفر من بني هذل إخوة بني قريظة. كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا سادتهم في الإسلام؟

قلت: لا.

قال: فإن رجلاً من اليهود من أرض الشام يقال له (ابن الهيِّبان) قدم علينا قبل الإسلام بسنين، فحل بين أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه. فأقام عندنا، فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهيِّبان فاستسق لنا.

---

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ابن هشام٢-٣٧: حدثني عاصم بن عمر ابن قتادة عن رجال من قومه قالوا: عاصم تابعي ثقة عالم سمع من هؤلاء الصحابة التقريب ٢٦٨.

Twitter: @ketab_n

فيقـــول: لا والله، حتى تقدمـــوا بين يدي مخرجكم صدقة، فنقول له: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر، أو مدين من شعير.

فنخرجها، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستســقي لنا، فوالله ما يبرح مجلســه حتى يمر الســحاب ويســقي. قد فعل ذلك غير مرة، ولا مرتين ولا ثلاثاً. ثم حضرته الوفــاة عندنا، فلما عرف أنه ميت قال: يا معشــر يهــود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا: أنت أعلم. قال: فإني إنما قدمت هذه البلــدة أتوكف خروج نبي قــد أظل زمانه، هذه البلدة مُهاجــره، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه، فلا تُســبقن إليه يا معشــر يهود، فإنه يبعث بســفك الدماء وسبي الذراري ممن خالفه، فلا يمنعنكم ذلك منه)[1].

لكن ماذا فعل بنو قريظة بعد بعثة النبي ﷺ؟ هل نفذوا وصية هذا الرجل المشتاق؟ أبداً، لقد ظلوا على يهوديتهم المحرفة، ولم يســلم إلا القليل.. القليل منهم، لكن بعض اليهود لم يكتفوا بالكفر بمحمد ﷺ، بل تفاقم حقدهم فحاولوا نقض المصالحة، وهدم الجسر الذي شيده ﷺ بعد وصوله للمدينة بين أهلها جميعاً.. كفاراً ويهوداً ومسلمين، وكان أحد هؤلاء وأبرزهم يهودي حاقد.. يهودي شــرير أطلق لسانه بالشتم والسباب، ووظف موهبته الشــعرية في الهجاء والسخرية السافلة من الله ورسوله، وكتابه ودينه، ومن دولة الإســلام وأهلها. ومع ذلك كله يأمر الله نبيه ﷺ بالعفو والصفح والتحمل، وعــدم فتــح جبهة مع هذا الخائــن أو ذاك.. صالحهم ﷺ، وأمرهم بأن يعيشــوا في دولة واحدة.. متعاونين على أعدائها متناسين ما بينهم من خلاف، لكنهم خانوا العهد والميثاق، وتنكروا لحسن الجوار والأخلاق، وكان رأس الفتنة هذا يسمى:

كعب بن الأشرف

يحدثنا عنه وعن شــعره أعلم الناس بشــعره.. شــاعر الأنصار (كعب بن مالك) يتحدث عن كعب بن الأشرف فيقول: (إن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً، وكان يهجو رســول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شــعره، وكان رسول الله ﷺ قدم المدينــة وأهلها أخلاطاً: منهم المســلمون الذين تجمعهم دعوة رســول الله ﷺ، ومنهم

---

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق وهو الحديث السابق.

Twitter: @ketab_n

المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحلقة والحصون، وهم حلفاء للحيين الأوس والخزرج.

فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشرك، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ المدينة يؤذونه أشد الأذى، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر والعفو، فقال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾.

وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فأمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوا كعباً، فبعث إليه سعد (محمد بن مسلمة) و(أبا عبس) و(الحارث ابن أخي سعد بن معاذ) في خمسة رهط)[1].

فقال ﷺ: (من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله؟ فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: نعم، قال: فأذن لي رسول الله أن أقول شيئاً.

قال ﷺ: قل)[2] أي سمح له ببعض الكلمات التي يمس فيها رسول الله ﷺ، لكي يخدع بها كعب بن الأشرف، ويتمكن من استدراجه حتى يجهز عليه ويتخلص منه ومن خيانته.

وجاءت ساعة التنفيذ فـ (مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم وقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم)[3].

---

(١) سنده صحيح. أرسله البيهقي (٣-١٩٧) ووصله أبو داود (٣٠٠٠) ومن طريقه رواه البيهقي: حدثنا محمد ابن يحيى بن فارس أن الحكم بن نافع حدثهم، قال: أخبرنا شعيب عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه. والحديث صححه الإمام الألباني في صحيح أبي داود (٣٠٠٠) فالزهري وعبد الرحمن تابعيان ثقتان وشعيب ثقة ثبت من أثبت الناس في الزهري التهذيب ٤-٣٥١: وتلميذه ثقة ثبت من رجال الشيخين التقريب ١٧٦ وتلميذه هو الحافظ الجليل والإمام الثقة المشهور (الذهلي).

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم والبيهقي (٣-١٩٥).

(٣) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٣/٢٠٠): حدثني ثور بن زيد الديلي عن عكرمة عن ابن عباس. ثور الديلي وشيخه ثقة من رجال الشيخين. التقريب ١٣٥ وشيخه زيد إمام ثقة تلميذ ابن عباس رحمه الله.

Twitter: @ketab_n

إذاً فقد (بعث إليه سعدٌ؛ محمدَ بن مسلمة وأبا عبس والحارث ابن أخي سعد بن معاذ في خمسة رهط أتوه عشية، وهو في مجلسهم بالعوالي، فلما رآهم كعب أنكرهم وكاد يذعـر منهم، فقـال لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: جاءت بنا إليك الحاجة. قال: فليدن إلي بعضكم فليحدثني بها.

فدنا إليه بعضهم، فقال: جئناك لنبيعك أدراعاً لنا لنسـتنفق أثمانها. فقال: والله لئـن فعلتم ذلك لقد جهدتم، قد نزل بكم هذا الرجل. فواعدهم أن يأتوه عشـاءً حين يهدأ عنهم الناس.

فجاءوا، فناداه رجل منهم، فقام ليخرج فقالت امرأته: ما طرقوك سـاعتهم هذه لشيء مما تحب. فقال: بلى، إنهم قد حدثوني حديثهم.

فاعتقه أبو عبس وضربه محمد بن مسـلمة بالسـيف، وطعنه بعضهم بالسيف فـي خاصرته)[1] ففرق الحاقد بدمائه، وكان لهذا الفـرق تفاصيل أخرى يرويها أحد الأنصار، وهو جابر بن عبد الله فيقول: (قام محمد بن مسـلمة فقال: يا رسـول الله أتحب أن أقتله؟ قال: نعم. قال: فَأْذَنْ لي يا رسول الله أن أقول شيئاً. قال: قل.

فأتاه محمد بن مسـلمة فقال: إن هذا الرجل قد سـألنا صدقة، وإنه قد عنَّانا، وإني قد أتيتك أستسلفك. قال كعب: وأيضاً والله لتملنه. قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين.

فقال كعب: نعم أرهنوني. قالوا: أي شـيء تريد؟ قال: أرهنوني نسـاءكم. قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟

قـال: أرهنوني أبناءكـم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسـب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكن نرهنك اللامة[2].

فواعـده أن يأتيه، فجـاءه ليلاً ومعه أبـو نائلة -وهو أخو كعـب من الرضاعة- فدعاهـم إلى الحصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه السـاعة؟ فقال:

---

(١) جزء من حديث أبي داود والبيهقي السابق.
(٢) أي الدروع أو السلاح.

Twitter: @ketab_n

إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب.

فقال محمد: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، فنزل إليه متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت اليوم ريحاً أطيب.

قال كعب: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب.

فقال محمد: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم فشمه، ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم.

فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه. ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه)[1] وبشروه بالقضاء على اليهودي مثير الفتن هذا، وكان أحد سادات يهود بني النضير.

هذا الحدث لم يكن سهلاً.. كان أثره عميقاً في نفوس يهود بني النضير، بل إنه قد هز أعماق المشركين من عبدة الأوثان أتباع الوثني المسمى بـ (عبد الله بن أُبي بن سلول) فعندما (قتلوه فزعت اليهود ومن كان معهم من المشركين، فغدوا على رسول الله ﷺ حين أصبحوا فقالوا: إنه طرق صاحبنا الليلة، وهو سيد من ساداتنا فقتل. فذكرهم رسول الله ﷺ الذي كان يقول في أشعاره، وينهاهم به، ودعاهم رسول الله ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم، وبين المسلمين عامة صحيفة كتاباً ينتهون إلى ما فيه.

فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة، كتبها رسول الله ﷺ تحت العذق الذي كان في دار ابنة الحارث)[2] إذاً فقد تحول العهد والميثاق الشفهي إلى:

وثيقة وطنية مكتوبة بين النبي والمسلمين واليهود

ها هو أحد الصحابة يحدثنا بتفاصيل أدق للعملية السابقة فيقول: (مشى معهم رسول الله إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم وقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم،

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم والبيهقي (٣/١٩٥-١٩٦).

(٢) جزء من حديث أبي داود والبيهقي. السابق وهو صحيح.

Twitter: @ketab_n

ثـم رجع رسـول الله ﷺ إلى بيتـه وهو في ليلة مقمـرة، فانطلقوا حتـى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان حديث عهد بعرس، فوثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناحيتهـا وقالت: أنت امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه السـاعة. قال لها كعب: لو دعي الفتى لطعنة أجاب.

فنزل، فتحدث معهم سـاعة وتحدثوا معه، ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشـرف أن نتماشى إلى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم.

فخرجوا، فمشـوا ساعة، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط. ثم مشـى سـاعةً ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودي رأسه ثم قال: اضربوا عدو الله.

فاختلفت عليه أسيافهم، فلم تغن شيئاً،

قال محمد بن مسـلمة: فذكرت مغولاً في سـيفي، فأخذته وقـد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، فوضعته في ثنته، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسـه، أصابه بعض سـيوفنا، فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بعاث، حتى أسندنا في حرة العريض، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم، فوقفنا له سـاعة، ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه، فجئنا به رسول ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي، فسـلمنا عليه فخرج إلينا، فأخبرناه بقتل عدو الله، وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا، ورجعنا إلى أهلنا، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسـه)[1] بعد أن رأوا مصير هذا المتآمر، لا سيما وهو أحد زعماء يهود بني النضير وساداتهم.

ملأ الخوف نفوس مشركي المدينة أمثال عبد الله بن أبي بن سلول وغيره، واهتزت حصون اليهود وأوثان المشـركين، فعقدوا اجتماعاً خائفاً وقصيراً، فيدُ الموت أصبحت

---

(١) سـنده صحيح. رواه ابن إسـحاق (سـيرة ابن كثير) وروى البيهقي أوله (٣/٢٠٠) من طريق ابن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد الديلي عن عكرمة عن ابن عباس.. وقد صرح ابن إسـحاق بالسـماع من شـيخه... وشيخه ثقة من رجال الشيخين. التقريب (١٣٥) وعكرمة تابعي وإمام معروف.

Twitter: @ketab_n

طويلة تمتد نحو كل خائن، حتى لو كان زعيماً ككعب بن الأشرف، فما الذي حدث بعد ذلك الاجتماع؟

(فزعت اليهود ومن كان معهم من المشركين، فغدوا على رسول الله ﷺ حين أصبحوا، فقالوا: إنه طرق صاحبنا الليلة وهو سيد من ساداتنا فقتل، فذكرهم رسول الله ﷺ الذي كان يقول في أشعاره وينهاهم به، ودعاهم رسول الله ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة، كتبها رسول الله ﷺ تحت العذق الذي كان في دار ابنة الحارث)[1].

وثيقة وطنية مكتوبة تلقي على جميع سكان المدينة ومواطني الدولة الإسلامية.. مهما كانت ديانتهم، أقلية أو أكثرية.. مسئولية الأمن في هذه الدولة، وعدم ارتكاب أي شيء يزعزع أمنها، وتجنب أي تعاط مع خارج الدولة قد يسبب ضررا لها.

حدت هذه الوثيقة الوطنية من خيانة هؤلاء اليهود ومن يتعاون معهم من المشركين، أمثال عبد الله بن أُبي بن سلول، وغيره من عباد الأوثان. لقد أفحم رسول الله ﷺ قوم كعب بن الأشرف وأتباعه من يهود بني النضير، وأذنابهم من المشركين حينما هرولوا يحتجون على اغتيال ذلك الخائن.

لقد قدم لهم الوثائق التي تدينه.. أسمعهم ﷺ قصائده التي تنخر في عظام المدينة كلها، وكانت تلك القصائد تحرض على انفجار حرب أهلية تلون جدران المدينة بالموت والدماء.. تلك القصائد كانت تحرض قريشاً على التحالف مع اليهود ضد هذه الدولة الفتية، ولا أعرف سبباً واحداً يجعل كعباً وغيره يقدمون على إثارة الفتن والدماء. لقد عاملهم ﷺ بكل لطف واحترام، وجاء من أجل إنقاذهم.. كان ﷺ حليماً حكيماً في التصرف معهم، رغم إساءاتهم المتكررة له، ولدينه ولأصحابه. لقد سكت اليهود عندما سمعوا تلك القصائد، وكان في سكوتهم إدانة لهم. لكن النبي ﷺ لم يشملهم بالعقاب، إنما دعاهم إلى كتابة وثيقة عهد بينهم يأمن بعضهم شر بعض على أساسها، ويُلزم كل طرف بعدم التعاون مع أطراف خارجية ضد أحد أطراف تلك الوثيقة، ولو بالشعر فالشعر آنذاك هو الإعلام.

---

(١) حديث صحيح مر معنا وقد رواه أبو داود والبيهقي (٣-١٩٨).

Twitter: @ketab_n

وافــق بنــو النضير على ذلك، لكن دماء الحقد المتجمــدة الآن في عروق كعب بن الأشرف.. لا تزال حارةً متدفقة في شرايين بني النضير وغيرهم، فلم يمر سوى زمن يسير حتى:

أعلن يهود النضير وقريظة الحرب

يقول الشاب عبد الله بن عمر بن الخطاب: (إن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رســول الله ﷺ، فأجلى رســول الله ﷺ بني النضير، وأقر قريظة ومن عليهم)[1] لكن ما هي:

قصة إجلاء بني النضير

وكيف خانوا وحاربوا، وكيف تصرف رســول ﷺ معهم ومــع خيانة بني قريظة عندما نقضــوا تلك الصحيفة، التي أجمع عليها يهود المدينة كلهم؟ يحدثنا أحد أصحاب النبي ﷺ فيقول: (إن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أُبي بن سلول، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج -ورســول الله ﷺ يومئذٍ بالمدينة- قبل وقعة «بــدر» يقولون: إنكم آويتم صاحبنا، وإنكــم أكثر أهــل المدينة عدداً، وإنا نقســم بالله لتقاتلنه، أو لتخرجنه، أو لنســتعن عليكم العرب، ثم لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم.

فلما بلغ ذلك (ابن أبي) ومن معه من عبدة الأوثان تراســلوا فاجتمعوا، وأرســلوا وأجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ فلقيهم في جماعة فقال: لقــد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكــم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم.

فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش، وكانت وقعة «بدر» فكتبــت كفــار قريش بعد وقعة بدر إلــى اليهود: إنكم أهل الحلقــة والحصون، وإنكم لتقاتلــن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نســاءكم شــيء (وهو الخلاخل).

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم والبيهقي (٣/١٨٣).

Twitter: @ketab_n

فلمـا بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر، فأرسـلت إلى النبي ﷺ: أخـرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولنخرج فـي ثلاثين حبراً حتى نلتقي في مكان كذا، نصف بيننا وبينكم فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا، فخرج النبـي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثـون حبراً من يهود، حتى إذا برزوا فـي براز[1] من الأرض قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه، كلهم يحب أن يموت قبله، فأرسـلوا إليه: كيف تفهم ونفهم ونحن سـتون رجلاً؟ أخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فليسـمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا وصدقناك.

فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه. واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسـول الله ﷺ، فأرسـلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى بني أخيها -وهو رجل مسلم من الأنصار-، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول ﷺ، فأقبل أخوها سـريعاً، حتى أدرك النبي ﷺ فسـارَّه بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ.

فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب، فحاصرهم وقال لهم: إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه.

فأبـوا أن يعطـوه عهداً، فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسـلمون، ثـم غدا الغد على بنـي قريظة بالخيل والكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم، وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة، والحلقة (السلاح).

فجـاءت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت إبل من أمتعهم وأبواب بيوتهم وخشـبها، فكانـوا يخربون بيوتهـم، فيهدمونها فيحملون ما وافقهم من خشـبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشـر الناس إلى الشام، وكان بنو النضير من سبط من أسباط بني إسرائيل لم يصبهم جلاء منذ كتب الله على بني إسـرائيل الجلاء، فلذلك أجلاهم رسـول الله ﷺ، فلـولا ما كتب اللـه عليهم من الجلاء لعذبهم في الدنيا كمـا عذبت بنو قريظة،

---

(١) في مكان مرتفع.

Twitter: @ketab_n

فأنـزل اللـه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ وكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة فأعطاه الله إياها وخصه بها فقال: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يقول: بغير قتال.

فأعطـى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين وقسـمها بينهم، ولرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجة، لم يقسم لرجل من الأنصار غيرهما)[1].

هـذه هي قصة يهود بني النضيـر.. قدموا إلى المدينة بحثاً عـن النبي المنتظر، فلمـا بعث هـذا النبي وجدوه عربياً وليس من بني إسـرائيل، فكرهوه، وعاهدوه على مضض، ولما حانت لهم الفرصـة خانوه ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه، فعاقبهم الله بالشتات، فاستأنفوا رحلة الضياع من جديد بعد أن حاصرهم المسلمون، فصاروا يخربون بيوتهم غيظاً وحسـداً حتى لا يستفيد منها المسلمون. لكن الغيظ القاتل جلل اليهود، ورافقهم عندما وجدوا المسـلمين أنفسـهم يخربون تلـك البيوت ولا يكترثون. فالمسلمون لم يحاصروا بني النضير من أجل بيوتهم وأموالهم ونخيلهم، بل لأنهم خونة، وإذا كان اليهود يرون في تلك البيوت ثروة للمسلمين، فالمسلمون لا يريدون تلك الثروة، ولا يقبلـون بقـاء الخونة بينهـم أو في جوارهم، بل لقد أقدم المسـلمون على تصرف يحرقون به آثار اليهود.

---

(١) صحح إسناده الإمام الألباني في كتابه «صحيح سنن أبي داود ٢-٥٨٢ حديث (٣٠٠٤) فقد قال: صحيح الإسناد. ولمزيد من التفصيل راجع موسوعة السيرة.

Twitter: @ketab_n

يخبرنا عن ذلك أحد الصحابة رضي الله عنه في قوله: (﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قال: يستنزلونهم من حصونهم، وأمروا بقطع النخل فحاك في صدورهم، فقال المسلمون: قطعنا بعضاً، تركنا بعضاً، فلنسألن رسول الله ﷺ: هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾)[1] أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله.

هذا هو الإسلام، وهؤلاء هم المسلمون، وهذه هي التربية الإسلامية التي لا تنحصر بين أروقة المساجد، وجدران البيوت.. تربية تنتشر في كل اتجاه، وتصاحب المؤمن في كل مكان، وتحت أي ظرف.. في أوج الحروب. بين بريق السيوف والدماء وتفجر الحماس والغضب لله يتوقف المسلمون ليسألوا رسول الله ﷺ عن صحة تصرفهم مع فسيلة نخل؟ الإسلام يشكل تعاملاتهم مع كل شيء، حتى مع جذوع النخل، بعد أن أرشدهم إلى التعامل مع جذوع الخيانة وجذورها اليهودية.

غادر اليهود من بني النضير إلى الشام، وإلى غير رجعة. غادروا يبحثون عن نبي غير عربي يأتيهم حسب رغباتهم، ويأتيهم بما يشتهون، وبقي منهم في المدينة من اختار الله ورسوله، ودخل في الإسلام مكرماً بين حفاوة المؤمنين. غادر (النضير) فهدأت المدينة، وعاد إليها المؤمنون بنصر جديد، وفرح جديد، وعاد عثمان إلى بيته، فعاد الحنين إلى رقية. شعر ﷺ بشوق عثمان وحزنه.. لا بد أنه شعر. ونبي الله ﷺ لا يكتفي بحمل المشاعر لمواساة المحتاجين إلى المواساة.. إنه يشع كالحب في المكان والإنسان.

ها هو يواسي عثمان، وها هو يواسي عمر وعلياً أيضاً.. يجعل منهم نسيجاً وأوشاجاً بارعة الجمال. تعالوا معي إلى البداية.. إلى بيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنهم، فقد كان لابن الخطاب ابنة سماها (حفصة) زوَّجها من صحابي اسمه: (خنيس بن حذافة السهمي) وكان خنيس أحد المهاجرين إلى الله ورسوله. لم

---

(١) سنده صحيح رواه النسائي في الكبرى ٦- ٤٨٣: أخبرنا الحسن بن محمد بن عفان، حدثنا حفص بن غياث، حدثنا حبيب بن أبي عمر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.. سعيد تابعي مجاهد ثقة وحبيب وحفص ثقتان من رجال الشيخين، والحسن الزعفراني ثقة من شيوخ النسائي. انظر التهذيب (٧-٢٣٠، ٢-٣١٨ و٤١٥) وشيخه أوثق منه.

Twitter: @ketab_n

يعـش خنيس مع حفصة طويلاً، فلقـد توفي في المدينة رضي الله عنه، وبعد فترة من الزمـن حدثت هذه القصة، التي يرويها عبد الله بن عمر فيقول (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تأيمت حفصة[1] بنت عمر، من خنيس بن حذافة السـهمي، وكان من أصحاب رسـول الله ﷺ، فتوفي بالمدينـة، فقال عمر: أتيت عثمان فعرضت عليه حفصة بنت عمر، فقلت: إن شئت أنكحتك؟ فقال: سأنظر في أمري. فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا.

قـال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شـئت زوجتـك حفصة بنت عمر؟ فصمت أبو بكر، فلم يرجع إلي شيئاً، فكنت عليه أوجد مني على عثمان.

فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: نعم. قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي، إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها)[2].

فرح عمر بمصاهرة رسول الله ﷺ، وفازت حفصة بنبي الأمة عليه السلام، وقبل عمر اعتذار أبي بكر، أما عثمان بن عفان فعذره لا يحتاج إلى بيان، وحزنه يملأ حياته، لكن الله ورسـوله أرحم بقلب عثمان من أن تذهب به الهموم أبعد من هذا. لقد زوجه رسول الله ﷺ من ابنته أم كلثوم رضي الله عنها، فعاد النبض والحياة إلى النسب بين عثمان وبيت النبوة الكريم.

ابتهـج عثمان، وابتهجـت أم كلثوم، وابتهجت المدينة بهذا العرس الجميل، فشـع فـي صدر أبي بكر طمع مباح، وطموح كالأماني. رغب أبو بكر بقرب أكثر من رسـول اللـه ﷺ، وكانت عيناه وقلبه باتجاه آخر أمل في ذلك.. باتجاه فاطمة بنت محمد ﷺ (سـيدة نسـاء العالمين)[3] وآخر ريحانة من رياحينه الأربع ﷺ وأصغر بناته، ولم يكن أبو بكر وحيداً في حلمه.. كان هناك من ينافسـه، فمن سـيفوز بفاطمة من بين هؤلاء الأفذاذ.

---

(١) يعني مات زوجها.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٥١٢٢) والبيهقي (١٥٨/٣) واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم ٤-١٩٠٤.

Twitter: @ketab_n

أبو بكر وعمر وعلي يريدون فاطمة

تقدم أبو بكر إلى النبي ﷺ خاطباً فاطمة، فلم يرده النبي ﷺ، لكنه اعتذر منه بأسلوب نبوي مدهش، وكذلك فعل عمر، فاعتذر ﷺ بالأسلوب نفسه، فماذا قال ﷺ لصاحبيه وصهريه؟

الإجابة عند أحد الصحابة رضي الله عنه واسمه: (بريدة) حيث يقول: (خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: إنها صغيرة)[1] إنه اعتذار مؤدب. لم يكذب ﷺ عندما قال: إنها صغيرة، ففاطمة صغيرة حقاً لكن ليس على الزواج، فعائشة بنت أبي بكر أصغر منها بسنوات، وهي الآن زوجة لرسول الله ﷺ، والعرب يزوجون في أقل من سنها، فهي قد كانت مخطوبة في سن السادسة لرجل قبل النبي ﷺ، كما أن رسول الله أكبر وأسن من أبي بكر، ومن عمر أيضاً. إذاً فالأمر غير ذلك.

أمر آخر هو أن أبا بكر وعمر هما أفضل الأمة، وهما أفضل من عثمان رضي الله عنهم ومع ذلك اعتذر لهما وزوج عثمان ابنتيه: رقية وأم كلثوم، بل إن ابنته الكبرى زينب لا تزال متزوجة من رجل مشرك حتى الآن[2]، وهو أبو العاص بن الربيع. إذاً فالأمر لله من قبل ومن بعد، والزواج من الأمور الدنيوية التي تراعى فيها أشياء أخرى خارج الأفضلية والتقوى والكبر والصغر.

انصرف أبو بكر وانصرف عمر رضي الله عنهما، وقد رضيا بما رضيه الله ورسوله ﷺ، وتسربت أخبارهما إلى مسامع امرأة يهمها أمر زواج فاطمة، فأقلقها ما سمعت، فهبت مسرعة إلى سيدها تحرضه، وتحرضه على الزواج من سيدة نساء العالم. فماذا فعل هذا السيد، وماذا قال عندما سمع الخبر؟

ها هو يحدثنا بنفسه عن ذلك فيقول: (خُطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ، فقالت لي مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا. قالت: فقد

---

(١) سنده صحيح. رواه النسائي (٦/٦٢) حدثنا الحسين بن حريث، حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه: وعبد الله تابعي وثقة معروف وتلميذه الحسين ثقة من رجال مسلم (التقريب ١/١٨٠) والفضل ثقة ثبت من رجال البخاري ومسلم (التقريب ٢/١١١) وشيخ النسائي ثقة من رجال الشيخين (التقريب ١/١٧٥).

(٢) أقصد وقت خطبة أبي بكر وعمر لفاطمة رضي الله عنها وعنهم.

Twitter: @ketab_n

خطبت. فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك.

فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ)[1].

لكن لماذا كل هذا التردد في خطبة فاطمة، والقلب ميال إليها؟

أسباب كثيرة جعلت علي بن أبي طالب يتردد في خطبة فاطمة، وهي بنت ابن عمه. لعل أحدها كونه معدماً.. لا يملك ما يقدمه مهراً لهذه الوردة الطاهرة، وهي التي تستحق الكثير الكثير. لكن كيف أصبح علي معدماً وهو يملك شارفين من غنائم بدر؟

لقد ذهب كل شيء، واختفت الناقتان.. ذهبتا مع الريح والخمر، وبقي علي وحيداً يملؤه الهم، وتفيض عيناه من الحزن. فقبل أيام رأى شيئاً مكدراً.. رأى ناقتيه قد سال دمهما، وبقرت بطونهما، واقتطعت أسنمتهما، وهو لم يرتكب خطأ في حق أحد، أما ما زاد في حزن علي وكدره، فهو أن الذي فعل ذلك به وبمهر فاطمة كان عمه وعمها حمزة بن عبد المطلب!! ذلك الأسد الهصور، والفاتك الجسور. لقد شق بطني الناقتين، وقطع سناميها وانتزع كبديهما، فـ:

هل وقع شجار بين حمزة وعلي

هذا ما سنعرفه من علي نفسه حيث يقول: (كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان رسول الله ﷺ أعطاني شارفاً من الخمس يومئذٍ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ وأعدت رجلاً صواغاً من بني «قينقاع» يرتحل معي، فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين[2] فأستعين به في وليمة عرسي، فبينا أنا أجمع لشارفي متاعاً من الأقتاب والغرائر والحبال، وشارفاي مناخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، وجمعت حين جمعت ما جمعت، فإذا شارفاي قد اجتبت أسنمتهما، وبقرت خواصرهما، وأخذت من أكبادهما، فلم أملك عينيَّ حين رأيت ذلك المنظر

---

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٣-١٦٠): حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي. ابن نجيح ثقة التقريب ٣٢٦ وهذا ليس من التفسير فهو لم يسمعه من مجاهد أما ما عداه فقد قال ابن أبي حاتم: قلت لأبي: ابن أبي نجيح عن مجاهد أو خصيف؟ قال: ابن أبي نجيح. التهذيب (٦-٥٤).

(٢) الذين يعملون في صياغة الذهب والفضة.

Twitter: @ketab_n

منهمـــا، قلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبد المطلب، وهو في هذا البيت في شَرْب[1] من الأنصار، غنته قينةٌ وأصحابه، فقالت في غنائها:

ألا يا حمزة للشرف النواء

فقام حمزة بالسيف، فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما، فأخذ من أكبادهما.

قال علي: فانطلقت حتى أدخل على رســول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة، فعرف رسول الله ﷺ في وجهي الذي لقيت، فقال رسول الله ﷺ: ما لك؟ قلت: يا رسول الله، والله ما رأيت كاليوم قط، عدا حمزة على ناقتي، فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما، وها هو ذا في بيتٍ معه شَرْب.

فدعا رسول الله ﷺ بردائه فارتداه، ثم انطلق يمشي، واتبعته أنا وزيد بن حارثة، حتى جاء الباب الذي فيه حمزة، فاستأذن، فأذنوا له، فإذا هم شرب، فطفق رسول الله ﷺ يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة محمرةٌ عيناه، فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ، ثم صعد النظر إلى ركبتيه، ثم صعد النظر فنظر إلى سرته، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه، فقال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟ فعرف رسول الله ﷺ أنه ثمل، فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقرى، وخرج وخرجنا معه)[2].

فلا فائدة من العتاب واللوم إن لم تذهب الخمرة من رأس شــاربها، فالانســحاب هو أفضل قرار في مثل هذا الظرف.

انسحب رســول الله ﷺ وزيد بن حارثة، وانسحب علي وسحب معه حزناً أفاض عينيــه. إنها الخمر، وهي مــا زالت حتى اليوم مباحة، ولعلي مع الخمر قصة أخرى لا تقل فداحة عن هذه.

يحدثنــا عنها فيقول: (صنــع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا، وســقانا مــن الخمر، فأخذت الخمر منــا، وحضرت الصلاة، فقدمونــي، فقرأت: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ ونحن نعبد ما تعبدون.

---

(١) الشرب: هم الجماعة الذين اجتمعوا على شرب الخمر.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري ٤٠٠٣ ومسلم ٣-١٥٦٨.

Twitter: @ketab_n

فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾)[1] فالصلاة حضور كامل، والخمرة غياب كامل، لذلك بدأ الإسلام يفتح القلوب والعيون على قوائم الفواجع التي يحدثها ذلك الغياب، وترتكبها الخمرة باسم النشوة، لكن هذه الآية لم تشر إلى تحريم الخمر، إنما تنهى عن الصلاة في حالة السكر، مما جعل عمر بن الخطاب يبتهل إلى الله قائلاً: (اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً)[2].

فأمسى بعض الصحابة من يشربها في الأوقات الطويلة، التي لا صلاة فيها، كالوقت بين العشاء والفجر، أو بين الفجر والظهر، لكن أثر الخمرة لم يقتصر على إفساد الصلاة.. إنها تنتهك العقل.. تغيبه، فينطلق الإنسان متحرراً من كل قيد.. من كل شيء.. تمحي أمامه الفواصل، وتنهار في طريقه الأخلاق والآداب. يذوب الخطأ بالصواب، والجريمة بالفضيلة. الخمرة تنطلق بالإنسان من الإنسان.. تمسخه حيواناً لا يفكر بشيء، ولا يعبأ بشيء.. جسداً.. كتلة من اللحم والدم تدوس كل شيء، حتى ولو كان هذا الشيء أباً، وينتهك كل شيء، حتى وإن كان هذا الشيء أماً.

عمر بن الخطاب يبحث عن بيان شاف، وعلي بن أبي طالب يبحث عن مهرٍ كاف لفاطمة، فهذا المهر قد ضاع.. يبحث عليٌّ فلا يجد سوى ما يسد به رمقه، ويواصل بحثه فلا يجد شيئاً، لكنه يجد مولاةً له تشعر بتجوال فاطمة بين أضلاعه، فتقول له: (هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندي شيء أتزوج به! فقالت: إنك إذا جئت رسول الله ﷺ زوجك. قال: فوالله ما زالت ترجيني، حتى دخلت على رسول الله ﷺ، وكان لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة، فلما قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم، فقال رسول الله ﷺ: ما جاء بك، ألك حاجة؟ فسكت. فقال: ما جاء بك، ألك حاجة؟ فسكت، فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم. فقال: وهل عندك من شيء تستحلها به؟ فقلت: لا، والله يا رسول الله. فقال: ما فعلت درع سلحتكها؟

---

(١) حديث صحيح. صححه الألباني (صحيح الترمذي ٣/٣٩).
(٢) حديث صحيح. رواه أبو داود وصححه الإمام الألباني (٢/٦٩٩).

Twitter: @ketab_n

-فوالذي نفس عليٍّ بيده إنها لحطمية ما ثمنها أربعة دراهم-

فقلت: عندي. فقال ﷺ: قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها به. فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ)[1] وريحانة حبيب الله وزعيم الأمة.

وتغادر الفتاة بيت أبيها، إلى بيت ليس فيه شيء سوى الحب، وأحلام الشباب.. بيت لو تجولت فيه عيناك لفاضت بدموع كما فاضت عينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رأى بيتاً شبيهاً ببيت فاطمة وعلي.

يقول عمر رضي الله عنه: (دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير، فجلست، فإذا عليه إزار، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، وقرظ[2] في ناحيةٍ في الغرفة، وإذا إهاب[3] معلق، فابتدرت عيناي[4]، فقال ﷺ: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذلك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته، وهذه خزانتك، قال ﷺ: ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت: بلى)[5].

الدنيا عند رسول الله ﷺ (سجن المؤمن وجنة الكافر)[6] سجن المؤمن عن الجنة.. الدنيا معاناة نحو الجنة، سيشعر بأنها سجن عند دخوله الجنة ورؤيته لأنهارها، وساحاتها وميادينها وقصورها، وشوارعها ومركباتها وسفنها الفارهة، ومدنها وسمائها وأرضها وأجساد أهلها، وعقولهم وقلوبهم، والحب والود والسلام الذي بينهم، والأمن والسعادة والاكتشاف لكل جميل ومثير دون توقف[7].

---

(١) سند قوي رواه ابن إسحاق بالسند السابق حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد عن علي.
(٢) القرظ: شيء يدبغ به الجلد.
(٣) الإهاب: هو الجلد قبل دبغه، قال ﷺ: «إذا دبغ الإهاب فقد طهر» رواه مسلم.
(٤) سالت الدموع.
(٥) حديث حسن. حسنه الإمام الألباني في صحيح ابن ماجه (٢-٤٠١).
(٦) حديث صحيح. رواه مسلم ٤-٢٢٧٣.
(٧) انظر كتاب (الجنة حين أتمنى) لمعرفة عمق هذا الحديث.

Twitter: @ketab_n

والدنيا جنة عند الكافر إذا حشر إلى النار يوم القيامة يتمنى الرجوع إليها.. الدنيا سجن المؤمن وإلا لما (كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدماً[1] حشوه ليف)[2].

الدنيا سجن المؤمن وإلا لما عاشت فاطمة في ذلك البيت المتواضع، ومهرها درع بأربعة دراهم، وبنات كسرى وقيصر بين الوصيفات والخادمات في مروج وقصور مبحرة عبر الأنغام والأوتار.

أما أثاث بيت فاطمة، فكان يثير الشفقة.. قدمه ﷺ هدية إلى حبيبه. لقد (جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل، وقربة، ووسادة أدم حشوها إذخر)[3] أثاثها رضي الله عنها: كساء من الصوف، وقربة للماء، ووسادة من الجلد محشوة بحشيشة الإذخر. فقر تصعب معه الحياة، إلا إذا كان الحب والإيمان عميقاً وفسيحاً، كما هو في قلبي فاطمة وعلي رضي الله عنهما.

فرح علي بفاطمة، وفرحت المدينة بعلي وفاطمة، وفي مثل هذا الفرح الغامر يقول ﷺ: (أعلنوا النكاح)[4] فإعلان الزواج ابتهاج بالجميل، وابتهاج بالاجتماع والمصاهرة والحلال، ولذلك يقول ﷺ لأمته: (فصل ما بين الحلال والحرام الدف، والصوت في النكاح)[5].

ها هو ﷺ يستمع إلى الدف والصوت، أي الغناء في مناسبة كهذه، فيعلن الحب لهؤلاء الذين يضربون الدف، ويحلف بالله على حبه لهؤلاء الذين يغنون.

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (مر النبي ﷺ بحي من بني النجار، وإذا جوار يضربن بالدفوف يقلن:

---

(١) جلد.

(٢) حديث صحيح. رواه مسلم ٣-١٦٥٠.

(٣) سنده قوي. رواه ابن ماجة ٤١٥٢ بسند فيه عطاء بن السائب رحمه الله وقد اختلط، والراوي عنه محمد بن فضيل، قال أبو حاتم، وما روى عنه ابن فضيل ففيه غلط واضطراب، التهذيب ٧-٢٠٥ وقد توبع عند البيهقي (٣-١٦١) تابعة زائدة وقد قال الطبراني رحمه الله: ما رواه عنه المتقدمون فهو صحيح مثل: سفيان وشعبة وزهير وزائدة (التهذيب ٧-٢٠٧).

(٤) حديث حسن. (صحيح الجامع ١-٢٤٣).

(٥) حديث حسنه الإمام الألباني. (صحيح سنن النسائي ٢-٧٠٩).

Twitter: @ketab_n

نحـن جَـوار مـن بنـي النجـار يـا حبـذا محمـد مـن جـار

فقال رسول الله ﷺ: يعلم الله أن قلبي يحبكم)[1].

وذات يوم (أبصر النبي ﷺ نسـاءً وصبياناً مقبلين مـن عرس فقام ممتناً فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إلي)[2].

ويحرض عليه السـلام أمته على الانشـراح في مناسباتها الاحتفالية.. في قصة شاركت عائشة في زفتها، وحفظتها لنا فقالت: (أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: يا عائشة ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو)[3].

وها هو عامر بن سعد بن أبي وقاص وهو ليس بصحابي يستنكر جلوس اثنين من الصحابة من أبطال بدر عند الدف والغناء وهما من أهل بدر فماذا قالا له؟

يقـول عامر رحمه الله: (دخلت على قريظة بن كعب وأبي مسـعود الأنصاري في عرس، وإذا جوار يغنين، فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ، ومن أهل بدر، يفعل هذا عندكم؟ فقال: اجلس إن شئت، فاسمع معنا، وإن شئت اذهب، قد رخص لنا في اللهو عند العرس)[4].

غمرت المدينة فرحة، وغمرت بيـت النبوة التهاني من المهاجرين والأنصار، وقدم المحبون للمشـاركة في أفراح الزهراء، وتسلسل بين القادمين رجال يبتسمون في وجه النبـي ﷺ ووجوه أصحابه، بينما كانت قلوبهم مكشـرة جامحـة مولية.. تكاد تميز.. تتقطع حقداً وغيظاً كلما تهادى سرور إلى قلبه، أو بيته ﷺ.

كانت قلوب هؤلاء تتلمـظ كالحيات. أحد هؤلاء المزعجين المخيفين.. رجل يدعى (عبد الله بن أبي بن سلول).

---

(١) سنده قوي رواه البيهقي ٢-٥٠٨ والطبراني في الصغير ١- ٦٥ من طرق عن أبي خيثمة مصعب بن سعيد المصيصي، حدثنا سعيد بن يونس ، عن عوف الأعرابي، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس ، عن أنس. وليس له علة سوى تدليس أبي خيثمة، وهو هنا لم يدلس بل صرح بالسماع من شيخه والبقية ثقات. وابن ماجة (الصحيح للألباني ١/ ٣٢٠).

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٥١٨٠).

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٤٨٦٧).

(٤) حديث حسن. (سنن النسائي ٢/ ٧١٢).

Twitter: @ketab_n

تحت عباءة هذا الرجل يختبئ عشرات المشركين، الذين يرون المدينة سجناً لا يطاق بمحمد وصحبه.. يرون المدينة غريبة دون أصنام.. دون شـــرك.. دون ســـحر وشعوذة، وبعد تفكير فرضه عليهم انتصار بدر قرر عبد الله بن أبي بن ســـلول أن يحمل أقدامه إلى حيث محمد، ليبايعه، وخلفه تثاقل عشـــرات الحاقدين، فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، ومدوا أيديهم المسمومة إلى يده الطاهرة.. مصافحين معلنين الولاء، فقد أدرك ابـــن أبي ومن معه أنـــه لا مكان لهم في قلوب الناس، ولا بين حـــرات المدينة، وهم على شـــركهم. أدركوا ذلك بالتحديد، بعد انتصار المسلمين في بدر، فقد كبر محمد وصحبه في نظرهم وتعاظم في قلوبهم، وهو يطيح برؤوس زعماء أشهر قبيلة عربية، لذلك كونوا صفاً من الخفافيش.. تشرك في الظلام، وتتظاهر بالإيمان تحت الشمس.. كونوا صفاً خطيراً عرف فيما بعد باسم المنافقين:

مولد النفاق

يقول الطفل أســـامة بن زيد: (لما غزا رســـول الله ﷺ بدراً، فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه. فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا)[1] بألسنتهم وخوفاً ممن حولهم من المؤمنين الذين شـــكلوا أغلبية ســـاحقة على المشركين، وإلا فهو ما زال على كفره.. هو ومـــن معه. يتمنون القضاء على هذا النبي ومن معـــه، وينتظرون يوماً تثأر فيه قريش لصرعاهـــا في بدر، أو تنفجر يهـــود، أو تثور هذه الجبال المحيطة بالمدينة، فتدك هذا الإســـلام وأهله. ومرت الأيام والمنافقون ينتظرون شـــيئاً من هذا أو ذاك، وفي يوم من الأيـــام لاح أمـــل للمنافقين، وفركوا أيديهم فرحاً بخبر قـــادم من مكة.. فرح المنافقون بخطر قادم من قريش، لعله يجسد أحلامهم.

سننتقل إلى مكة لنعرف ذلك الخبر. ها هو أبو سفيان بن حرب، وقد حصل على زعامة مكة بعد أبي جهل وأمية. ها هو وبعد مشاورات، وندوات واجتماعات يقرر الثأر لطواغيت قريش، ولأصنام قريش. إنه يحشـــد الرجال والجمـــال والأموال والنفوس، وبعد أن توافر له جيش ضخم يفوق جيش الشرك في بدر.. عزم على التحرك به نحو المدينة، للإجهاز على دولة الإسلام هناك، فتحركت قلوب المنافقين واليهود فرحاً.

أما في المدينة، فالوحي يهمي على العالم مزيداً من النظافة:

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم.

Twitter: @ketab_n

النبي ﷺ يأمر بالانتفاع بالخمر

يأمر ببيعها بعد تلك الأحداث التي تسببت فيها الخمرة، وبعد ذلك النكد الذي أحدثته. قام ﷺ على منبره يخاطب أصحابه، وهو يتوجس أمراً سيحدث في المستقبل. فسمعه أحد شباب الأنصار هو (أبو سعيد الخدريّ) وقال: (سمعت رسول الله ﷺ يخطب بالمدينة، قال: يا أيها الناس، إن الله تعالى يعرض بالخمر، ولعل الله سينزل فيها أمراً، فمن كان عنده منها شيء فليبعه، ولينتفع به)[1].

كان للخمر تأثير على مهر فاطمة، وكان للخمر تأثير أشد على بيت الطفل (أنس بن مالك)، فلقد فرق بين أمه وأبيه، بل لقد فرق بين أبيه والمدينة، فبعد نزول قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[2]، وبعد خطبة النبي ﷺ تلك.. أحس (مالك بن النضر) والد أنس بضيق الإسلام ورسوله ﷺ من الخمر، وهو مدمن خمر لا يصبر عنها، ورغم أن الخمر لم تحرم حتى الآن، إلا أن مالكاً لا يشعر بالتفاؤل تجاه هذا الموضوع، ولذلك استدعى زوجته الرائعة «أم سليم بنت ملحان» وهي أم أنس، وصارحها بما في نفسه، وأنه يرفض تحريم الخمر إن حرم، وأن حبّه للمسكر أكثر من حبه لزوجته، بل وابنه الوحيد الصغير أنس، لكن الله لم يترك أم سليم ولا ابنها. فالله أرحم بالمؤمنين من أنفسهم.

فُجعت أم سليم بزوجها، ثم بابنها، في قصة من قصص عظماء النساء اللواتي تفاخر بهن أممهن.. قصة أم سليم مع الخمر ومع زوجها وابنها.. يقصّها ابنها أنس فيقول أن والده مالك قال لوالدته أم سليم: (إن هذا الرجل، يعني النبي ﷺ يحرم الخمر.

فانطلق حتى أتى الشام، فهلك هناك)[3] وبقيت أم سليم وابنها في المدينة صابرين مؤمنين، حتى علم رجل مشرك من أهل المدينة بما حدث، فمال قلبه إلى أم سليم، ورغب في الزواج منها، وكان هذا الرجل يدعى «أبو طلحة»، فهل لديه قدرة على تقديم أغلى مهر تطلبه امرأة؟

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٥٧٨) تحريم بيع الخمر.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٣) سنده صحيح رواه أبو داود الطيالسي (٢-١٥٩): من طرق قوية عن ثابت، عن أنس، وثابت البناني تابعي ثقة سمع أنس وللحديث بقية تأتي فيما بعده. وبعضه عند الشيخين.

Twitter: @ketab_n

أبو طلحة ومهر أم سليم الغالي

يقــول أنس رضي اللــه عنه: (جاء أبو طلحة فخطب أم ســليم، فكلمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة.. ما مثلك يرد، ولكنك امرؤ كافر، وأنا امرأة مســلمة لا يصلح لي أن أتزوجك. فقال: ما ذاك مهرك! قالت: وما مهري؟ قال: الصفراء والبيضاء.

قالت: فإني لا أريد صفراء، ولا بيضاء.. أريد منك الإسلام، [أتزوجك وأنت تعبد خشبة نجرها عبدي فلان؟] «فإن تسلم فذاك مهري، ولا أسألك غيره». قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ.

فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ -ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه- فلمّا رآه قال: جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه.

فأخبر رســول الله ﷺ بما قالت أم ســليم، فتزوجها على ذلــك[1]، وكانت امرأة مليحــة العينــين، فيها صغر، فكانت معه حتى ولد له بنــي، وكان يحبه أبو طلحة حباً شــديداً، ومرض الصبي «مرضاً شــديداً» وتواضع أبو طلحــة لمرضه أو تضعضع له، «فــكان أبو طلحة يقوم صلاة الغداة يتوضأ، ويأتي النبي ﷺ فيصلي معه، ويكون معه إلــى قريب من نصف النهار، ويجيء ويقيل ويــأكل، فإذا صلى الظهر تهيّأ وذهب، فلم يجئ إلى صلاة العتمة».

فانطلق أبو طلحة عشــية إلى النبي ﷺ، ومات الصبي، فقالت أم سليم: لا ينعينّ إلى أبي طلحة أحد ابنه حتى أكون أنا الذي أنعاه له. فهيأت الصبي «فســجت عليه»، ووضعته «في جانب البيت»، وجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ حتى دخل عليها، «ومعه ناس من أهل المسجد من أصحابه»[2]. فقال: كيف ابني؟ فقالت: يا أبا طلحة ما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة، «وأرجو أن يكون قد استراح».

فأتته بعشــائه «فقربته إليهم فتعشــوا، وخرج القوم»، «فقام إلى فراشــه فوضع رأســه»، ثم قامت فتطيبت «وتصنعت له أحســن ما كانت تصنع قبل ذلك»، «ثم جاءت

---

(١) بعد هذه الكلمة قال ثابت البناني - مرت ترجمته في الحديث الســابق - : (فما بلغنا أن مهراً كان أعظم منه أنها رضيت الإسلام مهراً، فتزوجها) وقد فصلت هذه العبارة لأنها من كلامه لا من كلام أنس.

(٢) هم أهل الصفة وهم أهل المسجد.. جاء بهم ليطعمهم.

Twitter: @ketab_n

حتى دخلت معه الفراش، فما هو إلا أن وجد ريح الطيب كان منه ما يكون من الرجل مع أهله»، «فلما كان آخر الليل» قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوماً أعاروا قوماً عارية لهم، فسألوهم إياها، أكان لهم أن يمنعوهم؟ فقال: لا. قالت: فإن الله عزّ وجلّ كان أعارك ابنك عارية، ثم قبضه إليه، فاحتسب واصبر.

فغضب ثم قال: تركتني حتى إذا وقعت بما وقعت به نعيت إليَّ ابني، «فاسترجع وحمد الله»، «فلما أصبح اغتسل»، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ «فصلى معه» فأخبره.

فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما»، فثقلت من ذلك الحمل، وكانت أم سليم تسافر مع النبي ﷺ، تخرج إذا خرج، وتدخل معه إذا دخل، وقال رسول الله ﷺ: إذا ولدت فأتوني بالصبي، فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه)[1].

أم سليم الآن بصحبة رسول الله ﷺ، ومعها زوجها، ومعهم رجال كثيرون ونساء أيضاً، ولكن إلى أين..؟

المكان الذي يقصدونه ليس ببعيد، لكنه خطير جداً، وسبب السفر أخطر، وله قصة مثيرة. فهل لديكم وقت للسفر مع رسول الله ﷺ وأم سليم وأبي طلحة وأصحابهم رضي الله عنهم؟

هيا بنا، ولكن قبل ذلك أستأذنكم للّحاق بهذا الرجل المهموم بالإيمان والكفر، وأشياء ثقيلة تملأ رأسه وقلبه.. إنه

جبير بن مطعم والهموم

عاد جبير بن مطعم منكسراً إلى مكة.. يحمل الحسرة والهزيمة.. تاركاً طواغيت قريش في تلك البئر المنتنة، وتاركاً عمه «طعيمة» مجندلاً على أرض بدر تحرقه السوافع، بعد أن أحرقه حمزة بسيفه الملتهب، ثم عاد جبير إلى المدينة مرة أخرى يطلب إطلاق الأسرى دون مقابل، لكن النبي ﷺ أجابه تلك الإجابة العظيمة التي

---

(١) هو حديث أبي داود الطيالسي السابق وما بين المعقوفين عند البزار بسند صحيح (زوائد - ٢٤٦/٣)، والزيادة الأولى للنسائي والزيادة الرابعة لابن سعد (٤٣٢/٨) والسادسة والثامنة والثالثة عشر للبخاري ولتفصيل أكثر انظر كتاب الجنائز للشيخ الألباني حفظه الله (٢٤).

Twitter: @ketab_n

يعتــرف بها ﷺ بمعروف والــده (المطعم ابن عدي)، فقال له: (لو كان المطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له)[1]

فانكسر جبير بن المطعم بن عدي مرة أخرى، ومضى إلى مكة كالحيرة بين الاحترام لوالــده، والاحتــراق لعمه.. عاد يحمل إيمانــاً يرزح تحت أطنان من العــادات والتقاليد والأصنام، وكان أشدّ هذه الموروثات على نفسه شيطان كالجحيم.. شيطان اسمه: الثأر.

حوصر جبير بن مطعم بعد وصوله إلى مكة بالنواح على عمه.. بشقّ الجيوب، ولطم الخــدود.. حوصــر بالاســتفزاز الجاهلي، حتى غلى الثأر في رأسه وعروقه بعدما جمع أبو ســفيان الكفر وأهله متجهاً بهم نحــو المدينة، فأحسّ جبير بوخز الثأر، فنادى عبداً مملوكاً له اسمه «وحشي»، وكان أمهر الناس برمي الحربة، فهو نادراً ما يخطئ هدفه.

نادى جبير «وحشــياً» ليفتح له باباً للعتق من الذل.. ناداه ليخلصه من هذا الرق، والحصار الكريه.. ناداه وأغراه بأحلام كل العبيد.. أغراه بـ:

حمزة باباً للحرية

يقول وحشــي: (كنت غلاماً لجبير بن مطعم، وكان عمه طعيمة قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أُحُد قال لي جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق.

فخرجــت مع الناس، وكنت رجلاً «حبشــياً» أقذف بالحربة قذف الحبشــة، قلَّما أخطئ بها شيئاً)[2].

خرج وحشــي لا يبحث عن شــيء سوى الحرية.. لا يبحث سوى عن حمزة، فليس لديــه ثأر مع أحد.. كان يبحث عن ثأر من قيود العبودية والرقّ الذليل التي طوّقته بها قريش. كان وحشي مشركاً.. لا يفرّق بين الوسائل نحو الحرية، ولا يهمّه سواها، حتى ولو خاض في دماء طاهرة كدماء حمزة.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٢٣).

(٢) ســنده صحيح رواه ابن إســحاق ابن هشــام٤-١٧: حدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة. عن ســليمان بن يســار، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن وحشي. عبد الله تابعي ثقة التقريب ٣١٧ وشيخه وشيخ شيخه تابعيان ثقتان التقريب ٢٥٥ و١٤٠.

Twitter: @ketab_n

كان جيش الثأر المشـــرك يسير في اتجاه، وكان وحشي معهم لكنه يسير في اتجاه آخـــر.. اتجاه من الأحلام، والوعود المخضبة بالدماء، حتى وصلوا إلى مكان قريب من جبل أُحد حول المدينة، التي أفاقت على هول الخبر ومفاجأته، وأفاق رســـول الله ﷺ من نومه ورؤياه.

رؤيا النبي ﷺ

كان نائمـــاً، والنبي ﷺ يقول: (تنام عيناي ولا ينـــام قلبي)[1]، وفي نومه ذلك رأى رؤيـــا قال عنها: (إني رأيت أني في درع حصينة. فأوّلتها: المدينة، وأني مردف كبشـــاً. فأوّلتـــه كبش الكتيبة، ورأيت أن ســـيفي ذا الفقار فُلَّ. فأوّلتـــه: فلا فيكم، ورأيت بقراً تذبح. فبقرٌ والله خير، فبقرٌ والله خير)[2].

نهض ﷺ من نومه، وهبّ لجمع أصحابه.. لا ليقرّر، ولا ليأمر بل:

دعاهم ليستشيرهم

وبعدما اجتمعوا شاورهم جميعاً دون استثناء، وكان رأيه ﷺ ورأي بعض الصحابة أن يقاتلـــوا داخل المدينة، وقص عليهم ﷺ رؤياه، لكن أناســـاً منهم لم يحضروا غزوة بدر.. غمرهم الحماس وأصرّوا على الخروج، لتأديب أولئك الوثنيّين، لعل أحدهم عمّ أنس بن مالك واسمه (أنس بن النضر).

يتحدث أنس عن عمّه أنس رضي الله عنهما فيقول: (عمي الذي ســـميت به[3] لم يشـــهد مع رســـول الله ﷺ بدرا، فشق عليه. قال: أول مشـــهد شهده[4] رسول الله ﷺ

---

(١) سـنده صحيح رواه عبد الرزاق ٢ - ٤٠٥ عن مالك عن ســعيد بن أبي ســعيد عن أبي سلمة عن عائشة. ورجاله أئمة ثقات وله طرق أخرى عن غير عائشة.

(٢) سنده قوي رواه أحمد ١-٢٧١ وغيره عن ابن وهب أخبرنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس. ابن أبي الزناد صدوق ووالده ثقة التقريب ٤٣٣ و٣٠٢ وعبيد الله تابعي ثقة ثبت - التقريب ٣٧٢.

(٣) أي سماني أبي أنساً على اسم عمي أنس.

(٤) يقصد رضي الله عنه غزوة بدر.

Twitter: @ketab_n

غيبت عنه، وإن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع)[1] قال أنس إن عمه (هاب أن يقول غيرها)[2].

إن رجالاً بهذه المعنويات لا يمكن أن يقنعوا بقتال الشوارع والمدن.. إنهم يريدون ساحات ومساحات يعانقون فيها الخلود، وينتشون فيها ببريق الشهادة والسيوف. لكن الحماس لا يعني الانتصار، والمعنويات لا تكفي، فخارج هذه المدينة يربض عدو استعدّ وأعدّ وكشّر.. عدو حمل كل ما يمكن حمله للانتقام والثأر، فالبقاء في المدينة أحكم، وأسلم عسكرياً في ظلّ عدم الاستعداد والمفاجأة التي لم تكن في الحسبان، لدرجة أن رسول الله ﷺ كان يحدّث أصحابه وهو في ثيابه العادية حتى الآن، قال رسول الله ﷺ قوله، وأبدى رأيه، وترك الاختيار لأصحابه رضي الله عنهم. (فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدراً: يخرج بنا رسول الله ﷺ إليهم نقاتلهم - ورجوا أن يصيبوا من الفضيلة ما أصاب أهل بدر، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته[3]، ثم ندموا وقالوا: يا رسول الله، أقم فالرأي رأيك. فقال رسول الله ﷺ: ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد أن لبسها، حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه)[4].

وقبل أن ينطلق ﷺ إلى أرض المعركة أحب أن يستعرض جيشه، الذي تداعى من كل مكان في المدينة متلهفاً، فأجاز من يستطيع القتال، وردّ صغار السن.

هذا أحدهم: طفل اسمه (البراء بن عازب) رضي الله عنه يقول: (عرضت أنا وابن عمر يوم بدر فاستصغرنا وشهدنا أُحداً)[5].

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم ٣-١٥١٢.

(٢) هو جزء السابق.

(٣) أي أداة الحرب.

(٤) سنده قوي رواه الحاكم ٢ - ١٤١ وغيره بسند أحمد السابق عن ابن وهب عن ابن أبي الزناد عن أبيه وقد مر تخريجه.

(٥) سنده حسن، رواه الطبراني ٢-٨ حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثني عمي أبو بكر، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن مطرف، عن أبي إسحاق عن البراء. شيخ الطبراني ثقة من أوعية العلم قال عنه الإمام الألباني: فيه كلام، لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن (الصحيحة - (٤-١٥٦)) وشيخه إمام معروف، وابن إدريس ثقة فقيه، التقريب ٢٩٥ ومطرف بن طريف ثقة فاضل، التقريب ٥٣٤ وأبو إسحاق تابعي ثقة علم مر معنا كثيراً ٤٢٣.

Twitter: @ketab_n

لكن ابن عمر أرجع أيضاً لأنه لم يتجاوز الخامسة عشر.. إنه يقول: (إن النبي ﷺ عرضه يوم أُحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه)[1] للخروج مع الجيش.

عاد ابن عمر مكسور الخاطر بعد أن ودّع والده الحبيب، لكنه لم يكن أكثر انكساراً ولا حماساً من ذلك الشيخ الكبير، الذي يحاصره أبناؤه الأربعة، وتحاصره الإعاقة.. إنه: (عمرو بن الجموح.. شيخ أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنون «مثل الأُسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد»، يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يتوجه إلى أُحد «أرادوا حبسه»، قال له بنوه: إن الله عزّ وجلّ قد جعل لك رخصة، فلو قعدت فنحن نكفيك، فقد وضع الله عنك الجهاد؟

فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال له: إن بني هؤلاء «يريدون أن يحبسوني» يمنعوني أن أخرج معك، ووالله إني لأرجو أن أستشهد معك، فأطأ بعرجتي هذه في الجنة.

فقال له رسول الله ﷺ: أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد. وقال لبنيه: وما عليكم أن تدعوه، لعلّ الله عزّ وجلّ يرزقه الشهادة)[2].

كان رضي الله عنه يحلم بشوارع الجنّة تلامسها تلك العرجة وتتدلّى من شرفاتها وتخوض في مياهها العذبة.. لذلك توجّه بسؤال ينبض بالشوق إلى رسول الله ﷺ.. لقد (أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ -وكانت رجله عرجاء- فقال رسول الله ﷺ: نعم)[3].

إجابة ملأت صدر عمرو بن الجموح بالنهار.. إجابة ألجمت الأسود الأربعة، فخرجوا كالأشبال حول هذا الشيخ الجسور.. خرجوا دون أن يودعوا أمّهم فاطمة،

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٧).

(٢) رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي ٣-٢٤٦ والزوائد عند ابن كثير: حدثني والدي عن أشياخ من بني سلمة: ووالد ابن إسحاق تابعي ثقة يروي عن الصحابة ولعل هؤلاء منهم - وهو الأرجح - لأنه يروي بهذه الصيغة عن الصحابة، وهؤلاء جمع ومن بني سلمة - وهم قوم جابر وعمرو بن الجموح، وإلا فالسند مرسل.

(٣) سنده حسن رواه أحمد ٥-٢٩٩ وغيره حدثنا أبو صخر ابن زياد حدثه يحيى بن النضر عن أبي قتادة. أبو صخر حسن الحديث التهذيب ٣-٤١ وشيخه تابعي ثقة التقريب ٥٧٩.

Twitter: @ketab_n

لأنها تسير مع رفيق دربها وحبيبها.. أخرجها الشوق إلى الجنّة مثلما أخرجه، وكان لفاطمة العظيمة هذه أخ اسمه: (عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري) وعبد الله هذا صديق حميم لزوجها عمرو بن الجموح، لكن أحوال عبد الله بن عمرو بن حرام مختلفة عن أحوال صديقه ونسيبه، فقد كان لعمرو بن الجموح أربعة أبناء يحاولون إبقاءه في بيته. أما عبد الله فله ولد وحيد اسمه (جابر) وهو يمنعه الآن من الخروج.. إنه يأمره بالبقاء في المدينة، فظروف بيت عبد الله تستدعي أن يبقى أحد الاثنين، ولابد للابن من أن يطيع والده.

لكن لماذا لا يخرج الاثنان إلى المعركة، كما خرج عمرو وأبناؤه وأمّهم جميعاً..؟

دعونا نتوجّه إلى بيت جابر بن عبد الله.. إنه ليس ببعيد. ها هو البيت.. بيت جميل بالإيمان والأحلام والفتيات.. بيت يغرق بالمشاعر والدموع والرجاء.. في عالم يحار بين:

البنات والمعركة

ومناشدة وحديث حزين يدور بين جابر بن عبد الله ووالده، الذي يصرّ على الخروج، فيخاطب رجولة ابنه وبرّه وإيمانه فيقول: (يا جابر، لا عليك أن تكون في نظاري المدينة، حتى تعلم إلامَ يصير أمرنا، فإني والله لولا أني أترك بنات لي بعدي، لأحببت أن تقتل بين يدي)[1] أجل تقتل بين يدي!!

جابر ووالده لهف على الموت في سبيل الله، لكن الدموع التي تفيض من العيون البريئة، وتلك النظرات الخائفة التي تعصف بقلب هذا الشيخ الكبير.. تتعلّق به، وتريد الاحتفاظ به.. تتغلغل في قلبه كالجروح.. تسع فتيات حزينات.. يتساءلن: هل سيعود والدنا من المعركة، أم أنه الوداع الأخير لهذا الشيخ الحبيب.

عناق ونظرات ودموع تحاصر هذا الشيخ، فيتفطر قلبه ويحسّ بدبيب الموت يسري في عروقه، ويشعر بخطوات اليتم المخيفة تتجه نحو حبيباته الصغيرات، اللواتي طالما انتظرنه في البيت وعلى عتبة الباب، فإذا ما رأينه مقبلاً تراكضن نحوه كالزهرات..

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٧).

Twitter: @ketab_n

أيهنّ تحظى بقبلة قبل أخواتها.. يتزاحمن على ما يحمله بيديه.. كلهنّ يردن التخفيف عنه، ورؤية ما أحضر لهنّ.. كلهنّ يردن خدمته.. طالما أعددن شرابه وطعامه، وغسلن ثيابه، وغطّينه وهو نائم، ولطالما مرّضنه من حمى المدينة القاسية.

تسع زهرات.. كم حملهن على ظهره، ولاعبهن وضاحكهن، وقصّ عليهن.. كم ألححن عليه ليشتري لهن الملابس والحلي، فيستجيب مهزوماً بالحب..

ذكريات وهموم تثقل الشيخ العطوف وتملأ قلبه، فتخرج الكلمات منه بصوت متهدّج بالحزن، ويقول لابنه جابر: (ما أراني إلاّ مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن عليّ ديناً فاقضِ، واستوصِ بأخواتك خيراً)[1]. لكن الكلمات لا تطفئ هذه النار المستعرّة بين أضلاع هذا الشيخ.. لا تكفي لمقاومة ألم الفراق واليتم القادم، فيتّجه به الحزن إلى شيء لا يزال حلالاً حتى الآن.. يتجه به الحزن إلى شيء قد ينسيه بعض الحزن.. قد ينسيه ذلك الشوق المنبعث من تلك العيون البريئة التي لا تُنسى.

والد جابر يشرب خمراً قبل المعركة

يتجه رضي الله عنه إلى الخمر، فيحتسي شيئاً منها علّها تخرجه مما هو فيه.. علّها تسليه حتى تحين ساعة العراك، حيث تذوب الخمر ويشتدّ الأمر، ويذهل عبد الله عن كل شيء سوى الشهادة.

يقول جابر رضي الله عنه: (اصطبح -والله- أبي يوم أحد الخمر ثم غدا فقاتل)[2]، ولم يكن والد جابر هو الوحيد الذي شرب خمراً ذلك الصباح، فلقد (صبح أناس غداة أحد الخمر)[3]، فهل كانت أحزانهم كأحزان عبد الله، الذي يغادر بيته وبناته، ويترك لابنه جابر من الهموم والمسؤوليات الشيء الكثير. لكن جابراً أهلٌ لتحمّلها، لأن الإسلام جعل من جابر بن عبد الله إحساساً مرهفاً.. غيمة تهمي حناناً وربيعاً على أخواته المسكينات.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (١٣٥١).

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم ٣-٢٠٢: حدثني وهب بن كيسان عن جابر، ووهب تابعي ثقة سمع من جابر انظر: التهذيب ١١-١٦٦.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٦١٨).

Twitter: @ketab_n

يقول جابر رضي الله عنه: إن والده (ترك عليه ديناً)[1] و(ترك تسع بنات كن لي تسع أخوات)[2] مسؤولية جسيمة لا تنقضي لولا قول النبي ﷺ: (من عالَ جاريتين حتى تبلغا جاء أنا وهو يوم القيامة، وضم أصابعه)[3]. هذا إذا عال المرء فتاتين، فكيف إذا كان تحت رعايته تسع بنات..؟!

كم يحب الإسلام البنات ويعتني بهن، ويطالب بحبهنّ والعناية بهنّ. هنيئاً لجابر، وهنيئاً له موقعه بين نظاري المدينة الذين يحرسون ثغورها، ويسهرون حمايةً لها.. بشَّرهم ﷺ، وبشَّر غيرهم عندما قال: (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)[4].

بقي جابر على ثغور المدينة، وغادر والده عبد الله بصحبة أخته فاطمة وزوجها ورفيقه عمرو بن الجموح وأبنائه.. غادروا المدينة صاخبة.. مزدحمة بالعناق والدموع. ها هو حذيفة بن اليمان ووالده «حسيل»، اللذان أرغمهما المشركون على أن يقسما ألا يشاركا رسول الله ﷺ في غزوة بدر.. ها هما اليوم على أُهبة الاستعداد والإعداد للفتك بالشرك، لكن الأمر جاء على غير ما يحبّان. إن حذيفة يودع والده الآن، لكن الذي سيبقى هذه المرة هو الوالد، والذي سيغادر هو حذيفة. فلقد أمر ﷺ حسيلاً بالبقاء لحراسة المدينة، كما أمر شيخاً آخر بالبقاء مع حسيل، واسم هذا الشيخ الآخر «ثابت بن وقش»، فبقيا كارهين أن تفوتهما الشهادة.

انظروا إلى هذا المنزل العظيم، ففيه تستعرّ نار الفراق والوجد.. إنه منزل الكريم.. الكريم سعد بن الربيع، الذي عرض نصف ماله وإحدى زوجاته على عبد الرحمن بن عوف.. تناثرت الدموع.. دموع ابنتيه الوحيدتين، ودموع زوجته التي بقيت معه. إن حاله كحال والد جابر. لقد خرج سعد، وخرجنا بعده إلى ناحية أخرى.. ناحية انزوى فيها صحابيان عن الناس.. ماذا يفعلان؟ إنهما يدعوان.. يبوحان، فيبحر الدعاء بهما. دعونا نبحر معهما إلى جزيرة هذا، وجزيرة ذاك، ولكن قبل ذلك نودّ التعرف إليهما.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٢).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٣).

(٣) صحيح مسلم ٤-٢٠٢٧.

(٤) حديث حسن رواه الترمذي وغيره ٤-١٧٥ وفيه عطاء الخرساني مدلس، وله طريق آخر رجاله ثقات عند عبد بن حميد ٤٢٢ وغيره عن صالح بن كيسان قال قال أبو عبد الرحمن سمعت أبا هريرة مرفوعاً.

Twitter: @ketab_n

إنهما من الأوائل

أمّا الأول، فأوّل من رمى بسهم في سبيل الله، وهو سعد بن أبي وقاص، أمهر من رمى السهام. وأمّا الآخر، فأوّل من قاد سرية لرسول الله ﷺ ولدولة الإسلام الجديدة. إنه عبد الله بن جحش رضي الله عنهما. ها هو سعد يحدّثنا عما جرى في تلك الناحية، فيقول: (إن عبد الله بن جحش، قال له يوم أُحد: ألا تأتي ندعوا الله؟

فخلوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا ربّ إذا لقيت العدو، فلقّني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وآخذ سلبه.

فأمَّن عبد الله بن جحش ثم قال: اللّهمّ ارزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني، فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلت: يا عبد الله فِيمَ جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك. فتقول: صدقت)[1].

يا لهذه الجزر الحالمة الساحرة.. يا لهذه الأنفس ما أعظمها.. ترى هل سيجيب الله هذه الابتهالات؟ ستبوح بالإجابة أرض المعركة، وجبل عينين وجبل أُحد سيشهدان على ذلك.

لم كل هذه الحرقة على الموت؟ لم كل هذا الاحتفاء والعشق الذي يحرق الأكباد؟

إنها الجنّة، وهؤلاء الرجال يحتقرون أعمارهم وأعمالهم وفداءهم إذا ما قارنوها بثوابها عند الله.. إنهم مسافرون إلى الخلود، فلو ضرب المؤمن سنين عمره في عدد حبات الرمال المنثورة على وجه الأرض، لما حصل على عدد يقارب سنين عمره في الجنّة، فكيف يلام شيوخ كعمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وحسيل.. كيف يلام هؤلاء الشيب، إذا ما نافسوا الشباب على ظهور الخيل والموت، وهم يسمعون رسول الله ﷺ يقول: (يدخل أهل الجنةِ الجنةَ جرداً، مرداً، كأنّهم مكحلون، أبناء ثلاثٍ وثلاثين)[2] (لا يسقمون ولا يبولون، ولا يتغوّطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون)[3].

---

(١) سنده قوي: رواه الحاكم (٨٦/٢) وأبو نعيم في الحلية (١٠٨/١) من طرق عن ابن وهب حدثني أبو صخر عن يزيد بن قسيط الليثي عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. أبو صخر هو حميد بن زياد حسن الحديث التهذيب ٣-٤١ وشيخه تابعي ثقة التقريب ٦٠٢ وإسحاق بن سعد وثقة العجلي لفظيا ٦٠ وابن حبان وللحديث شاهد عند ابن سعد ٣-٩٠ و٩١ ضعيف مرسلاً عن ابن المسيب، وابن حنطب.

(٢) حديث صحيح انظر: صحيح الجامع (٣٤١/٢).

(٣) حديث صحيح متفق عليه - المشكاة (١٥٦٤/٣).

Twitter: @ketab_n

قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: (فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك)[1]، (ينادي منادي: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً)[2].

إذا فهو الشباب الدائم، والصحة الخالدة، والأمن الذي لا يعرف الخوف.. لا أمراض في الجنة ولا أوبئة ولا مستشفيات، ولا لصوص ولا قطاع طرق ولا طغاة ولا قمع ولا سجون ولا معتقلات، ولا فقر ولا عوز ولا تسول، ولا شيء سوى الثراء والجمال والفتنة والحب والبذخ والنعيم والاكتشاف والسفر عبر الجديد والمثير والسعادة الغامرة التي لا تعرف التوقف أو الملل أو الكآبة. فـ (إذا دخل أهل الجنة الجنّة، وأهل النارِ النارَ يجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنّة والنار، فيقال: يا أهل الجنّة هل تعرفون هذا؟

فيشرئبون، فينظرون، ويقولون: نعم. هذا الموت. وكلهم قد رآه.

ثم ينادي: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون، فيقولون: نعم. هذا الموت. وكلّهم قد رآه.

فيؤمر به فيذبح، ويقال: يا أهل الجنّة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت)[3].

وقد خطف ﷺ أرواحهم وعقولهم وقلوبهم عندما تحدّث عن الجهاد في سبيل الله، فقال: (غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنّة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها)[4] المؤمنة في الجنة أبهى وأكثر سحراً وفتنة من الحورية.. لا حمل ولا ولادة ولا أمراض للنساء ولا حيض ولا نفاس ولا ترهل ولا شيخوخة..

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم - المشكاة (٣/١٥٦٤).
(٢) حديث صحيح رواه مسلم - المشكاة (٣/١٥٦٤).
(٣) حديث صحيح، صحيح الجامع (١/١٥٢).
(٤) حديث صحيح: رواه البخاري (المشكاة - ٣/١٥٦٢).

Twitter: @ketab_n

كل هذا السحر.. كل هذا الجمال.. كل هذه الفتنة لنساء الجنّة المؤمنات، فلا عجب أن نرى ضمن الجيش نساءً خرجن للمشاركة في المعركة.. يداوين الجرحى، ويسقين العطشى. في مقدمتهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وزوجته عائشة بنت أبي بكر الصديق، وصفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وأخت حمزة رضي الله عنهم، وأم سليم بنت ملحان المشهورة بـ (الرميصاء) وهي أم أنس بن مالك عليهما السلام، وهي من الأنصار، كما شاركت أنصاريات أُخر منهنّ: أم سليط رضي الله عنها، وفاطمة[1] بنت عمرو بن حرام أخت عبد الله، وعمّة جابر وزوجة عمرو بن الجموح، ونساء أخريات من المهاجرين والأنصار.

ولئن استطاع بعض النساء أن يخرجن مع رسول الله ﷺ في حروبه، فإن هناك من الرجال من لا يقدر على الخروج، والحرج يحاصرهم بعد نزول هذه الآيات:

﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله﴾

يقول أحد الصحابة: (﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر)[2].

وكانت الآيات قد نزلت كما يحدثنا أول من سمعها وأوّل من كتبها: زيد بن ثابت رضي الله عنه فيقول: (إن النبي ﷺ أملى عليه ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فجاء ابن أم مكتوم وهو يمليها علي، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدت -وكان أعمى- فأنزل الله على رسوله ﷺ -وفخذه على فخذي- فثقلت عليَّ حتى خفت أن تُرضَّ فخذي، ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾)[3]، فصارت الآية تقرأ هكذا: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ

---

(١) سيأتي ذكرهن أثناء المعركة وبعدها في أحاديث صحيحة إن شاء الله.
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٩٥).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٩٢).

Twitter: @ketab_n

بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾[1].

لكن ماذا عن أجر القاعدين المعذورين؟

يقول ﷺ: (لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم معكم فيه.

قالوا: يا رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: حبسهم العذر)[2] فلم يحبس عنهم الأجر، فالمسلم ليس بأعماله فقط، بل بنواياه أيضاً. وإذا كان ابن أم مكتوم قد حبسه العمى، فإن هناك رجالاً حبسهم عن الجهاد رسول الله ﷺ، رغم أنهم لا يشكون من شيء في أجسادهم، ولا يشكّ ﷺ في إيمانهم، وإنما حبسهم عليه الصّلاة والسّلام ليكلفهم بمهمة جهادية داخل المدينة.. هي الرباط، والدفاع عن المدينة.. سواءً من غدر يهودي أو منافق.

المرابطون

على الآطام[3] والحصون.. هم رجال شجعان أوكل إليهم ﷺ حراسة المدينة والرباط فيها، وبشّر المرابطين بأجر عظيم، فقال ﷺ: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن من الفتان)[4].

وكان من بين الذين حظوا بهذا الأجر والأمر والد حذيفة بن اليمان.. ذلك الرجل الذي منعه العهد والوعد من مشاركة النبي ﷺ في معركة بدر، وصحابي آخر اسمه (ثابت بن وقش بن زعوراء) رضي الله عنهما، فـ (لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد وقع اليمان ابن جابر -أبو حذيفة-، وثابت بن وقش بن زعوراء في الآطام مع النساء والصبيان)[5].

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري ٤- ١٦١٠ وأحمد ٣-١٦٠.

(٣) الحصون.

(٤) حديث صحيح رواه مسلم ٣-١٥٢٠.

(٥) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم (٣-٢٠٢): حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود ابن لبيد، عاصم تابعي ثقة مر معنا ومحمود بن لبيد صحابي.

Twitter: @ketab_n

استعدّ الجميع، وتأهبوا للخروج إلاّ رجلين.. الأول لا حاجة به إلى الاستعداد، فهو لا يملك من هذه الدنيا شيئاً يحتاج إلى وداع أو وصية، فأملاكه كلّها في صدره.. إنه (مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف) ابن الأم الثرية.. الشاب المنعم أيام شركه.. لا يملك الآن إلاّ سيفه، وقرآناً يملأ صدره، ويملأ بيوت المدينة بعد أن سافر في قلوب الأنصار، وزرع فيها العلم، وثقفها بالإيمان.. هذا هو مصعب بن عمير الذي لقبه الأنصار بـ«المعلم».

أمّا الآخر فشاب يتمتّع بأحلى أيام عرسه.. إنه الآن مع عروسه.. يتبادلان عذب الكلام والأحلام.. صفو المشاعر والغرام، وفجأة يدوي في المدينة داعي الجهاد، فينسل (حنظلة بن أبي عامر) من قرب حبيبته، ويتحول العاشق إلى محارب يودع عروسه بحرارة المحبِّ الذي لن يعود، فتهمي دموعها وتستودعه الله الذي لا تضيع ودائعه، فهو أغلى ما تملكه. ويغيب حنظلة عن عينيها، فتغيب في همومها وأحزانها التي لا تدري متى تنتهي.. أحزانها التي لا يخفّفها سوى الإيمان.

خرج ﷺ من المدينة متوجهاً نحو أُحد.. حاملاً سيفه «ذا الفقار» الذي غنمه من غزوة بدر، ولم يكتف ﷺ بلبس درعه، بل لبس عليه درعاً آخر حيث يقول أحد الصحابة: (إن رسول الله ﷺ ظاهر يوم أُحد بين درعين -أو لبس درعين-)[1].

وإذا كان النبي ﷺ الذي يحفظه الله من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله، ومن فوقه ومن تحته يحتاط كل هذا الاحتياط، فصحابته أولى. يقول الزبير رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ قد ظاهر بين درعين يومئذٍ)[2]. ثم انطلق ﷺ لملاقاة حشود الشرك المحتقنة.. كانت رايته ترفرف في الهواء (كانت سوداء من نمرة)[3] صوف، أما لواؤه ﷺ فكان لواؤه (أبيض)[4].

---

(١) سنده صحيح رواه أبو داود ٢-٣٧ وغيره عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن أحد الصحابة، ويزيد ثقة والسائب صحابي أيضاً.

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٢٣٨/٣) حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده، عن الزبير . يحيى ثقة ووالده تابعي ثقة.

(٣) صحيح أبي داود ٢-٤٩١ وقد حذفت لفظاً ضعيفاً من الحديث هو «مربعة».

(٤) المصدر السابق ٢-٤٩١.

Twitter: @ketab_n

وكان كل شـــيء في هـــذا الجيش يرفرف للجنّة وعوالمها الســـاحرة.. كان الرجال يتجمّلون للشـــهادة، إلاّ أشـــباه رجال خرجوا بأجساد نخرة، ومعنويات يجرّونها خلفهم كالذلّ.. رجال يرتجفون من كل شـــيء حولهم، ويحســـبون كل صيحـــة عليهم.. خوفاً خرجـــوا.. خوفاً صحبوه ﷺ، لكن هلعهم تفاقم عندما اقتربوا من الحقيقة -المعركة.. عندها تحركت الخيانة في دمائهم، ونهضت كالشـــيطان تشـــير بأصبعها إلى الوراء.. تأمرهم بالعودة إلى المدينة، وترك محمد ﷺ وأصحابه، فاستجابوا ورجعوا.

صـــدم الصحابة بما حدث، ولـــم يصدم ﷺ، لأنه يعرفهم. صعـــق الصحابة بما يجري.. هل هؤلاء مسلمون؟ هب أنهم غير مسلمين، هل هذا التصرّف- العار من شيم العرب، وأخلاق العروبة؟

أيـــن الرجولة.. أين النخوة؟ هباء.. كل شـــيء داخل هؤلاء الخونة هباء، إلاّ الكفر والحقد. لكن الصحابة لم يســـكتوا، ولم يتحمّلوا هذا الموقف المخزي. قرّر بعضهم أن يبـــدأوا بقتال هـــؤلاء الأنذال الجبناء قبل أن يقاتلوا جيش مكّة المشـــرك، لكن البعض فضّل عدم إهدار طاقتهم وتدنيس أيديهم بدمائهم القذرة، وهذا ما مال إليه ﷺ، فلا بدّ من التركيز على الخطر الداهم - العاجل.

يقول زيد بن ثابت ملخصاً ما حدث من خيانة: (إن رسول الله ﷺ خرج إلى أُحد، فرجـــع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رســـول الله ﷺ فيهـــم فرقتين: فرقة تقول: نقتلهـــم. وفرقة تقول: لا. فأنزل اللـــه: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾.

فقـــال رســـول الله ﷺ: إنهـــا طيبة وإنهـــا تنفي الخبـــث كما تنفـــي النار خبث الفضة)[1].

تلألأت الفضّة ولمعت بعد أن تعرضت لنار الشـــدائد، فانســـلخ خبث النفاق عنها، ورجع الخونة دون أخلاق إلى جحورهم في المدينة كالحيات.. كالعقارب، وأصبح جيش محمد ﷺ قليلاً.. ضعيفاً إلاّ بالإيمان، لكن قلّة العدد والخيانة واســـتعداد العدو خيّم للحظات على بعض الأنصار وهم (بنو حارثة، وبنو ســـلمة) فقد كاد الإحباط والفشـــل أن يستولي عليهم، لكن القرآن يفعل المعجزات.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٨٩)، وأحمد (١٨٤/٥) واللفظ له وأكملتها للفائدة.

Twitter: @ketab_n

نزل يغسل ما بهم من هموم وإحباط، فثبتوا مع رسول الله ﷺ كالجبال، بل لقد صار ذلك الموقف مبعث فخر لهم إلى يوم القيامة. لقد فرحوا بما نزل من آيات تصف حالهم، وتثني عليهم.

هذا أحد أبنائهم يفرح بنزول كلام الله على نبيه فيهم فيقول: (فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾،

قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب -وما يسرّني- أنها لم تنزل لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾)[1].

إذاً فهم أولياء الله، وهم بشر يتعرّضون لما يتعرض له البشر، لكن القرآن زاحم ذلك الفشل حتى نفاه، وذكرهم بنصر لم يتوقعوه، فدبّ الحماس في عروقهم وأرواحهم. يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

صفت النفوس من الضعف، وتخلّص الجيش من معظم الخونة، وتوجّه الجميع إلى منطقة:

بين عينين وأُحد

وعينين جبل، وأُحد جبل آخر وبينهما وادٍ[3] حيث وصل الجيش المؤمن، فتوقف النبي ﷺ، وتوقف أصحابه، وعندما لامست أقدامهم تلك الأرض.. تأمّلها ﷺ جيداً، وتأمل أصحابه فوجدهم قلّة، فأدار المعركة في مخيلته قبل أن تدور على الأرض، فرأى جبل أُحد، (طلع له أُحد فقال: هذا جبل يحبّنا ونحبه)[4].

تأمل ﷺ أُحداً فوجده حبيباً للمؤمنين يتمنى خدمتهم في مثل هذه الظروف القاسية، فوظفه ﷺ توظيفاً يرجح به كفة جيش صغير، على جيش كبير كجيش

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٥٨).
(٢) سورة البقرة: الآيتان ١٢١ - ١٢٣.
(٣) هذا ما جاء في البخاري في حديث طويل (٤٠٧٢).
(٤) حديث صحيح رواه الإمام البخاري (٤٠٨٤).

Twitter: @ketab_n

قريش. لقد قرر ﷺ أن يستخدم هذا الجبل كدرع خلفي للجيش، ليس هذا فحسب، بل جعل من هذا الجبل قاعدة جوية تنتشر من أعلاه مظلّة تساند الجيش أثناء المعركة، وتحميه من أي التفاف قد يقوم به المشركون من خلف الجبل.. لا سيما وأنّهم قد سبقوا المسلمين إلى موقع المعركة، وهذا ما أوجب دقّة التخطيط، وضرورة الدقّة في التنفيذ، وأهمية الانضباط في العمل.

أخرج ﷺ من الجيش مجموعة من الرماة، وحدّد لهم موقعاً على الجبل، وأمرهم بالبقاء فيه مهما كانت الظروف.. مهما كانت النتيجة.. و(جعل النبي ﷺ على الرماة يوم أُحد عبد الله بن جبير)[1] قائداً لا يجوز لهم أن يعصوه.

لقد كان ﷺ يدرك خطورة الموقف وشدّته.. كان واضحاً وصارماً في تعاليمه للرماة، لقد (أقامهم في موضع ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا)[2]. لا مكان للتوقعات والظنون، ولا للحماس الزائد، ولا للاجتهادات الفردية.. البقاء على الجبل حتى تصدر الأوامر بعكس ذلك.. كان ﷺ يريد عزلهم عن كل هذه الأمور، كي يتفرغوا ويركزوا ويكرّسوا كل طاقاتهم واهتمامهم لوظيفتهم التي حدّدها ﷺ، وهي واضحة جداً.. جداً. وهل هناك أشدّ صرامة من قوله ﷺ للرماة (إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)[3].

سمع الرماة وأطاعوا، وصعدوا خلف قائدهم عبد الله بن جبير، وأخذ كل منهم موقعه على الجبل، أمّا على الأرض، فقد كان هذا النبي والقائد العبقري ﷺ ينظم صفوفه. سندعه يكمل تنظيم جيشه بينما نلقي نظرة على ذلك الجيش الوثني المحتقن

---

(١) حديث صحيح رواه الإمام البخاري (٣٩٨٦).

(٢) ظاهر إسناده الضعف لكنه صحيح رواه أحمد ١-٨٧ و٢-٢٨١٨ حدثنا سليمان ابن داود، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله عن ابن عباس. عبيد الله تابعي ثقة ثبت وأبو الزناد تابعي ثقة مر معنا أيضاً، وابنه عبد الرحمن ثقة تغير حفظه عندما قدم بغداد. وسليمان بن داود سكن بغداد وهو ثقة فقيه جليل، لكن الناقد علي بن المديني رحمه الله له رأي في رواية سليمان عن عبد الرحمن يقول: (ما روى سليمان الهاشمي عنه فهي حسان، نظرت فيها فإذا هي مقاربة وجعل علي يستحسنها، سمع ذلك من علي يعقوب ابن شيبة وذكره الإمام الترمذي في علله (٢-٦٠٦).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٣٩).

Twitter: @ketab_n

بالثـأر وبهزيمـة بدر.. إنـه يقبع قرب جبل «عينـين» وهذا ما جعلهم يسـمونه «عام عينين»[1]، بينما كان المسلمون يسمّونه «عام أُحُد».

كان جيش قريش يفتقد إلى أشياء كثيرة.. أهمّها الهدف الموحد والبعيد للمعركة.. كانت المعركة بالنسبة لهم ذات أهداف شخصية بالدرجة الأولى، فعكرمة بن أبي جهل خرج للثأر لأبيه، وأبي بن خلف جاء ليقتل رسـول اللـه ﷺ ثأراً لمصرع أخيه أمية بن خلف، وجبير بن مطعم لا أدري هل كان ضمن الجيش أم لا، لكنه يحلم بالثأر لعمّه من حمـزة. وبما أنه لا أحـد يقدر على مواجهة حمزة، فقد فضّل أن يقدم إغراءً لمن يقوم بهذه المهمة، فعرض على عبده «وحشي» القيام بذلك مقابل حريّته، ووحشي لن يواجه حمزة، ولا يسـتطيع، لكنه يجيد الرماية بالحربة، وهو أمر ممكن لأن حمزة سـيكون بعيداً عندها، ولا تحتاج هذه المهمة سوى إلى الانتظار والترقّب.

قدم المطعم عرضه، فقبل وحشـي القيام بهذه المهمـة من أجل الحرية، والحرية فقط، فوحشـي ليس بينه وبين المسـلمين أي عداء.. عدوّه الوحيـد هو الرق، أمّا أبو سفيان فربما أخرجته للمعركة زعامته الجديدة لقريش، بعد هلاك الطواغيت السبعة ومصرعهم على سـاحة بدر، وربما حرضته على ذلك زوجته (هند) التي كانت تتحرق للثأر، بعد هـلاك أبيها وعمّها وأخيها، على يد حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم. ومن الأشياء التي يفتقدها الجيش الوثني: حب الموت، والاحتفاء بالشهادة، فهم يحرصون على الحياة كحرص المؤمنين على الشـهادة، وهذا الشيء هو سرّ تحطّم أعتى الجيوش على أيدي المؤمنين.

ومن الأشـياء التي يفتقدها جيش قريش: النظام، فمن الصعب جداً أن تسـيطر علـى جيش يبحث كل فـرد فيه عن فرد ضمن جيش آخر. هناك تشـتّت في الاتجاه والهدف، وهذا ما حرص ﷺ على إبعاده عندما قال للرماة:

(إن رأيتمونـا تخطفنـا الطير، فـلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسـل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)[2].

واقتربت المعركة بين جيشين: جيش قوي، وجيش ذكي، فكانت:

---

(١) دليلي على ذلك تسـمية وحشـي لغزوة بـ«عام عينين» كما جاء ذلك عند البخاري (٤٠٧٢) وكان وحشـي ضمن جيش المشركين.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٣٩).

Twitter: @ketab_n

البداية دعاء

بـدأ ﷺ كعادتـه بالدعاء.. لقد (قال يـوم أُحد: اللّهمّ إنك إن تشـأ لا تعبد في الأرض)[1]، فمن أجل عبادة الله وحده لا شريك خرج ﷺ وأصحابه.. لا يريدون مالاً، ولا جاهاً.. خرجوا من ديارهم ينشرون دين الله، وخرجوا للقتال دفاعاً عن نشره، ومن أجل الأصنام خرج أولئك الوثنيون.

كان لهذا الدعاء بشائر بالإجابة و:

بشائر النصر

ها هو سـعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يشـخص ببصره إلى رسول الله ﷺ، ليرى منظراً أبيض لا يدري من هو، ولا ما هو؟ فيقول: (رأيت بشمال النبي ﷺ ويمينه رجلين عليهما ثياب بيض يوم أُحد، وما رأيتهما قبل ولا بعد)[2].

لا شـكّ أنها الملائكة. لكن هل ستشـارك كما شـاركت في غزوة بدر؟ سـنعرف الإجابة بعد قليل، فهل بقي من بشائر بالنصر على أرض أُحد؟

أجل.. كان ذلك بعدما صف النبي ﷺ المؤمنين صفاً خلف صف.. عندها غشيت البشارة بعض الصحابة، وكان صحابي يسمى (أبو طلق) أحدهم.. حيث يقول: (غشينا النعـاس ونحن في مصافنا يوم أُحد)[3] و(كنت فيمن تَغَشَّـاه النعـاس يوم أُحد، حتى سقط سيفي من يدي مراراً، يسقط وآخذه، ويسقط فآخذه)[4].

رفع طلحة بن عبيد الله رأسـه فرأى منظراً غريباً يترنح تحت الدروع والتروس، فقال رضي الله عنه: (رفعت رأسـي يوم أُحـد، وجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميد تحت حجفته[5] من النعاس)[6]، وكان بين صفوف المؤمنين بعض المنافقين الذين لم

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٧٤٣)

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٥٨٢٦).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٦٢).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٦٨).

(٥) أي تحت ترسه.

(٦) سنده صحيح رواه الترمذي (٣٠٠٧) والحاكم (٣٢٥/٢) والنسائي في الكبرى (٣٤٩/٦) وأبو يعلى (١٤/٣) من طرق عن الثقة المعروف حماد بن سـلمة عن التابعي الثقة ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه.. وثابت سمع من أنس.

Twitter: @ketab_n

يجرؤوا على الفرار.. إنهم الآن يرتجفون، وهم يرون هذا الجيش القليل العدد والعدّة، ويزيد من ارتجافهم وغيظهم هذا النعاس الذي يحرق الأعصاب.. كأني بالمنافقين ولسان حالهم يقول: انهضوا أيها... من نومكم.. أما ترون الموت يملأ المكان؟

لقد كان النعاس أمناً للمؤمنين، وخوفاً ورعباً للمنافقين، وفي ذروة الخوف والأمن، وخلال ذلك الصمت المخيم يشقّ الساحة صوت ينطلق من معسكر الأصنام بالتحدي.. فارس جاهلي شجاع اسمه (سباع بن عبد العزى) يصرخ ويقول:

هل من مبارز

من سيبارز هذا الشجاع؟ دعونا نطرح هذا السؤال على رجل يهمّه جداً ما حدث، وشاهد -جيداً- ما حدث.. إنه وحشي الذي جاء من أجل مهمة واحدة هي طعن حمزة فقط.

يقول وحشي: (خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحادّ الله ورسوله ﷺ؟ ثم شدّ عليه فكان كأمس الذاهب)[1].. لفظ غاية في تصوير الحدث وسهولة حدوثه (كأمس الذاهب) يعبّر عن سهولة هلاك الشجعان على يد حمزة.. سقط ذلك الفارس، وارتفع سيف حمزة يطلب المزيد، وارتفعت معنويات المؤمنين، وزاد حماسهم كما زاد حماسهم بعد مبارزة بدر، فأراد رسول الله ﷺ أن يؤجج ذلك الحماس ويوظفه فصرخ بجموع المؤمنين رافعاً سيفاً: (من يأخذ مني هذا السيف بحقه؟

فبسطوا أيديهم، كل إنسان فيهم يقول: أنا.. أنا...

فقال ﷺ: من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم، فقال له سماك «أبو دجانة»: أنا آخذه بحقه. فأخذه ففلق به هام المشركين)[2] الذين أذهلتهم هذه المعنويات. لقد أفنى حمزة مبادرتهم، ومزّق أبو دجانة من أمامه منهم، والتحم الجيشان، فبان الفرق بين جيش همجي غاشم، وبين جيش متحضر له هدف وتخطيط وأسلوب رفيع في التنفيذ.. جاء

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٢).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم فضائل الصحابة (٢٤٧٠) وابن أبي شيبة بسند صحيح.

Twitter: @ketab_n

أحد الصحابة يبحث عن سبق، بعد أن تفوّق حمزة وأبو دجانة فقال لرسول الله ﷺ: (أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: في الجنّة، فألقى تمرات في يده ثم قاتل)[1].

وبدأ الرماة بنشر مظلتهم الجوية، ففوجئ المشركون بجيش يحصدهم على الأرض، ويمطرهم من السماء، فالرماة يؤدّون مهمّتهم بإتقان، وسهامهم زخات من الموت.. زخات من القبور.. فرّقت جموع الوثنيين، فصاروا يهربون في كل اتّجاه، ولم تكن السهام تنطلق من قمة أحدٍ فقط. كان بقرب رسول الله ﷺ أمهر راميَيْن (سعد بن أبي وقاص) كان الأمهر. شاهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يحدث بين رسول الله ﷺ وبين سعد، وسمعه ورواه فقال: (ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلاّ لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أُحد: «يا سعد ارم فداك أبي وأمي»)[2].

ويقول سعد: (جمع لي رسول الله ﷺ يوم أُحد أبويه كلاهما)[3]، لقد (نثل لي النبي ﷺ كنانته يوم أُحد، فقال: ارم فداك أبي وأمي)[4].

كان سعد يمتع ناظري رسول الله ﷺ، بل ويضحكه فيقول رضي الله عنه: (كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال له النبي ﷺ: ارم فداك أبي وأمي.

فنزعت له بسهم ليس فيه نصل، فأصبت جنبه، فسقط فانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه)[5].

ولم يكتف سعد بالرماية بين يدي رسول الله ﷺ.. لقد كان فارساً يفتك بمن أمامه، لقد استجاب الله له فلقي كما تمنى: (رجلاً شديداً حرده أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سلبه)[6] لكن ماذا عن رفيقه عبد الله بن جحش؟

هل استجاب الله لدعائه؟ ليس بعد، فهو مازال يجالد بسيفه، ويجتثّ من يواجه من المشركين..

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٦).
(٢) حديث صحيح.رواه البخاري (٤٠٥٩).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٧).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٥).
(٥) حديث صحيح مر معنا قبل قليل.
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣٨١١).

Twitter: @ketab_n

لم ننس راميَ النبي ﷺ الآخر.. إنه أبو طلحة (كان رامياً شديد النزع، كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمرّ معه الجعبة من النبل، فيقول رسول الله ﷺ: انثرها لأبي طلحة.

ثم يشرف إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، لا تشرف، ألا يصيبك سهم، نحري دون نحرك)[1].

ماهت الأرواح بالأرواح في جلاد يزهق الأرواح.. نبي قائد يفدي جنوده بأمّه وأبيه، وجنود يفدون نبيّهم بأمّهاتهم وآبائهم وأرواحهم.. كانت الصدور درعاً دونه ﷺ.. حتى الملائكة كانت درعاً دونه ﷺ.

يقول سعد بن أبي وقاص: (رأيت رسول الله ﷺ يوم أُحد ومعه رجلان يقاتلان عنه -عليهما ثياب بيض- كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد)[2].

كان ﷺ مسروراً بما يرى من تنفيذ لتعليماته.. سعيداً بانتصار وحماس فرسانه.. مصعب بن عمير الذي لا يملك سوى سيفه وقرآناً يملأ صدره وأجواءه.. يلقن المشركين دروساً كما يلقن الأنصار الآيات والسور، وذلك الشيخ الأعرج عمرو بن الجموح، ورفيق دربه عبد الله بن عمرو بن حرام يقاتلان كالشباب، لكن للسنّ أحكام قاسية.. سقط عبد الله والد جابر شهيداً على أرض المعركة.. أوّل شهيد في سجلات أُحد، وها هي الملائكة من فوقه ومن حوله (الملائكة تظلّله بأجنحتها)[3] يا لها من شهادة.. يا لها من كرامة، وبعده بزمن يسقط رفيق دربه عمرو بن الجموح، ليطأ بعرجته أرض الجنّة، ويدليها على أنهارها ومياهها ومن شرفات قصوره الفارهة..

وبينما كانت المعركة تتأجج بركاناً يقذف حمماً.. يقذف جثثاً ودماءً وصل:

ضيفان على المعركة

إنهما: حسيل والد حذيفة، وصحابي آخر هو (ثابت بن وقش) رضي الله عنهما.. لقد ضاقت بطموحهما أسوار المدينة وحصونها.. تلفتا فأحسا أن هذا المكان لا يليق

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (٢٤١٢).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٤).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٤٤).

Twitter: @ketab_n

بشجاعين مثلهما، ففرّا إلى حيث الوغى.. إلى حيث السيوف والشهادة، وعندما وصلا إلى أُحُد.. وجدا أن المعركة قد حمي وطيسها، فتسلّلا بين المؤمنين دون أن يعلموا بهم، فماذا كانت العاقبة؟

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه: (لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد وقع اليمان ابن جابر أبو حذيفة، وثابت بن وقش بن زعوراء في الآطام[1] مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه -وهما شيخان كبيران-: لا أبا لك ما ننتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منّا من عمره إلا ظمأ حمار، إنما نحن هامة القوم. ألا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ؟! فدخلا في المسلمين -ولا يعلمون بهما-)[2]، وقاتلا المشركين، ولكنهما شيخان كبيران، وفي الشيخوخة ضعف (فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما أبو حذيفة)[3]، فله قصة عجيبة سنعرفها بعد قليل.

ضيف ثالث على المعركة

اسمه (عمرو بن أقيش) أراد أن يسلم في يوم من أيام السلام والسكون، لكنه كان يتعامل بالربا مع بعض المشركين، ولم يكن في عجلةٍ من أمره لكي يسلم، ففضل أن يذهب ليأخذ رباه بصفته مشركاً، ثم يعود لكي يعلن إسلامه.

سافر ابن أقيش إلى المكان المقصود قبل غزوة أحد، ثم عاد ليجد المدينة لا تضحى بأموالها فقط، بل بأرواحها طاعة لله ولرسوله ﷺ، فهانت أموال عمرو أمام عينيه، وهان رِبَاه، وهان كل شيء في نظره، وكشفت الشدائد عن معدنه، وكشف لنا أحد الصحابة عن خبره فقال: (إن عمرو بن أقيش كان له رِباً في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أُحد، فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأُحُد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأُحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأُحد.

فلبس لأمته، وركب فرسه ثم توّجه قِبَلهم، فلما رآه المسلمون، قالوا: إليك عنا يا عمرو. قال: إني قد آمنت، فقاتل حتى جرح فحمل إلى أهله جريحاً.

---

(١) الحصون أو البيوت المرتفعة.

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم ٣-٢٠٢: حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن محمود بن لبيد. عاصم تابعي ثقة التقريب ٢٨٦ وشيخه صحابي وقد مر معنا .

(٣) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم ٣-٢٠٢ بالسند السابق.

Twitter: @ketab_n

فجاء سعد بن معاذ، فقال لأخته: سليه حمية لقومك، أو غضباً لهم، أم غضباً لله عزّ وجلّ؟ قال: بل غضباً لله عزّ وجلّ ورسوله، فمات، فدخل الجنّة وما صلّى لله صلاة)[1]. دخل الجنّة كما دخلها عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام.. دخل الجنّة وما صام لله يوماً.

يا لكرم الله.. الجنّة - خلودها وسحرها وعوالمها لهذا الفارس من أجل لحظات، لكنها لحظات من التوحيد.. لحظات شارك فيها عمرو بن أقيش في الدفاع عن التوحيد وأهله، شارك فيها أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً.. شارك فيها طلحة وأبا عبيدة وسعيد بن زيد وسعد وعبد الرحمن بن عوف والزبير، وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأبا دجانة، وأنس بن النضر.. أنس بن النضر الذي بهر من يراه بشجاعته، لقد برّ بقسمه.. ها هو كالأسد بين الصفوف لا تزيده الجراح الكثيرة إلاّ شراسة وإقداماً في الفتك بأعداء الله، ولا يتفوّق عليه إلاّ حمزة الذي كان يقاتل بطريقة جديدة، ويصرخ بمعنويات شهيد. شاهده سعد بن أبي وقاص ونقل ما شاهد فقال: (كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أُحُد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين، ويقول: أنا أسد الله)[2].

كان حمزة يحزّ الرقاب، ويذل الطغاة، فهم يتساقطون أمامه.. لا شيء يصمد في وجهه.. لم يترك فرصة لأحد كي ينال من رسول الله ﷺ، ولم يترك فرصة لأحد لينال منه.. حتى ذلك البعيد عنه الذي لم يشترك في القتال، ولم يحمل سيفاً للدفاع حتى عن نفسه.. ذلك الأسمر الذي يراقب حمزة وحربته بيده.. لم يجد -حتى الآن- فرصة

---

(١) سنده لا بأس به رواه أبو داود ٢-٤٨٢ والبيهقي في الكبرى ٩-١٦٧ وغيرهم من طرق عن موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة. موسى ثقة ثبت وشيخه مثله التقريب ٥٤٩ و١٧٨ ومحمد بن عمرو حسن الحديث إذا لم يخالف التهذيب ٩-٣٦٧ وشيخه تابعي ثقة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف.

(٢) سنده صحيح رواه: البيهقي، حدثنا أبو عبد الله، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، حدثنا محمد بن شاذان الجوهري، حدثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق الفزاري، عن ابن عون، عن عمير بن إسحاق، عن سعد. أبو عبد الله هو الحاكم، وشيخه محمد بن بالويه هو أبو علي كما جاء في ترجمته في تاريخ بغداد ١-٢٨٢ والصواب أبو بكر، وقال فيه البرقاني: ثقة، وشيخه ثقة التقريب ٤٨٣ وشيخه ابن المهلب.. ثقة من شيوخ البخاري التهذيب ١٠-٢١٥ وإبراهيم بن محمد الفزاري ثقة حافظ التقريب ٩٢ وعمير بن إسحاق تابعي قال الحافظ: مقبول.. والصواب أنه: ثقة وقول ابن معين: ليس شيء يعني أنه قليل الحديث، وابن معين قال عنه: ثقة (قواعد في علوم الجرح للتهانوي - ٢٦٣) وقال النسائي: ليس به بأس، ولم يورده العقيلي إلا أنه لم يرو عنه إلا واحد.

Twitter: @ketab_n

للإجهاز عليه، وهو لا يجسر على اقتحام أهوال حمزة وجحيمه. إنه يقول: إنني (أنظر حمـــزة وأتبصّره، حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق، يهدّ الناس بســـيفه هدّاً ما يقوم له شـــيء)[1]، وما يجرؤ أحـــد من قريش على التصدّي لهذا الحتف الذي يصرخ: أنا أسد الله.

لقد فرّق حمزة والأسود معه جمع قريش ومزّقوهم.. إنهم يهربون.. ينهزمون خلف الصخور، ووراء الجبال.

هـــا هو الزبير يلاحـــق فلولهم المنهزمة المهرولة من هنا وهناك، تاركين نســـاءهم خلفهـــم، حتى أن بإمكانه أخذ ماشـــاء منهن.. الزبير يقول: (واللـــه لقد رأيتني أنظر إلـــى خدم[2] هند بنت عتبة وصواحباتها مشـــمّرات هـــوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير)[3].

ورأى منظر الهزيمة شاب صغير هو البراء بن عازب الذي يقول: (فأنا والله رأيت النساء يشددن، قد بدت خلاخلهنّ وأسوقهن رافعات ثيابهن)[4].

ويقول رضي الله عنه عن هزيمة المشـــركين: (فهزموهم، فأنا والله رأيت النســـاء يشتددن على الخيل، قد بدت خلاخيلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن)[5].

الساحة الآن للرسول ﷺ وأصحابه.. هرب الوثنيون تاركين نساءهم في متناول الزبير وأصحابه، أما نساء المسلمين فكنّ كرجالهم يمارسن التمريض والإسعاف بالماء والدواء.

يقول أنس بن مالك: (لقد رأيت عائشـــة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمّرتان، أرى خدم ســـوقهما تُنْقِزان القرب على متونهما، فتفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم)[6].

---

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق (ابن كثير - ٣٥/٣) وقد مر معنا عند الكلام على وحشي.
(٢) الخدم: هي الخلاخيل.
(٣) سنده صحيح: رواه إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد، عن عبد الله بن الزبير عن أبيه.. وشيخ ابن إسحاق ثقة - التقريب (٣٥١/٢) ووالده تابعي ثقة - التقريب (٣٩٢/١).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٣).
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٣) والبيهقي (٢٢٩/٣) واللفظ له.
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٦٣).

Twitter: @ketab_n

عائشـــة رضي الله عنها وهي في أوج نشاطها وحماسها.. تصف ما حدث بعبارة مختصرة، فتقول: (هزم المشركون يوم أُحد هزيمة بيّنة تعرف فيهم)[1].

وروى أحـــد الصحابـــة ما حدث لحملة الراية من المشـــركين شـــيئاً مذهلاً، لقد استبدلتهم سيوف حمزة ورفاقه سبع مرات أو أكثر.

يقول رضي الله عنه: (وقد كان لرسول الله ﷺ أوّل النهار، حتى قتل من أصحاب لواء المشـــركين سبعة أو تســـعة)[2] يتســـاقطون كجدران الطين القديمة وقد داهمتها الرياح والأمطار، لتخلو الساحة من ثأر المشركين وأصنامهم.

خلت الســـاحة إلاّ من ركضهـــم بحثاً عن بقايا حياة، بعد أن خبا ثأرهم، وســـافر بعضهم إلى الجحيم.. كانت الســـاحة مليئـــة بجثث الطواغيت المنتنة.. المتناثرة في كل مكان، وكان عدد الجثث حتى الآن قريباً من السبعين جثة.. أحد هذه الجثث كان حياً مصاباً.. يتظاهر بالموت خشـــية أن يجهز عليه أحد فرسان محمد ﷺ. لقد سقط هو وحلمـــه الذي حمله معه من مكة، فقد خرج ليقتل رســـول اللـــه ﷺ، لكن رفاق حمزة أسقطوهما معاً.. هذا الرجل يدعى (وهب بن عمير) ومازال لديه أمل بالحياة.

يقـــول أنس بن مالك: (كان وهب بن عمير شـــهد أُحداً كافـــراً، فأصابته جراحة، فكان في القتلى، فمرّ به رجل من الأنصار فعرفه، فوضع ســـيفه في بطنه حتى خرج من ظهره ثم تركه)[3].

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٦٦٦٨) والبيهقي (٣/٢٣٠) واللفظ له.

(٢) ظاهر سنده الضعف لكنه صحيح رواه أحمد ١-٨٧ و ٢-٢٨٨: حدثنا سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عبيد الله تابعي ثقة فقيه - أحد الفقهاء الســـبعة، وأبو الزناد تابعي ثقة مر معنا، وأما ابنه فمن أجله قلت ما قلت.. فهو ثقة لكنه تغير عندما قدم بغداد، فالنقاد يضعفون ما رواه في بغداد، وســـليمان ابن داود ثقة فقيه جليل ممن سكن بغداد، لكن الناقد الكبير علي بن المديني رحمه الله قال - مستثنياً رواية هذه الثقة عن شيخه عبد الرحمن: (ما روى سليمان الهاشمي عنه فهي حسان، نظرت فيها فإذا هي مقاربة، وجعل علي يستحسنها) ذكر ذلك الإمام الترمذي في علله: (٢/٦٠٦).

(٣) ســـنده قوي: رواه الطبراني (١٧/٦٢): حدثنا أحمد بن زهير التســـتري حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا جعفر بن ســـليمان عن أبـــي عمران الجوني لا أعلمه إلا عن أنس. أبو عمران اســـمه عبد الملك بن حبيب تابعي ثقة التقريب ٣٦٢ وقد صح ســـماعه من أنس التهذيب ٦-٣٨٩ وتلميذ صدوق من رجال مسل التقريب ١٤٠ وعبد الرزاق معروف. وابن سهل ثقة من رجال مسلم التقريب ٤٨٢ وشيخ الطبراني هو تاج المحدثين من أحفظ أهل عصره. انظر البلغة للعلامة حماد الأنصاري (٨٩).

Twitter: @ketab_n

ماذا حدث لوهب بعد ذلك هل مات.. أم مازال حياً؟ سنعرف الإجابة بعد نهاية المعركة، والتي انتهت حتى الآن إلى هزيمة كالجحيم.. سقط فيها أكثر من ستين مشركاً، أما الأسرى فقد بلغ عددهم سبعين أسيراً. إن الساحة الآن تذكر بانتصار بدر.. سبعون للأسر وسبعون للقبر، ومحمد ﷺ يكحل ناظريه بمشهد يسرّ النفس ويشرح الصدر.

لكن هذا المهرجان لم يدم طويلاً، لقد كانت الساحة جميلة.. مكتنزة بالغنائم والانتصار.. كأن كل شيء قد انتهى.. المشركون انتهوا، والمؤمنون انتهوا إلى القمة. لكن بعض الصحابة الذين كانوا على القمة ارتكبوا كارثة، لقد حوّلوا تلك القمة إلى قاع دموي.. خاض فيه المشركون وشربوا وانتشوا.

ماذا فعل الرماة

كان بعض الرماة يشاهدون الانتصار الهائل والغنائم، فتيقنوا أن كل شيء قد حسم، وفي لحظة من لحظات الضعف الإنساني أغرتهم الغنائم، فقرّروا النزول، عندما أنساهم الحماس قول نبيهم ﷺ: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم..)[1].

تأخر الأمر عليهم.. لم يرسل النبي ﷺ أحداً، فظنّوا أن كل شيء قد تمّ على ما يرام.. حكّموا رأيهم واجتهدوا، مع أن كلام رسول الله ﷺ لا يزال مدوياً في آذانهم، فخالفوا أمره وأمر أميرهم عبد الله بن جبير، وهتفوا ببعضهم (الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون؟

فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة)[2] وانحدر الرماة وانحدرت الكارثة معهم.. شاهدهم المشركون المنهزمون، فلاح لهم بريق الانتصار، واستجمعوا قواهم من جديد في محاولة للانقضاض ما دام خطر الأسهم المريك والشائك قد زال عن سماء المعركة.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٣٩).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٣٩).

Twitter: @ketab_n

عاد أبو سفيان والمشركون وهم يرون هذا الفراغ في السماء، والارتباك على الأرض.. الارتباك الذي أحدثه الرماة عندما زاحموا إخوانهم المكلفين بجمع الغنائم، وكأن أمر الغنائم لم تنزل به الآيات.. كان الرماة النازلون من الجبال يحسبون أن من سبق فهو أحق. حدثت فوضى عارمة داخل الصف المؤمن، وانفلت الزمام، وضاع النظام. وتحوّل الجيش الإسلامي إلى شبكة لا يعرف لها أوّل ولا آخر.

تلك الصفوف المنظمة التي تقاتل كبنيان مرصوص.. حولها الرماة -رضي الله عنهم- بمخالفتهم إلى شيء كالفوضى.. وصفه أحد الصحابة أدقّ الوصف، فقال: (لما غنم النبي ﷺ وأناخوا عسكر المشركين، أكبّ الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون، وقد التقت صفوف أصحاب النبي ﷺ، فهم: كذا -وشبك أصابع يديه- والتبسوا، فلما أخلّ الرماة تلك الخلّة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ، فضرب بعضهم بعضاً، والتبسوا، وقتل من المسلمين ناس كثير)[1] بسبب واحدٍ فقط.. هو عدم الالتزام بتعليمات القيادة الصادرة منه ﷺ، وقد كلّف هذا الخطأ الكثير، والكثير. فالمعركة الآن...

المعركة بأيدي المشركين

والمبادرة بأيديهم، فالجيش المؤمن يقتل بعضهم بعضاً من الفوضى، والمشركون يعينوهم على ذلك، وفي قلب الظلمة والفوضى تعالى الصياح والضجيج، وصار المسلمون يصدقون كل شيء، ويستجيبون لكل صارخ، فقد دوت على أرض أُحد صرختان: حوّلت كل واحدة منها جيش الإسلام إلى زوبعة من الفوضى.

صرخة تقتل حسيلاً

فبينما كان حسيل والد حذيفة يتمتع بالنصر مع رسول الله ﷺ، بعد أن حرم منه هو وابنه حذيفة في غزوة بدر، إذ بصارخ يصيح بالمؤمنين ليتشفّى بمرأى الدماء.. كانت عائشة هناك.. تصبّ الماء للجرحى، وتداوي وتصغي لما حدث وتقول: (هزم المشركون يوم أُحُد هزيمة تعرف فيهم، فصرخ إبليس: أي عباد الله.. أخراكم.

---

(١) سنده قوي وهو حديث ابن عباس السابق عند أحمد (١/٨٧ - ٢/٢٨٨).

Twitter: @ketab_n

فرجعت أولاهم فاجتلدت هـي وأخراهم، فنظر حذيفة بن اليمان فإذا هو بأبيه، فقال: أبي، أبي.

قالت: فوالله ما انحجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: غفر الله لكم.

قال عروة بن الزبير بن العوام: فوالله مازالت في حذيفة منها بقية حتى لقي الله)[1].

يـا لإيمان حذيفة.. يا لعتاب حذيفة. والده المؤمن المجاهد تقطعه السـيوف، فلا يتلفظ بكلمة نابية، ولا حتى بعتاب مجروح.. تنهد قائلاً: غفر الله لكم.. ذرفها كالدموع وهو يرى حبيب قلبه، وصديقه ووالده الحنون يهوي بسيوف أحبابه خطأ.

إن لحذيفـة إيمانـاً صافياً كأنهار الجنّة.. رحم الله حسـيلاً ورحـم الله الرماة، ورضي الله عنهم جميعاً.

وفي غمار المعركة الثانية.. كانت سيوف المشركين تنهش لحوم الفرسان ودماءهم، بينما كان وحشـي ينتظـر دور الحرية والحرية، ليجهز على حمزة وليبشّـر جبير بن مطعم بـ:

استشهاد حمزة

كان حمزة يشـاهد مـا يحدث ويصمد لـه، حتى لاح فراغ كبير وسـط المعمعة، فانكشف حمزة لوحشي..

سأترك الكلام لوحشي ليحدثنا عما فعله بأسد الله ورسوله حيث سأترك الحديث لوحشي الذي يسـتتر من حمزة.. يلبس الأحجار والأشجار.. يتقنّع بها خشية أن يراه هذا الموت الهائل الذي يهدّ الناس بسيفين أحمرين.. يهدّ الناس بصوته.. رعداً يدوي: أنا أسـد الله ورسـوله.. كان حمزة فارساً يجوب الشـجاعة إلى أقصاها، بينما كان وحشي ينتظره كي يردفه إلى عالم الحرية.

كان حمـزة يجوب السـاحة بحثاً عن مُنازل، حتى كان آخـر ضحاياه قرب مخبأ وحشـي.. سقط آخر ضحايا حمزة فنهض وحشـي الذي يقول: (خرجت أنظر حمزة

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٦٦٦٨).

Twitter: @ketab_n

وأتبصره، حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهدّ الناس بسيفه هدّاً، ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيّأ له، أريده، وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني)[1] (وهززت حربتي حتى رضيت منها دفعتها إليه «رميته بحربتي»، فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه)[2].

انفجرت دماء حمزة.. تساقطت على الأرض ولم يسقط.. التفت إلى طاعنه ولاحقه، وطاعنه خائف يقول: (وذهب لينوء نحوي، فغلب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى العسكر، وقعدت فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، إنما قتلته لأعتق)[3].

ودّع حمزة الدنيا، وقدم وحشي لسيده أغلى مبلغ في الدنيا يُدفع ثمناً لعبد. كان المسلمون في تراجع وانكسار.. كانوا في غفلة عن جسد حمزة الطاهر، الذي تقدم إليه شخص مجهول، فأخرج أداةً حادةً فجدع بها أنف حمزة، وشقّ بطنه وشوّه جسده الطاهر، ومثّل به، وهكذا يفعل الجبناء، وماذا لديهم سوى ذلك..؟

شاهد أحد الصحابة ما فعل بأسد الله - بحمزة عمّ رسول الله ﷺ، فانطلق إلى رسول الله ﷺ ليخبره بالفاجعة. لكن أين رسول الله ﷺ وسط هذا الغبار والفوضى..؟

إنه ليس على جبل أُحُد، فالرماة نزلوا، ولم يبقَ إلاّ قائدهم عبد الله بن جبير وقلّة معه من الصابرين، لكن المشركين باغتوهم بأعداد كثيرة، فاستشهدوا جميعاً على قمة الامتثال والجبل، أمّا على الأرض، فالأمر غامض جداً، بل هو مفجع.

ها هو أحد المشركين يدوي بالجموع المشتبكة.. صرخ كالشيطان وقال:

إن محمداً قد قتل

سمعه الزبير وأذهله ما سمع. يقول رضي الله عنه: (مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخيل، فأُتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل، فانكفأنا، وانكفأ علينا القوم)[4].

---

(١) حديث صحيح مر معنا وهو حديث وحشي السابق عند ابن إسحاق والزيادة للبخاري.
(٢) حديث صحيح مر معنا وهو حديث وحشي السابق عند ابن إسحاق والزيادة للبخاري.
(٣) حديث صحيح مر معنا وهو حديث وحشي السابق عند ابن إسحاق والزيادة للبخاري.
(٤) سنده صحيح وقد مر معنا وهو بقية حديث الزبير عند ابن إسحاق.

Twitter: @ketab_n

لكــن أنس بن النضــر عم أنس بن مالك لم ينكفــئ.. كان يقاتل عن رجلين.. عن معركتين.. عن بدر، وعن أُحُد. يقول ابن أخيه أنس رضي الله عنه: إن عمّه (غاب عن بدر فقال: غبت عن أول قتال النبي ﷺ. لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرينّ الله «ما أصنــع»، ما أجد، فلقي يوم أُحد.. فهُزم الناس فقال: اللّهمّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني المســلمين- وأبرأ إليك مما جاء به المشــركون، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ)[1]، (فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟ واهاً لريح الجنّة «إني» أجده دون أحد..)[2]. (فقال سعد: أنا معك -

قال سعد: فلم أستطع أصنع ما صنع)[3].

وقال أنس بن مالك أنه عمه (قاتلهم حتى قتل، فوجد في جسده بضعٌ وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية)[4].. كان وجه أنس بن النضر مشــوّهاً لا يعرف.. كان جسده ميدانــاً لمعركة أخرى انتصر فيها الوفاء، وخرج منها أنس مزيناً بالطعنات والشــهادة والوعد الصادق، فلئن مات رسول الله ﷺ شهيداً، فليلحق به أنس بن النضر.

أما بعض الصحابة فقد أذهلهم الخبر وأســقط في أيديهــم، وانهارت معنوياتهم فولّوا عن أرض المعركة لا يلوون على شيء بعد أن رأوا هذه الكارثة، وسمعوا بمقتله ﷺ، وكان أحد هؤلاء (عثمان بن عفان وسعد بن عثمان -رجل من الأنصار- حتى بلغوا الجلعب -جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص)[5]، وكأنّهم يقولون لأنفسهم: وماذا نحن بعد رسول الله ﷺ؟

أمّا البقية ففضلوا الموت على ما مات عليه رسول الله ﷺ.. أحدهم هذا الفارس المجهول، الذي يقول عنه سهل بن سعد: (ما رأينا مثل ما أتى فلان، لقد فرّ الناس وما فرّ، وما ترك للمشــركين سادة ولا قادة إلا أتبعها يضربها بسيفه)[6]، وما زال يضربهم

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٨).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (الإمارة - ثبوت الجنة..) والزيادة عند البخاري.

(٣) حديث صحيح رواه أحمد.. وهو ثلاثي على شرط الشيخين كما قال ابن كثير.. حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس.. وشيخ أحمد ثقة وهو ابن هارون.. وشيخه تابعي ثقة سمع من أنس وهو حميد الطويل.

(٤) حديث صحيح رواه مسلم (الإمارة - ثبوت الجنة..) والزيادة عند البخاري.

(٥) ســنده صحيح رواه ابن إســحاق ومن طريقه الأموي (ابن كثير - ٣-٥٥) حدثني يحيى بن عباد، عن أبيه عن جده.. وهذا الإسناد مر معنا. يحيى ثقة، وعباد تابعي ثقة.

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٤٢٠٢) وأبو يعلى - زوائد (١-٤٢٨) واللفظ له.

Twitter: @ketab_n

حتى الآن.. في الوقت الذي استشـهد فيه صاحب التمرات، فقد (قاتل حتى قتل)[1]، كما سقط على أرض المعركة رجل فقير لكنه كان بحجم الدنيا.

استشهد مصعب

مصعـب بن عمير، الذي خرج من ثروته وزينته ليلحق برسـول الله ﷺ.. مصعب الذي خـرج من مكة وحيداً، ليثقف جيلاً من أجيـال المدينة.. مصعب الذي خرج من المدينة نحو أُحُد.. لا يملك من الدنيا إلاّ سيفه ورداءه، وقرآناً يملأ صدره، ويغنيه عمّا يراه من حطام الدنيا.. سقط مصعب على أرض أُحُد.. تبكيه المدينة ومكّة، ويبكيه أحد الصحابـة الصائمين عندما قدم له طعام إفطار شـهي، فتذكر مصعباً وجوع مصعب فقال: (قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في برده، إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا -أعطينا من الدنيا ما أعطينا- وقد خشـينا أن تكون حسـناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى تـرك الطعام)[2]، وتذكره أيضـاً رفيق دربه وعذابه خباب بن الأرتّ فقال: (هاجرنا مع رسـول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنّا من مضى بسـبيله ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير.. قتل يوم أُحد، ولم يترك إلاّ نمرة، كنّا إذا غطّينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطّينا رجليه بدا رأسه)[3] رضي الله عن مصعب ما أعظمه.. سـافر والدموع من حوله، بعد أن ملأ الصدور والنفوس علماً وحباً ونظافة وثقافة.. نالت منه سـيوف الشـرك وهو يدافـع عن دينه وعن نبيـه ﷺ، ولم تكتف السـيوف من جسده.. السكاكين والمشـارط حملها الحقد فتفننت في جسده الطاهر تقطيعا وتشويها، بقر بطنه، وجدع أنفه، وقطعت أذناه.. هنيئاً لك مصعب.

كما نالت السـيوف من ذلك الشـاب العروس، الذي ترك فتاته ليموت دون دينه ونبيّه ﷺ، ليكمل احتفالاته في الجنّة، وكان قبيل سقوطه في صراع مع رجل شجاع من صفوف المشركين هو (أبو سفيان) وهو ليس أبو سفيان زعيم قريش. لا، ولكنه (أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب)

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري وقد مر معنا.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (١-١٢٧٥).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٧٦) وقد حذفت كلمات بين عمير... وقتل. وهو قوله رضي الله عنه: ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها.

Twitter: @ketab_n

ابن عمّ رسـول الله ﷺ الذي آذاه في مكة، وهو ما يزال حتى الآن مشـركاً، وقد تغلب عليه حنظلة وعلاه بسيفه وكاد أن يطيح برأسه ولكن ما الذي حدث؟

حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان بن الحارث

حنظلة (التقى هو وأبو سفيان بن الحارث، فلما استعلى حنظلة رآه شداد بن شعوب، فعلاه بالسـيف حتى قتله، وقد كاد يقتل أبا سـفيان)[1]، لكنه نجا، وليس لحنظلة أكثر من ذراعين.. باغته شـداد وأرسله إلى الموت شهيداً. تتحدث عنه الدنيا، وعن شهادته.. سافر حنظلة وسافر معه شاب يحتفل بالشهادة على طريقته المحبّبة إلى نفسه.

شهادة هو اختارها

وانتقـى من المولى كيفيّتها.. إنه عبد الله بن جحـش، الذي دعا الله قبل المعركة فقال: (اللّهمّ ارزقني رجلاً شـديداً حرده، شـديداً بأسه، أقاتله ويقاتلني، ثم يأخذني فيجـدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً، قلت: من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسـولك ﷺ، فتقول: صدقت)[2]، فاستجاب الله لعبد الله بن جحش، فالتقى بمحارب عنيف وشديد فقتله، ولما هوى عبد الله على الأرض أخذه ذلك المشرك ومثّل به، فشقّ أنفه وأذنه، وعلّق أنفه وأذنه بخيط..

كل هؤلاء سـافروا.. كل هؤلاء الشـهداء كانوا في طريقنا ونحن نبحث عن رسول الله ﷺ.. تعالوا خلف هذا الفاتك المغوار، الذي يجول ويصول دون أن يصدق أن رسول الله ﷺ قد قتل، لكنه في الوقت نفسـه لا يعتقد أن رسـول الله ﷺ على ساحة أُحد، ولا خلف جبالها، ولا حتى على ساحة بدر أو في المدينة.

لقد عاد هذا الشجاع من جولة كالفجيعة.. كان يقلّب الجثث، فتؤلمه وجوه أصحابه وأحبابـه من الشـهداء وهو يبحث بمرارة عن حبيبه محمـد ﷺ، لكنه لم يجده فأين ذهب؟ وأين ذهبت الظنون بهذا الشاب المكسور الحزين؟

---

(١) سنده صحيح مر معنا كثيراً رواه ابن إسحاق، ومن طريقه السراج (الإصابة ١٣-٢٩٩) رواه الحاكم ٣-٢٠٤ حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده.

(٢) سنده جيد وقد مر معنا.

Twitter: @ketab_n

تعالــوا نتعرف عليه وعلى حيرتــه.. إنه زوج فاطمة الزهــراء.. إنه علي ابن أبي طالب، وهو يظن أن:

رسول الله ﷺ في السماء

يقــول رضي الله عنه: (لما انجلى الناس عن رســول الله ﷺ يوم أُحد، نظرت في القتلى فلم أرَ رســول الله ﷺ، فقلت: والله ما كان ليفرّ، ولا أراه في القتلى، ولكن أرى اللــه غضب علينا بما صنعنــا، فرفع نبيّه ﷺ، فما لي خير مــن أن أقاتل حتى أُقتل، فكســرت جفن ســيفي ثم حملت على القــوم فأفرجوا لي، فإذا أنا برســول الله ﷺ بينهم)[1].

كان ﷺ غارقــاً في أحزانه ودمائه، حيث (جرح وجه رســول الله ﷺ، وكســرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه)[2] هشمت البيضة التي كان يغطي بها رأسه فشجّ رأسه، (وذلق من العطش حتى جعل يقع على ركبتيه)[3].

رأى عليّ بن أبي طالب رســول الله ﷺ وتألم لما حدث، لكنه كان في أشدّ حالات الارتيــاح لأنه لم يــزل حياً على الأرض.. فكيف علم الآخرون بمكانه؟ وكيف أحاط كل هذا الجمع به؟ فقد كان حوله أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وسعد والحارث بن الصمة وأبو طلحة وابن مســعود وأكثر من اثني عشــر رجلاً من الأنصار؟ لن يحدّثنا أيّاً من هؤلاء فالكلمة لـ:

أول من عرفه ﷺ

الكلمة للشاعر المجاهد (كعب بن مالك) حيث: (كان كعب أوّل من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قتل رســول الله ﷺ. قال كعب: عرفت عينيه تزهران من تحت

---

(١) سنده حسن رواه أبو يعلى زوائد ٢-٤٣٠ حدثنا أبو موسى، ثقة ثبت حافظ التهذيب ٩-٤٢٥ حدثنا محمد بن مروان العقيلي، حســن الحديث إذا لم يخالف قال الحافظ: صدوق له أوهام ٥٠٦، عن عمارة بن أبي حفصة ثقة من رجالهما التقريب ٤٠٨.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٥).

(٣) سنده صحيح رواه أبي شيبة ٧-٣٧١: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير. عفان ثقة ثبت إذا شــك في حرف من الحديث تركه، وشــيخه ثقة معروف وبقية السند لا يسأل عنها وقد مر معنا كثيراً.

Twitter: @ketab_n

المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشـر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليّ أن انصت «اسكت»)[1]. ربما لكي لا يعلم المشركون بمكانه.

سمع هذا الصرخة سعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وسبعة من الأنصار، فهبوا نحو صاحبها، وسـمع الصرخة جمع من المشـركين فلحقوا بهم، فماذا حدث يا أنس؟ أجب بالله عليك. يقول أنس رضي الله عنه: (إن رسـول الله ﷺ أفرد يوم أُحد في سـبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه[2] قال ﷺ: من يردهم عنّا وله الجنّة، أو هو رفيقي في الجنّة؟

فتقـدم رجـل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه، فقـال: من يردّهم عنّا وله الجنّة أو هو رفيقي في الجنّة.

فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السـبعة، فقال رسـول الله ﷺ لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنـا)[3] يعني الأنصار. لكن الأنصار كانوا حضوراً غامراً.. مفعماً بالحب والفداء.. يصنعون الأحداث، فيتحدث التاريخ وفاءً.

لقد التحق بالأنصار الشهداء شـهداءٌ آخرون، فزاد مجد الأنصار وفخرهم على أرض أُحُد.

يقول أحدهم وكأنه يكمل حديث أنس السـابق: (لما كان يوم أُحد وولّى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية «في اثني عشر رجلاً. منهم طلحة»، فأدركهم المشركون، فقال النبـي ﷺ: مـن للقوم؟ «قال طلحة: أنا. قال ﷺ: كما أنـت»، فقال رجل: أنا، قال ﷺ: أنت.

فقاتـل حتى قتل. ثم التفت فإذا المشـركون، فقال ﷺ: من لهم؟ «قال طلحة: أنا، قال ﷺ: كما أنت». فقال رجل من الأنصار: أنا، قال ﷺ: أنت.

---

(١) سـنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبراني في الأوسط، مجمع البحرين، ٥-١٠٥ والبيهقي في الدلائل ٢-٤٨٢: حدثني الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك. الزهري إمام معروف وشـيخه له رؤية وتابعي ثقة له رؤية رواه عن والده.

(٢) أي اقتربوا منه.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم (الجهاد - غزوة أحد).

Twitter: @ketab_n

فقاتــل حتى قتل. فلــم يزل كذلك حتى بقي مع نبي اللــه طلحة، «فقال ﷺ: من للقوم؟ قال طلحة: أنا» فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه، فقال حسّ، فقال رســول الله ﷺ: لو قلت: باسم الله، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، ثم ردّ الله المشــركين)[1] الذين ســمعوا بمكانه ﷺ ولم يبق معه ﷺ في هذا الوقت ســوى اثنين مــن الصحابــة.. يقول أحد الصحابة: (إنه لم يبق مع النبــي ﷺ في تلك الأيام الذي يقاتل فيهن غير طلحة وســعد)[2]، وقد قاتل طلحة حتى قطعت أصابعه وشــلّت يده.. رآها أحد الذين أدركوا الجاهلية والإسلام واسمه: قيس بن أبي حازم فقال: (رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شلّت)[3].

أثناء هذه الظروف العصيبة والجراح الدامية، دوت صرخة كبيرة نحو رسول الله، وذلك بعد أن انتشر الخبر أن رسول الله ﷺ لا يزال على قيد الحياة، فتداعى الصحابة من كل مكان (فلما عرفوا رســول الله ﷺ نهضوا به معهم نحو الشــعب، ومعه أبو بكر وعمر وعليّ وطلحة والزبير والحارث بن الصمة في رهط من المسلمين، ولما أسند رسول الله ﷺ في الشعب، أدركه أُبيّ بن خلف وهو يقول: يا محمد.. لا نجوت إن نجوت.

فقال القوم: أيعطف عليه يا رسول الله رجلٌ منّا؟

فقال: دعوه.

فلمــا دنا تناول رســول الله ﷺ الحربة من الحارث بــن الصمة)[4] أخذ النبي ﷺ الحربة وهو في أشــدّ حالات الإعياء والعطش، لدرجة أنه كان يمشــي ويسقط، ولكنه استجمع قواه ليبعث بها مع حربة الحارث بن الصمة نحو جسد هذا الطاغوت النزق.

---

(١) حديث حسن بما قبله عدا ما بين الأقواس الصغيرة وسنده فيه ضعف، لأنه من رواية أبي الزبير عن جابر وهو مدلس ولم يصرح بالسماع من جابر هنا والرواية عند النسائي - ٦-٣٠ والطبراني ٨-٣٠٤ والحاكم ٤-٥٧٠ ولآخر الحديث شواهد تقويه عند المقدسي في المختارة ٣-٤٢ والطبراني في الشاميين بسند فيه تابعي مجهول عن أنس ٢-١٢٨.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري عن أبي عثمان النهدي (٤٠٦٠ - ٤٠٦١).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٣٧٢٤).

(٤) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه أبو نعيم (٤٨٢) وقد مر معنا وللحديث شواهد.. ولم أذكر بقية الحديث لأنه من بلاغات ابن إسحاق دون سند وهو قوله: يقول بعض القوم -فيما ذكر لي- : فلما أخذها رســول الله ﷺ -أي الحربة- انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشَّعْر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله فطعنه بها طعنة تدأد منها عن ظهر فرسه مراراً. والشُّعُر: ذباب أزرق يؤذي الإبل.

Twitter: @ketab_n

الرسول يستسقي دماءً

لا يستسقى مطراً، بل الساحة والصحابة بأشدّ الحاجة إلى دماء هذا الطاغوت الجرىء، الذي سفك هو وأخوه من الدماء ما يكفي.

سأترك الحديث للزبير ليكمل لنا القصة: يقول رضي الله عنه: (شجَّ النبي ﷺ يوم أُحُد في وجهه، وكسرت رباعيته، وذلق من العطش حتى جعل يقع على ركبتيه، وتركه أصحابه. فجاء أبي بن خلف يطلبه بدم أخيه: أمية بن خلف، فقال: أين هذا الذي يزعم أنه نبيّ فليبرز لي، فإنه إن كان نبياً فتلني.

فقال رسول الله ﷺ: أعطوني الحربة. فقالوا: يا رسول الله، وبك حراك؟ فقال: إني قد استسقيت الله دمه.

فأخذ الحربة ثم مشى إليه، فطعنه، فصرعه عن دابّته، وحمله أصحابه فاستقذوه، فقالوا له: ما نرى بك بأساً.

قال: إنه قد استسقى الله دمي، إني لأجد لها ما لو كانت على ربيعة ومضر لوسعتهم)[1]، ثم هلك مع من هلك من الطواغيت قبله، ولحق بأخيه إلى الجحيم - أعاذنا الله منها، وهرب أتباعه بعد أن رأوا تلك الضربة النبوية المميتة، وتراكضوا نحو أصحابهم يخبرونهم عن رمح رسول الله ﷺ، وعن قوّة رسول الله ﷺ ليكدر عليهم بقية نصرهم.

أمّا رسول الله ﷺ، فبعد أن زرع الرمح في جسد أبي بن خلف.. رجع إلى مكانه متعباً يشير إلى سنّه المكسورة، وجثّة ذلك الطاغوت فقال ﷺ: (اشتدّ غضب الله على قوم فعلوا بنبيّه -يشير إلى رباعيته- اشتدّ غضب الله على رجلٍ يقتله رسول الله في سبيل الله)[2] (اشتدّ غضب الله على قوم دموا وجه نبيّ الله)[3].

(اشتدّ غضب الله على من دمى وجه رسول الله ﷺ)[4].

---

(١) سنده صحيح مر معنا قبل قليل رواه ابن أبي شيبة ٢-٣٧١: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٣).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٤).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٥).

Twitter: @ketab_n

رجع ﷺ بينما كان أبو طلحة وغيره كالقلعة حوله ﷺ.

يقول أنس رضي الله عنه: (لما كان يوم أُحد انهزم ناس عن رسول الله ﷺ، وأبو طلحة بين يديه مجوباً عليه بحجفة، وكان رامياً شديد النزع، كسر يومئذٍ قوسين، أو ثلاثة، وكان الرجل يمرّ معه الجعبة من النبل، فيقول رسول الله ﷺ: انثرها لأبي طلحة، ثم يشرف على القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، لا تشرف، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك)[1].

كان أبو طلحة قائمة من الخيارات الجميلة بين يديه عليه السلام، (وكان أبو طلحة يدفع صدر رسول الله ﷺ بيده ويقول: يا رسول الله هكذا لا يصيبك سهم، وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ، يقول: يا رسول الله إني قوي جلد، فوجهني في حوائجك وابعثني حيث شئت)[2].

لم تصب السهام رسول الله ﷺ، لكنها نقشت الشهادة على صدر أحد شباب الصحابة.. كانت شهادة غريبة. غريبة لأن صاحبها لم يمت في أُحد، ولا بعد أُحد، ولا حتى في حياة النبي ﷺ. فما قصة هذا:

الشهيد الذي يمشي على الأرض

شاب اسمه (رافع بن خديج) شهيد، لكنه يعيش بين الناس.. يأكل معهم ويشرب ويصلّي ويصوم، بل ويجاهد في معارك أخرى في هذه الدنيا، مع أنه من شهداء أُحد! كيف ذلك..؟

تقول زوجته رضي الله عنها: (إن رافعاً رمى مع رسول الله ﷺ يوم أُحد بسهم، في ثندوته، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنزع السهم؟

قال ﷺ: يا رافع.. إن شئت نزعت السهم والقطبة جميعاً، وإن شئت نزعت السهم وتركت القطبة، وشهدت لك يوم القيامة أنك شهيد. فنزع رسول الله ﷺ السهم، وترك

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٦٤).

(٢) سنده كالذهب رواه عبد بن حميد (٣٩٩) حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس.. وسليمان ثقة إمام حافظ وبقية السند مر معنا.

Twitter: @ketab_n

القطبة فعاش بها)[1] حتى مات حاملاً شـهادته على ثندوته.. على صدره، بينما كانت ذقون المؤمنين على صدورهم، فأمن الصحابة من جديد بعد أن أنزل الله:

النعاس من جديد

يقول الزبير بن العوام رضي الله عنه: (لقد رأيتني مع رسـول الله ﷺ حين اشتدّ الخوف علينا، أرسـل الله علينا النوم، فما منّا من رجل إلاّ ذقنه في صدره، فوالله إني لأسـمع قول معتب بن قشـير -ما أسمعه إلاّ كالحلم- يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا. فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنـا،، لقول معتب)[2] والآيات التي نزلت في هذا المنافق المدعو: (معتب بن قشـير) وبقايا المنافقين الذين أبقاهـم الخوف، وأفصح عن نفاقهم الخوف.. هذه الآيات هي قولـه تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾[3].

أمـا أولئك الذين لاذوا بالفرار بعـد نزول الرماة وحدوث الانتكاسـة، فقد تاب الله عليهم وعفـى عنهم وأنزل فيهم قوله تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَّلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾[4].

---

(١) سـنده صحيح رواه الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا حجاج بن المنهال (ح) وحدثنا محمد بن محمد التمار، حدثنا أبو الوليد ومحمد بن كثير.. قالوا: حدثنا عمرو بن مرزوق الواشـحي، حدثنا يحيى بـن عبد الحميد بـن رافع بن خديج عن جدته وهي امرأة رافع رضي الله عنه.. ويحيى تابعي ثقة الجرح والتعديـل ٩-١٦٨ وتلميذه صدوق التهذيب ٨-١٠١ وتلاميذ عمرو كلهم ثقات وأبو الوليد هو الطيالسـي وشيخ الطبراني وتلميذ الحجاج هو الثقة علي بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي (البلغة - ٢٢٨).

(٢) سنده صحيح مر معنا كثيراً رواه ابن إسحاق (تفسير ابن كثير - ١٢٦/٢): حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٥.

Twitter: @ketab_n

أمّا على أرض المعركة الآن فيقول أنس: (لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمِّرتان، أرى خدم سوقهما تنقزان القرب على متونهما، تفرغانه في أفواه القوم، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم)[1].

أمّا عمر بن الخطاب فيحدّثنا عن امرأة عظيمة أخرى هي «أم سليط»، فيقول: (إنها كانت تزفر لنا القرب يوم أُحد)[2].

شرب النبي ﷺ وشرب العطشى، وانحاز كل جيش إلى معسكره إلاّ مسلماً مشغولاً بمطاردة فلول المشركين، فيطارده الإعجاب في كل مكان يصول فيه ويجول. لقد كان هذا الفارس المتغلغل في جموع المشركين وأجسادهم ملء السمع والبصر من الصحابة.. كانوا يمدحونه.. يرون أنه أكثر من صارع الكفار وصرعهم، وأنه لا أحد ممن بقي حياً من المسلمين قاتل مثل قتاله، فسمع الرسول ﷺ بأمره، فسأل عن اسمه ونسبه؟ فأخبروه. فلم يعرفه، ووصفوا له وجهه وجسده ولباسه فلم يعرفه، وبينما كان يطارد إحدى ضحاياه مرت ضحيته، ومرّ كالسهم وراءها بين عيني رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ كلمة آلمت الصحابة جداً:

هذا الفارس من أهل النار

الصحابي سهل بن سعد رضي الله عنه كان حاضراً يسمع ويرى، ويروي فيقول: (إنه قال: يا رسول الله -يوم أُحد- ما رأينا مثل ما أتى فلان - أتاه رجل - لقد فرّ الناس وما فرّ، وما ترك للمشركين شَاذّة ولا فَاذّةً إلا اتبعها يضربها بالسيف.

قال ﷺ: ومن هو؟ فنسب لرسول الله ﷺ نسبه فلم يعرفه، ثم وصف له بصفة فلم يعرفه، حتى طلع الرجل بعينه، فقال: ذا يا رسول الله الذي أخبرناك عنه.

فقال: هذا؟ فقالوا: نعم. فقال ﷺ: إنه من أهل النار.

فاشتدّ ذلك على المسلمين، قالوا: أيّنا من أهل الجنّة إذا كان فلان من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: يا قوم، أنظروني فوالذي نفسي بيده لا يموت على مثل الذي

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٣٨١١).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧١).

Twitter: @ketab_n

أصبح عليه، ولأكونن صاحبه من بينكم. ثم راح على جده في العدو، فجعل الرجل يشدّ معه إذا شدّ، ويرجع معه إذا رجع، فينظر ما يصير إليه أمره، حتى أصابه جرح أذلقه[1]، فاستعجل الموت، فوضع قائم سيفه بالأرض، ثم وضع ذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه حتى خرج من ظهره.

وخرج الرجل يعدو ويقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنك رسول الله. حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: وذاك ماذا؟ فقال: يا رسول الله، الرجل الذي ذكر لك فقلت: من أهل النار، فاشتدّ ذلك على المسلمين وقالوا: أيّنا من أهل الجنّة إذا كان فلان من أهل النار؟ فقلت: يا قوم أنظروني، فوالذي نفسي بيده لا يموت على مثل الذي أصبح عليه، ولأكونن صاحبه من بينكم، فجعلت أشدّ معه إذا شد، وأرجع معه إذا رجع، أنظر إلى ما يصير أمره، حتى أصابه جرح أذلقه، فاستعجل الموت، فوضع قائم سيفه بالأرض، ووضع ذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه حتى خرج من بين ظهره، فهو ذاك يا رسول الله يضطرب بين أضغاثه.

فقال رسول الله ﷺ: إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنّة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وإنه لمن أهل الجنّة)[2] كما في قصة عمرو بن أقيش الذي لم يسلم إلاّ وسط المعركة، واستشهد فدخل الجنّة وهو لم يصلّ لله ركعة واحدة.

أمّا هذا البطل المجاهد فهو من أهل النار، ليس لأنه غير مسلم. بل هو مسلم، لكن هناك فرق بين الاستشهاد والانتحار، وهذا البطل المجاهد قد انتحر، فلم يصبر لتقتله جروحه، أو يشفى منها. لم يقتله أحد، بل هو الذي قتل نفسه، ولو أدرك ما للجراح والآلام من منافع لطلب المزيد، فقد قال ﷺ: (ما أحد من الناس يصاب ببلاء في جسده الا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه فقال اكتبوا لعبدي كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي)[3] ليبدأ من جديد مطهراً من كل ذنب.

---

(١) بلغ به الألم أشده.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٢٠٢) وأبو يعلى (زوائد - ٤٢٨/١) واللفظ له وسنده عنده، حسن: حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن القاص عن أبي حازم، عن سهل بن سعد.. وهذا السند حسن من أجل سعيد...

ملاحظة: ورد في الزوائد أنه: سعيد القاص والصواب: القاضي، قاضي بغداد وليس في ترجمته ما يدل على انه قاص، وأبو حازم لم يسمع إلا من سهل جامع التحصيل ٢٢٧.

(٣) سنده صحيح رواه أحمد ٢-١٥٩ وغيره من طريق علقمة بن مرثد عن القاسم بن مخيمرة عن عبد الله ابن عمرو. وعلقمة والقاسم ثقات من رجال مسلم.

Twitter: @ketab_n

ويقـول ﷺ عن الذين يكثر ابتلاؤهـم وامتحانهم في الدنيا: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وأن الله تعالى إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط)[1].

أمّا عن مثل هذا المسلم الشجاع، فقد قال ﷺ: (من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده، يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم)[2].

مـات ذلك الفـارس ومضى إلى حيث مضى، ونهض ﷺ إلـى مكان عند صخرة ليستريح، وحوله من حوله من الصحابة. لكن النبي ﷺ وقبل أن يستريح أراد الإطلاع إلى ما آلت إليه المعركة، فحاول الصعود على الصخرة فلم يسـتطع، لأنه كان مرهقاً، ولأنّه كان يلبس درعين، فتأمّله طلحة رضي الله عنه، وتأمّل يده تشـخب دماً، فهانت عليه آلامه ومتاعبه ويده، فنثرها جميعاً تحت قدميه ﷺ.. حقاً لقد:

أوجب طلحة

يقول الزبير رضي الله عنه: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في أُحد «وكان على النبي ﷺ يوم أُحد درعان»، فذهب رسول الله ﷺ لينهض على صخرة، فلم يستطع، فبرك طلحة بن عبيد الله تحته، فصعد رسول الله ﷺ على ظهره حتى جلس على الصخرة.

قال الزبير: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: أوجب طلحة)[3].

أي فعل ما يوجب دخوله الجنّة.

نظـر ﷺ إلى ما أراد أن ينظر إليه (ثم أمر رسـول اللـه ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأتى بالمهراس[4]، فأتاه بماء في درقته، فأراد أن يشرب منه، فوجد له ريحاً فعافه، فغسل به الدم الذي في وجهه وهو يقول: اشتدّ غضب الله على من دمى وجه رسول الله ﷺ)[5].

---

(١) سـنده قوي رواه الترمذي ٤ - ٦٠١ وغيره عن يزيد بن أبي حبيب عن سـعد بن سـنان عن أنس. وسعد تابعي صدوق ويزيد ثقة من رجال الشيخين.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ١-١٠٣.

(٣) سنده صحيح مر معنا رواه ابن إسحاق ومن طريقه - ابن حبان (زوائد - ٥٤٦) واللفظ له والحاكم ٣-٣٧٤ وأحمـد ١-١٦٥: حدثنـي يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عـن عبد الله بن الزبير عن أبيه: ويحيى تابعي ثقة.. والزيادة للحاكم.

(٤) إناء صغير مصنوع من الحجارة.

(٥) سنده صحيح رواه ابن إسحاق من الطريق السابق.

Twitter: @ketab_n

لكن الله سبحانه وفي هذه الساعة المريرة يرسل جبريل عليه السلام إلى نبيه مصححاً.. شارحاً صدره، ليتسع لأكثر من هذه المعركة ومآسيها.. ليكون صدراً من تسامح وهداية لكل الأرض، فبعد أن (شج في وجهه، وكسرت رباعيته، ورمي رمية على كتفه، فجعل يسيل الدم على وجهه، وهو: يمسحه ويقول: كيف تفلح أمة فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[1]).

امتثل ﷺ، فمسح قوله ودمه بدعاء كالمطر: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[2]، وجاءت ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها لتغسل الدم عن وجه أبيها، كما غسلته أيام مكة المضنية.

يقول أحد الصحابة عليهم السلام: (أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ، ومن كان يسكب الماء، وبما دووي.

كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله، وعليّ بن أبي طالب يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلاّ كثرة، أخذت قطعة من حصير وأحرقتها، وألصقتها فاستمسك الدم)[3].

وبعد أن استمسك الدم، وهدأت الساحة، أُخبر ﷺ باستشهاد حمزة ورفاقه فتكدّر، وحزن حزناً شديداً، ثم قال: (من رأى مقتل حمزة؟ فقال رجل أعزل: أنا رأيت مقتله، قال ﷺ: فانطلق أرناه.

فخرج ﷺ)[4] في الوقت الذي يتحدث البعض عن مقتل النبي ﷺ لأنهم لم يروه حتى الآن، فهم هناك مهمومون في البحث عنه. يقول أحد الصحابة رضي الله عنه:

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٧٩١) والترمذي (٣٠٠٢) واللفظ له وسنده صحيح.

(٢) سنده حسن رواه ابن حبان ٣-٢٥٤ والضحاك ٤-١٢٣ من طريق محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن الزهري عن أنس. ومحمد حسن الحديث من رجال البخاري، التقريب ٥٠٢ وموسى والزهري إمامان ثقتان ثبتان.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٥).

(٤) سنده حسن رواه ابن أبي شيبة ٧-٣٧٢: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز، حدثنا الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه - وهذا السند رجاله ثقات إلا أن في عبد الرحمن بن عبد العزيز كلاماً لا ينزل به عن رتبة الحسن، فهو ثقة كما قال يعقوب بن شيبة، وهو كثير الحديث عالم بالسيرة كما قال ابن سعد ووثقه ابن حبان وهو من رجال مسلم. أما جرحه فهو غير مفسر. قال الأزدي: ليس بالقوي عندهم.. وقال ابن أبي حاتم شيخ مضطرب الحديث (التهذيب ٦/٢٢٠) وقال الحافظ ملخصاً أقوال العلماء في التقريب (١/٤٨٩) صدوق يخطئ. وليس هناك من لا يخطئ.

Twitter: @ketab_n

(فما زلنا كذلك ما نشكّ أنه قتل، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين، نعرفه بتكفئه إذا مشى، ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا.

فرقي نحونا وهو يقول: اشتدّ غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله ﷺ. ويقول مرة أخرى: اللّهم إنه ليس لهم أن يعلونا. حتى انتهى إلينا فمكث ساعة، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: أعل هبل، أعل هبل -يعني آلهته-)[1].

أطلق أبو سفيان هذه الكلمات المنحطّة منتشياً بنصر غير مؤكّد، فقد هزم هو وجيشه في أوّل المعركة، وكاد الزبير أن يسبي زوجته هند ورفيقاتها، وجُندل من جيشه سبعون، ومازال المسلمون يحتفظون بسبعين آخرين في الأسر. أما المسلمون، فقد استشهد منهم سبعون، ولم يؤسر منهم أحد.

لو كان نصر أبي سفيان وجيش الشرك من خلفه حقيقياً لخلصوا رفاقهم من الأسر، وطاردوا المؤمنين إلى المدينة، وهي قريبة من أُحد، لكن المشركين لم يصدقوا أنهم قتلوا حمزة.. لم يصدقوا أنهم نجوا مما حدث أوّل النهار، وكان أعلى ما حصلوا عليه هو إطلاق إشاعة موت الرسول ﷺ.. هم أطلقوها، وهم صدّقوها.

أمّا المسلمون، فيعتبرونها خسارة إذا ما قارنوها ببدر، أو قارنوا أوّل النهار بآخره، لكن المعركة في الميزان العسكري نصر للمؤمنين، وهم الأعلون الآن فوق الجبل، وأبو سفيان في أسفل الجبل يزعج الجبال والفضاء ويقول: أعل هبل.

ولما لم يجد إجابة لهذا الاستفزاز.. ألحق به استفزازاً آخر فقال: (أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟)[2].

فلم يجبه أحد، فأصبح أكثر تعقّلاً وتأدّباً، فقال: (أفي القوم محمد..؟ أفي القوم محمد..؟ أفي القوم محمد..؟

---

(١) حديث صحيح عند أحمد وقد مر تخريجه من طريق سليمان ابن داود أخبرنا بن أبي الزناد.
(٢) حديث صحيح وهو حديث ابن عباس السابق عند أحمد.

Twitter: @ketab_n

فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة..؟ أفي القوم ابن أبي قحافة..؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟

ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب..؟ أفي القوم ابن الخطاب..؟ أفي القوم ابن الخطاب..؟

ثم رجع إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قتلوا. فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلّهم، وقد بقي لك ما يسوؤك)[1] (هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا ذا عمر. فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول، وإن الحرب سجال. فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنّة، وقتلاكم في النار. قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذاً وخسرنا. ثم قال أبو سفيان: أما إنكم ستجدون في قتلاكم مثلاً[2]، ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا، ثم أدركته حمية الجاهلية، فقال: أما إنه قد كان ذلك فلم نكره) (ستجدون في القوم مثلة[3] لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز: أعل هبل.. أعل هبل،

قال النبي ﷺ: ألا تجيبوه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟

قال: قولوا: الله أعلى وأجلّ

قال أبو سفيان: إن لنا العزى ولا عزّى لكم.

فقال النبي ﷺ: ألا تجيبوه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟

قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم)[4].

عندها خسئت ألفاظ الشرك، وتهاوى تمجيد الخرافة والأصنام أمام هذا التوحيد النقيّ، الذي لا تشوبه شائبة، لكن أحد المشركين أراد التطاول على هذا الإخلاص المتوهّج في صدر محمد وصحبه عليهم الصّلاة والسّلام.. أراد أن يحمل أصنامه إلى رحاب الله، فكيف كانت العاقبة..؟

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٤١) دون تكرار إنما قال الراوي: ثلاث مرات.
(٢) أي ستجدون تشويهاً بجثث أصحابكم وتقطيعاً.
(٣) أي ستجدون تشويهاً بجثث أصحابكم وتقطيعاً.
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٤١).

Twitter: @ketab_n

يقول بريدة رضي الله عنه: (إن رجلاً قال يوم أُحد: اللّهمّ إن كان محمد على الحق فاخسف به. فخسف به)[1].

رأى المشركون المعجزة بأعينهم، فالتهمت بقية معنوياتهم كما التهمت الأرض ذلك المتطاول، فولّوا مدبرين إلى مكّة على عجل خشية أن يهبّ المؤمنون مرة أخرى، فيخطفوا بقايا الفرح التي التقطوها من أرض أُحد. وقد يتساءل بعض المشركين وهو في طريق عودته: إذا كان الله قد أعطى محمداً المعجزات كقتل أبي بن خلف، والخسف بهذا الرجل، فلم لم ينصره علينا، وعلى الدنيا نصراً مؤزراً حتى الآن..؟!

وقد غاب عن ذهن هذا المتسائل المسطح أن الإسلام لا ينتشر بالمعجزات، ولا بالخوارق، لأنها تأتي مع الأنبياء وتغادر معهم، أمّا الإسلام فقد جاء للبشر، وبجهدهم -بعد الله- ينتشر وينداح وينتصر، وبانحطاطهم وتخلّفهم وسطحية فهمهم يتحوّل الإسلام إلى ضحية.. إلى خزانةٍ ضخمةٍ مليئة بالتهم.. يلقي فيها الناس عيوبهم.

ها هم أفضل الناس.. أصحاب محمد ﷺ، عندما عصوه -مجتهدين- انقلبت المعركة على رؤوسهم، ورؤوس أصحابهم الملتزمين بأوامره، ولم تسعفهم المعجزات ولا الدعوات لـ(إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[2].

أمّا رسول الله ﷺ، فقد هبّ لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد إدبار المشركين، فبدأ بالدعاء لجبر ما انكسر من الداخل.. دعاء الواثق، لا دعاء ذلك الغارق بين طبقات الأرض، وذلك: (لما كان يوم أُحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: استووا حتى أثني على ربّي، فصاروا خلفه صفوفاً.

فقال: اللّهمّ لك الحمد كلّه، اللّهمّ لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضلّ لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرّب لما باعدت، ولا مبعد لما قرّبت، اللّهمّ أبسط علينا من بركاتك، ورحمتك،

---

(١) سنده حسن رواه البزار (زوائد - ٣٢٩/٢) حدثنا عبدة بن عبد الله أنبأنا زيد بن الحباب، أنبأنا الحسين ابن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال الهيثمي رحمه الله: رجاله رجال الصحيح.. وهو كما قال إلا أن زيداً من رجال مسلم فقط وحديثه حسن إذا لم يخالف - التقريب (٢٧٣/١) وشيخ البزار من رجال البخاري فقط وهو الصغار - ثقة: التقريب (٥٣٠/١) والحسين بن واقد ثقة من رجال مسلم (السابق - ١٨٠/١) وعبد الله تابعي ثقة من رجال الشيخين.

(٢) حديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير.

Twitter: @ketab_n

وفضلك، ورزقك، اللّهمّ إنّي أسـألك النعيـم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، «اللّهمّ إني أسـألك النعيم المقيم يوم القيامة»، اللّهمّ إني أسـألك النعيم يـوم الغلبة، والأمن يوم الخوف، اللّهمّ إني عائذ بك من شـرِّ ما أعطيتنا، وشـرِّ ما منعت منّا، اللّهمّ حبِّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسـوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللّهمّ توفّنا مسـلمين، وأحينا مسـلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللّهمّ قاتل الكفرة الذين يكذّبون رسلك، اللّهمّ اجعل عليهم رجزك وعذابك، اللّهمّ قاتل «كفرة أهل الكتاب» إله الحق)[1].

هـدأت الأنفس مع الله، واطمأنت الأرواح بهـذا الدعاء، فالأمر لله من قبل ومن بعد، ولا رادّ لقضائه.. لله خرجوا، وله قاتلوا، والحمد لله على كل حال.

تهادى ﷺ وأصحابه خلف ذلك الرجل الأعزل، الذي مشـى أمامهم ليدلّهم على مقتل حمزة.. مشـى الرجل (حتى وقف على حمزة، فـرآه قد بقر بطنه، وقد مُثّل به، فقال: يا رسـول الله، مثّل به والله. فكره رسـول الله ﷺ أن ينظر إليه)[2] (وقد جدع ومُثّل به، فقال: لولا أن تجد صفية في نفسـها تركته حتى تأكله العافية، فيحشـر من بطونها)[3] أي من بطون الوحوش.

وصفية هذه التي خاف عليها ﷺ هي عمّته.. صفية بنت عبد المطلب، وهي شـقيقة حمـزة، وأم الزبيـر بن العوام، وهـي المقصودة بقوله ﷺ: (لولا جزع النسـاء لتركته حتى يحشر من حواصل الطير وبطون السباع)[4] (ثم دعا بنمرة، فكانت إذا مدت على رأسه بدت رجلاه، وإذا مدت على رجليه بدا رأسـه، فقال رسـول الله ﷺ: مدوها على رأسه واجعلوا علـى رجليه الحرمل)[5] وهو نبات صحراوي يسـتعمل في الطب.. اسـتعمله ﷺ لتكفين الراقد الذي كان قبل سـاعات يزرع الرعب في قلـوب المجرمين قبل، وينثر الاطمئنان

---

(١) سـنده قوي رواه البزار زوائد ٢-١٣٠ والحاكم ١-٦٨٦ والبخاري في الأدب ٦٩٩ وغيرهم من طريق عبد الواحـد بـن أيمن المكي. حدثني عبيـد بن رفاعة بن رافع عن أبيه. عبيد تابعـي ثقة ولد على عهده عليه السلام وثقه العجلي، وعبد الواحد تابعي صغير من رجال مسلم قال في التقريب: لا بأس به، وقد روي عنه هذا الحديث ثقتان هما خلاد بن يحيى وهو من كبار شيوخ البخاري ومروان بن معاوية وهو ثقة حافظ.

(٢) سنده جيد رواه ابن أبي شيبة (٣٧٢/٧) لكن يشهد لأوله ما بعده.

(٣) سـنده حسـن رواه الحاكم ١-٥١٩ وأبو داود (٣١٣٦) وغيرهم من طرق عن أسـامة بـن زيد الليثي عن الزهري عن أنس. أسامة حسن الحديث من رجال مسلم التقريب ٩٨.

(٤) سنده ضعيف لكنه حسن بما قبله.. رواه ابن أبي شيبة ٧-٣٧٢ والبيهقي سنن ٤-١٢ وغيرهم طريق يزيد ابن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس. ويزيد ضعيف.

(٥) سنده حسن وهو حديث أسامة بن زيد عن الزهري عن أنس.السابق وحسنه الألباني.

Twitter: @ketab_n

على صدور المؤمنين.. هذا الراقد الذي قال عنه ﷺ: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب)[1] ثم توجه ﷺ إلى راقد آخر.. راقد وقف عند قبره طويلاً، وتأمّله طويلاً.. مسافر جمع المجد من أطرافه.. جمع العلم والفروسية.. على يديه تعلمت المدينة كتاب الله، وأصغت إليه طرياً من فمه الطاهر.. إنه شاب ترك مال أمه وأبيه.. ترك الجاه والثراء، لا لأنه حرام، ولكنه كان مرهوناً بالشرك، فرفض الشرك ورفض كل شيء يقدمه الشرك وأهله ثمناً للتخلي عن الحق.. التحق بالنبي ﷺ وتعلّم منه، وتعلم القرآن وكتبه، ثم أرسله ﷺ وحيداً إلى المدينة شمساً يشع ويشرق في دورها وقلوب أهلها، ويفوح عبيره في أبياتها، وها هي قصة حياته وشقائه ومعاناته تمرّ في مخيلة النبي ﷺ وأصحابه.. ها هو مصعب راقد بسلام، والحزن من حوله أثقل من جبل أُحد.. ها هو أحد الذين كانوا يعانون الأمرّين مثل مصعب.. خباب بن الأرت رضي الله عنه يقول عن رفيق دربه مصعب: (هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً، منهم: مصعب بن عمير قتل يوم أحد، فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلاّ نمرة، كانوا إذا وضعوها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعوها على رجليه خرج رأسه، قال رسول الله ﷺ: اجعلوها مما يلي رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر)[2] وهو نبات طيّب الرائحة، لكن مصعباً أطيب منه.

ويقول أبو ذر رضي الله عنه: (لما فرغ رسول الله ﷺ يوم أُحُد مرّ على مصعب مقتولاً على طريقه فقرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾)[3] ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[4].

هذه الآية التي نزلت قبل قليل، فتلاها ﷺ وهو يمر بجسد مصعب الطاهر، وكان

---

(١) انظر صحيح الجامع للشيخ ناصر.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٧٦) وابن أبي شيبة (٣٦٧/٧) واللفظ له.

(٣) إسناده حسن رواه الحاكم (٢٠٠/٣) حدثني محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى الشهيد، حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة، عن قطن بن وهب، عن عبيد بن عمير عن أبي ذر.. وعبيد: وعمير ولد على عهد النبي، وذكر البخاري أنه رأى النبي عليه السلام وقد أجمع على توثيقه، التهذيب ٧-٧١ وجامع التحصيل ٢٨٥ وتلميذه صدوق أظن الحافظ قد أخطأ بجعله من السادسة، والأولى أن يكون من الخامسة أو الرابعة لأن ابن عمر توفي قبل عبيد.. وعبد الأعلى ثقة فقيه، التقريب ٣٣١ وحاتم حسن الحديث قال الحافظ: صحيح الكتاب صدوق يهم وهو من رجال الشيخين، والحجبي ثقة من رجال البخاري ويحيى هو الذهلي الثقة الحافظ، وتلميذه ثقة حافظ قال ابن الجوزي: كان له فهم وحفظ وكان من الثقات لا يأكل إلا من كسب يده. وقال عنه ابن يعقوب: صحبت محمد بن صالح ما رأيته أتى شيئاً لا يرضاه الله ولا سمعت منه شيئاً يسأل عنه (المنتظم - ٢٧٠/٦) وقد رواه البيهقي ٣-٢٨٤ من طريق الحاكم ٣-٢٤ بسند صحيح.

(٤) أكملت الآية للفائدة.

Twitter: @ketab_n

فـــي نزولها تكريم لهؤلاء الرجال الذين صدقوا مع الله في عهودهم، فمنهم من قضى نحبه، ووفى بعهده كمصعب وحمزة، وهناك من قضى نحبه وهو لا يزال حياً مثل طلحة ابن عبيد الله، الذي شلت يده، وارتقى ﷺ على ظهره ثم قال له: أوجب طلحة وأنجز عملاً أوجب له الجنّة.

وهنـــاك من ليس بين الأحياء ولا يتبين بين الأموات.. إنه أنس بن النضر عم أنس ابن مالك الذي يقول: (نرى هذه الآيات نزلت في أنس بن النضر: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾)[1].

لكن أين ابن النضر..؟

لا أحـــد يدري. كما أن المشـــركين لـــم يأخذوا معهم أســـرى، وإلاّ لقلنا إنه معهم. ســـنترك بعض الصحابة ليبحثوا عن أنس، بينما نتعقب هذه المرأة لنرى ما تفعل على أرض أُحُد.. إنها فاطمة بنت عمرو بن حرام أخت عبد الله بن عمرو بن حرام، وزوجة عمرو بـــن الجموح، وعمّة جابر بن عبد الله، وهي تحمـــل حزناً كالجبال، فقد فقدت أخاهـــا وزوجها، فأذهلها الوجد عمّا يجري حولهـــا، فاتّجهت إلى زوجها فحملته على بعير، واتجهت إلى أخيها فحملته أيضاً، وعادلتها على ذلك البعير، ثم أمسكت بخطام البعيـــر والهموم ومضت ثقيلة نحو المدينة.. مهمومة، لكنها متماســـكة بالإيمان بقضاء الله وقدره.

لقد مضـــى عبد الله، ومضى عمرو، وربما استشـــهد أبناؤها الأربعة أو بعضهم، فأي حزن تحمله هذه المرأة المسكينة..؟ وماذا ستقول لجابر وأخواته..؟

تابعت هذه المسكينة سيرها وحزنها وصبرها نحو المدينة، بينما كان جابر لا يزال مرابطاً مع النظارين على مشـــارف المدينة، فإذا به يشـــاهدها ويشاهد فجيعتها على ظهر البعير. فيقول رضي الله عنه: (فبينا أنا في النظارين، إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا، إذ لحق رجل ينادي: ألا إن النبـــي ﷺ يأمركم أن ترجعـــوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت، فرجعنا

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٧٨٣).

Twitter: @ketab_n

بهما)[1] إلى أُحد حيث كان ﷺ يشرف على تكفين الشهداء استعداداً لدفنهم.

عاد من حَمَل قتيله بقتيله من المدينة، وأعيد الشهداء إلى ساح الوغى، ووصل جابر وعمتّه، وربما بعض أخواته المسكينات، وترجّل الفارسان عن البعير، فانهمرت دموع جابر على وجه والده الحنون، وتعالى نشيجه وحرقته عليه، فرآه الصحابة، فنهوه عن ذلك فلم يبال حزنه بقولهم، ولم تتوقف دموعه لرجاءاتهم.

كان ذلك يحدث والنبي ﷺ شاخص إلى هذا الكرب.. كان عليه السلام متألماً ومبشراً بشيء أفرح جابر الحزين وخفف من وجعه.

يقول رضي الله عنه: (لما قتل أبي يوم أُحُد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي فاطمة تبكيه، فقال النبي ﷺ: تبكيه، أو لا تبكيه، مازالت الملائكة تظلّله بأجنحتها حتى رفعتموه)[2].

هذه هي البشرى الأولى، أما الثانية فهي في طريقها من السماء إلى هذا الراقد بسلام.. حيث كانت البشائر كالمطر على أجساد وأرواح الشهداء. ها هو النبي ﷺ يشاهد إحداها.. تحلّق فوق جثمان حنظلة بن أبي عامر، الذي انسلّ من فراش حبيبته ليسلّ سيفه وروحه دون رسول الله ﷺ، حتى فقدهما على أرض أُحد.. إنه منظر مهيب.. الملائكة تقوم بتغسيله، فيتساءل النبي ﷺ عن سرّ هذه الكرامة.؟ سمع الزبير ذلك التساؤل فقال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر، بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث «فلما استعلى حنظلة رآه شداد بن شعوب، فعلاه بالسيف حتى قتله، وقد كاد يقتل أبا سفيان».

فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم تغسله الملائكة، «فاسألوا صاحبته». فسألوا

---

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٣-٢٩٧ ورواه غيره مختصراً من طرق عن: الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر. الأسود تابعي ثقة من رجال الشيخين، وشيخه ثقة وقد أخطأ الحافظ رحمه الله في التقريب بقوله: (مقبول) فهو ثقة وإن لم يعرفه ابن المديني رحمه الله فقد عرفة أبو زرعة والعجلي فقالا: ثقة. وصحح حديثه ابن خزيمة، والترمذي، وابن حبان، والحاكم الجرح والتعديل ٨-٥٠٨ والتهذيب ١٠-٤١٧.
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٤٤).

Twitter: @ketab_n

صاحبتــه فقالت: إنه خرج لما ســمع الهائعة وهو جنب، فقال رســول الله ﷺ: لذلك غسلته الملائكة)[1]، ومنذ ذلك اليوم صاروا يسمونه «غسيل الملائكة».

عُرف الشهداء كلّهم إلاّ واحداً.. الجميع يبحث عنه، والجميع يتحدّث عن بسالته، فأين هو..؟ أين أنس بن النضر..؟ أين عمّك يا أنس بن مالك..؟ إنه ليس بين الأحياء، ولم يتعرف إليه أحد بين الشــهداء، وتأتي إجابة أنــس ممزوجة بالحزن والإعجاب.. بالوفاء والبطولة النادرة.

لــم يتعرف أحد علــى جثته حتى قدمت أختــه (الربيع بنت النضــر) كالوله من المدينة.. قدمت لهفة عليه.. طاف بها الحزن بين أجســاد الشهداء العطرة، وبين قتلى المشــركين، فلم ترَ وجه أخيها أنس، وبينما هي تطوف توقفت طويلا أمام جســد أثار انتباهها، ثم جلســت وأخذت إحدى يديه تقلّبها ثم بكــت.. هذه أنامل أخيها وحبيبها ورفيق طفولتها أنس.

يتحدث أنس بن مالك عن عمّه فيقول: (قاتلهم حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانــون من بين ضربــةٍ، وطعنة، ورمية، فقالت أخته عمتــي الربيع بنت النضر: فما عرفــتُ أخي إلاّ ببنانــه، ونزلت هذه الآيــة: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾، فكانــوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه)[2].

وهكذا مضى أنس بن النضر بعد أن برّ بيمينه، وتلقّى الســيوف والرماح والسهام بكل جســده، حتى تزيّن كله بها.. كان جســد أنس لوحة رائعــة.. أرضاً ثانية للمعركة حتى أن وجهه لم يعرف من الجروح والشقوق، وتشويه المشركين له، فنزلت هذه الآيات العظيمة فيه وفي رفاقه، فقرأها ﷺ وبشّرهم وبشّر من بعدهم.

---

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه السراج (الإصابة - ١٣-٢٩٩) ومن طريقهما الحاكم ٣-٢٠٤: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده.. وهذا السند مر معنا كثيراً وهو صحيح.. فيحيى ووالده تابعيان ثقتان.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨٠٥) ومسلم (١٩٠٣) واللفظ له.

Twitter: @ketab_n

فرسول الله ﷺ (مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه، ودعا له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.

ثم قال رسول الله ﷺ: أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزوروهم، والذي نفسي بيده لا يسلّم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة إلاّ ردوا عليه)[1].

وقف ﷺ أمام هؤلاء الأبرار وبشّرهم.. هؤلاء العظماء الذين سافروا إلى جناتهم التي لا تعرف مللاً ولا شقاءً ولا رتابة.. جناتهم التي علت كل طموح وفاقت كل تصوّر، سافروا إلى مدنهم ومنتجعاتهم وأنهارهم وقصورهم ومراكبهم الفارهة، أمّا رسول الله ﷺ فمشغول بهم.. حزين عليهم، وسيبدأ بعد قليل بدفنهم، لكنه يشاهد امرأة مذهولة تركض كالفجيعة نحو الشهداء.. يحملها الحزن والوجد، وتحمل في يديها شيئاً. أشفق ﷺ عليها، وخاف على عقلها ومشاعرها، فأمر الصحابة أن يحولوا بينها وبين فضائع التشويه التي فعلها الوثنيون الهمج بأجساد الشهداء.

يقول الزبير رضي الله عنه: (إنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى، حتى كادت أن تشرف على القتلى، فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال: المرأة.. المرأة.

قال الزبير: فتوسمت أنها صفية، فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، فلدمت في صدري -وكانت امرأة جلدة- قالت: إليك عني لا أرض لك. فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك.

فوقفت، وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مقتله، فكفنوه فيهما.

---

(١) سنده صحيح رواه الحاكم (٢٤/٣) ومن طريقه البيهقي (٢٨٤/٣): أخبرنا أبو الحسين: عبيد الله بن محمد القطيعي ببغداد من أصل كتابه، حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، حدثنا سليمان بن بلال، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة، عن قطن بن وهب، عن عبيد بن عمير، عن أبي هريرة. عبيد مجمع على ثقته، ولد على عهد النبي، وتلميذه صدوق التقريب ٤٥٦ وعبد الأعلى: ثقة فقيه (السابق - ٤٦٤) وسليمان التيمي ثقة من رجال الشيخين (السابق ٣٣١ والأويسي ثقة أيضاً السابق ٣٥٧ وتلميذه ثقة حافظ التهذيب ٩-٦٢.

Twitter: @ketab_n

قال الزبيـــر: فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة، فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيـــل، فعـــل به كما فعل بحمـــزة، فوجدنا غضاضة وخنى أن يكفـــن حمزة في ثوبين، والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب، وللأنصاري ثوب، فقدرناهما، فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفنّا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له)[1].

وحصل حمزة على كفن بعد أن كان ثوبه هو كفنه، واقتسم المهاجرون والأنصار الأشجان والأكفـــان، وفي مكان غير بعيد يتلألأ أمير الاقتســـام والكرام (ســـعد بن الربيع) مضرجاً بدمائـــه.. ينظر إليه عبـــد الرحمن بن عوف مودعاً أخاً لم تلده أمـــه، ومحتفظاً بجميله.. محتفظـــاً بجماله الأنصاري في ذلك اليوم الذي قـــدم فيه عبد الرحمن بن عوف من مكة معدماً لا يملك شيئاً.. في ذلك اليوم أشرق سعد بن الربيع بدراً في ليل ابن عوف وأحزانه، حين قدم المهاجرون من مكة و(لما قدموا المدينة آخى رســـول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وســـعد بن الربيع فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقســـم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمّها لي أطلقها فإذا انقضت عدّتها فتزوّجها)[2].

ها هو الكريم راقد رقدة الموت وقد ترك خلفه زوجة واحدة وابنتين[3] يبكينه بحرقة، وها هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أمام جسد والده الطاهر يبكي، وفي مكان آخر يذرف هشام بن عامر بن أمية الأنصاري.. يذرف دموعاً على والده الحبيب.

كانت الساحة تغصّ بالأحزان والدموع.. كثر البكاء، (وكثر القتلى، وقلّت الثياب)[4].

يقول هشام بن عامر رضي الله عنه: (شكي إلى رسول الله ﷺ شدّة الجراح يوم أُحد، فقال ﷺ: احفروا، وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا في القبر الاثنين والثلاثة، وقدموا

---

(١) سنده قوي رواه أحمد ١-١٦٥ والبزار ٣-١٩٥ والحارث زوائد ٢-٧٠١ وأبو يعلى ٢-٤٥ من طريق سليمان بن داود الهاشمي أخبرني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عروة أخبرني أبي (الزبير) علته هو عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو صدوق لكنه تغير عند قدومه بغداد وكون ســـليمان بغدادي يعكر صفوه (لكن الناقد علي بن المديني يقول: ما روى ســـليمان الهاشـــمي عنه فهي حســـان، نظرت فيها فإذا هي مقاربة وجعل علي يستحســـنها علل الترمذي ٢-٦٠٦. كما أنه لم ينفرد فقد تابعه في ســـنن ٣-٤٠١ يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وهو ثقة متقن والراوي عنه ثقة إلا إذا روى عن علي بن مسهر، وهذه ليست منها وقد وثقه أبو حاتم وابن قانع ومدحه ابن معين التهذيب ١-١٦٩.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٧٨٠).

(٣) سيمر معنا الدليل لاحقاً.

(٤) سنده حسن وقد مر معنا وهو حديث أنس السابق وقد حسنه الشيخ ناصر حفظه الله.

Twitter: @ketab_n

أكثرهم قرآنـاً، فقدموا أبي بين يدي رجلين)[1] (وكان يكفـن الرجل أو يكفن الرجلين والثلاثة في الثوب الواحد، وكان رسـول الله ﷺ يسأل عن أكثرهم قرآناً، فيقدمه إلى القبلة، فدفنهم رسول الله ﷺ)[2] دون أن يغسلهم.. دفنهم بجراحهم الطاهرة، ودمائهم العبقة (أمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا)[3].

وقال ﷺ: (أنا شهيد على هؤلاء، لفّوهم في دمائهم فإنه ليس جريح يجرح في الله إلاّ جاء وجرحه يوم القيامة يدمي، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك)[4].

هذا ما جرى حول الدفن والكفن، لكن ماذا عن:

الصلاة على الشهداء

هل صلّى النبي ﷺ على شهداء أُحد، أم أنه لم يفعل كما حدث لشهداء بدر رضي الله عنهم جميعاً؟

يحدّثنـا عن ذلك أحد الذين لـم يحضروا المعركة، لكنه حضـر إلى أرضها بعد انتهائهـا، وشـاهد عمليات التكفين والدفن.. يحدثنا ذلك الشـاب الذي كانت دموعه تتسـاقط كالمطر على وجه أبيه – الشـهيد، إنه جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما، وهو يقول: (لما قتل أبي يوم أُحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمّتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: تبكيه أو لا تبكيه مازالـت الملائكة تظلّله بأجنحتها حتى رفعتموه)[5]، ثم (إن رسـول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد في ثوب واحد، ثم يقول: أيّهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحد قدّمه في اللحد، وقال ﷺ: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة.

---

(١) سـنده صحيح رواه أحمد ٤-١٩ وأصحاب السـنن وغيرهم من طرق عن حميد بن هلال عن هشـام بن عامر. حميد تابعي ثقة سمع الحديث من التابعي الثقة: سعد بن هشام ومن أبي الدهماء وهو ثقة أيضاً واللفظ لابن شيبة ٣-٣٧٢ وانظر الجنائز للإمام الألباني ١٤٢.

(٢) هو الحديث قبل السابق.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (١٣٤٣).

(٤) حديث حسن مر معنا من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك وله شواهد قوية.

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٤٤).

Twitter: @ketab_n

وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصلّ عليهم ولم يغسلهم)[1].

هكذا أمر الله سبحانه وهكذا فعل ﷺ وامتثل، فسينهض هؤلاء الفرسان يوماً من مراقدهم مزينين بالشهادة والطعنات، ولون الدم ورائحة العطر تفوح من جراحهم، وتعطر المكان من حولهم. كان الجو مشحوناً بالحزن، فليس هناك أقسى، ولا أكثر دموعاً وانتحاباً من لحظات الدفن، ومغادرة القبر بعد وضع الأحباب تحت التراب.. لحظات كان فيها جابر حزناً ودموعاً، لكن الله أنزل ما يخفف حزنه.

التفت ﷺ إلى جابر المجروح وقال له: (يا جابر، ما لي أراك منكسراً؟ قال: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيالاً ديناً.

قال ﷺ: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: [ما كلم الله أحداً قطّ إلاّ من رواء حجاب، وكلّم أباك كفاحاً]، «يا جابر أما علمت أن الله أحيا أباك» فقال: يا عبدي، تمنّ علي أعطك. قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية.

فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون [قال: يا رب، فأبلغ من ورائي، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (١٣٤٧). ملاحظة:
ورد أنه ﷺ صلى على حمزة وحده، وورد أنه صلى على حمزة وعلى بقية الشهداء كمجموعات معه رضي الله عنهم، والذي جعلني لا أذكر هذا في المتن هو إشكال في أسانيد ومتون تلك الروايات وهذا الإشكال يتلخص في النقاط التالية:

١- حديث ابن إسحاق عن ابن الزبير وهو جيد الإسناد وابن إسحاق قوي الحديث إذا لم يخالف من هو أوثق منه وقد خالف هنا وابن الزبير كان عمره عامان.

٢- حديث أنس بن مالك اضطرب فيه أسامة الليثي -وهو صدوق يهم- فمرة قال: لم يصل عليهم، ومرة قال: لم يصل على أحد من الشهداء غير حمزة.. والصواب القول الأول ثم وجدت ما يؤيد قولي هذا: وهو نقد للإمام البخاري رحمه الله حيث قال إن القول الثاني غير محفوظ غلط فيه أسامة فالحمد لله.

٣- حديث ابن عباس جيد السند لكنه مخالف لحديث أنس ولحديث جابر أيضاً لأنه ذكر أنه صلى على جميع الشهداء.

٤- إن مما يرجح حديث جابر هو حضوره ومشاهدته للأحداث في الوقت الذي كان فيه ابن الزبير يبلغ الثانية من عمره.. بينما كان ابن عباس في الثانية أيضا ومع والده في مكة. ولتفصيل أكثر راجع صحيح موسوعة السيرة.

Twitter: @ketab_n

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾])[1] ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

فرح جابر بهذه البشـــرى، فرح بحفاوة الرب الكريم بأبيه، فخفّفت البشرى كثيراً من أحزانه، لكن:

ما سر حفاوة الله بوالد جابر؟

ما ســـرّ هذا الشـــيخ المحلّق في النعيم.. إنه لم يقاتل كما قاتل حمزة، ولم تمزقه الطعنات كما مزقت أنس بن النضر.. لقد شرب الخمر، ثم انصرف إلى المعركة، فكان أول من سقط من الشهداء، ومع ذلك يلقى كل هذا الفيض الغامر من النعيم..؟!

ليـــس هكذا يُنْظَر إلى والد جابر رضي الله عنه.. دعونا نتأمل عالم هذا الشـــيخ من كل زواياه.. دعونا نجعل أنفسنا مكانه.

إن هذا الشـــيخ الكبيـــر لم يحارب عن اثنين كما فعل ســـعد في بدر، ولم يحارب بسيفين كحمزة، لكنه كان يحارب في معركتين شرستين.. أحدهما على أرض أُحُد، أمّا الثانية فكانت ســـاحتها داخل أعماقه وبين حناياه، وهي معركة أشـــد ضراوة وقسوة.. إنها معركة مع الذات.. مع الدنيا، ومع عواطف الأبوة الجياشة التي تتغلغل في أعماقها تســـع بنات مســـكينات، والدنيا.. كل الدنيا تعلم أن الشيخ أكثر حناناً وعطفاً على بنيه منه وهو شاب، والدنيا.. كل الدنيا تعرف للبنات رحمة لا تعادل في قلوب الآباء، فكيف إذا كنّ تســـع بنات يترصّـــد لهن اليتم والفقر؟! إن عبد الله بـــن عمرو بن حرام ينتزع

---

(١) حســـنه الإمام الألباني في ابن ماجه ١٩٠ ويبدو لي أن الحديث ليس حســـناً كله، لذلك وضعت المعقوفين حول الألفاظ التي لم أجد لها شـــاهداً، فقد تفرد بها حســـب علمي موسى بن إبراهيم ابن كثير وهو وإن روى عنـــه جمع من الثقات إلا أنه لـــم يوثق، بل جرحه ابن حبان في ثقاته وقال: كان ممن يخطئ ٧-٤٤٩ ولعـــل هذه الزيادة من أوهامه، قال الحافظ: صدوق يخطئ وســـكت عنه ابـــن أبي حاتم ٨-١٣٣. ولبقية الحديث شـــاهد حسن عند أحمد ٣-٣٦٠ عن جابر والزيادة له. حدثني ابن المديني عن سفيان بن عيينة عـــن محمـــد بن علي بن ربيعة عن ابن عقيل عن جابر، ومحمد بن علي ثقة (ذيل الكاشـــف - ٢٥٤) وابن عقيل حسن الحديث.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١٦٩ - ١٧١.

Twitter: @ketab_n

نفســه من بين بناته.. من بين أبوّته وأحزانه، ليتّجه بها نحو الجنّة.. نحو الله.. فحب الله متشعب في كل خلاياه ومشاعره، وهو بحاجة إلى الله أكثر من حاجة بناته إليه.. هكذا نتأمل هذا الشيخ، وبهذه الطريقة نتحسّس بعض سرّه وسر حفاوة الله به.

والد جابر ورفاقه الآن أحياء عند ربّهم يرزقون، فقد قال خالقهم سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1].

ســأل الصحابة رســول الله ﷺ عن معنى هذه الآية.. عن تلك الحياة الفسيحة التي ينعم بها الشــهداء، وعن ذلك الكرم الإلهي المدهش، فقال عبد الله بن مســعود رضي الله عنه ســألنا عن ذلك فقال ﷺ: (أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلّقة بالعرش، تســرح من الجنّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطّلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنّة حيث شئنا؟

ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهــم حاجة تركــوا)[2]، وقال أحد الصحابة رضي الله عنهم: (قال رســول الله ﷺ: لما أصيــب إخوانكم بأُحُد، جعل الله أرواحهم في أجواف طيــر خضر، ترد أنهار الجنّة، وتــأكل مــن ثمارها، وتأوي إلــى قناديل من ذهب في ظل العــرش. فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحســن منقلبهم، قالوا: ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب.

فقــال الله عزّ وجلّ: أنا أبلّغهم عنكم، فأنــزل الله عزّ وجلّ هؤلاء الآيات: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ومــا بعدهــا)[3]..

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٣-١٥٠٢ باب: بيان أرواح الشهداء في الجنة.

(٣) سنده صحيح بما قبله: رواه ابن إسحاق ومن طريقه أحمد ١-٢٦٥ و٢٦٦ وغيره: حدثنا إسماعيل بن أبي أمية عن أبي الزبير عن ابن عباس لولا عنعنة أبي الزبير، وقد دلس اسم شيخه الذي صرح به في رواية ابن إســحاق عند أبي داود ٢٥٢٠ والحاكم ٢-٨٨ وهو الإمام المجاهد ســعيد ابن جبير. وللحديث شاهد سنده حسن عند ابن جرير ٣-٥١٣.

Twitter: @ketab_n

زخّات من النعيم أمطرتها تلك الكلمات على قلوب أصحاب النبي ﷺ، فحفرت فيها الأخاديد والشقوق.. حسرة على ما فاتهم في هذا اليوم من لذّة الحديث إلى أحبّ حبيب.. لذّة الاستماع إلى الله.

إن الإنسان ليعرف من حال العاشق حالةً من الذهول عن كل ما يحيط به عند لقاء المحبوب، فليت شعري من يصف مشاعر من يتحدث إلى أحب حبيب وأعظم محبوب..؟

تمنى فرسان أُحد الأحياء وهم يغادرون تلك المقابر الطيبة.. تمنوا لو كانوا فيها بين أولئك المسافرين في النعيم، وتمنى ﷺ لو كان مجندلاً على أرض أُحد لينعم بلقاء اليوم..

تحدث ﷺ بذلك وباح به لأصحابه، فازداد شوقهم وحنينهم إلى الله وإلى الجنّة بكلمات هذا الحبيب الذي يبوح بمشاعره ويقول: (أما والله لوددت أني غودرت مع أصحابي بحضن الجبل، يعني سفح الجبل)[1]، ويقول جابر رضي الله عنه أنه قصد: ليتني (قتلت معهم)[2].

تلك هي مشاعر النبي ﷺ ومشاعر من حوله من المؤمنين، لكن ماذا عن مشاعر جيش المشركين الذي يرجع الآن إلى مكة..؟ إنهم الآن في أرض تسمّى: (الروحاء) وأبو سفيان يتحدّث إليهم.

أبو سفيان وجيشه نادمون

ليس على قتالهم للمؤمنين، بل على أشياء فاتتهم في المعركة.. أشياء عجزوا عن تحقيقها فـ (لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أُحد وبلغوا الروحاء، قالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، شرّ ما صنعتم)[3]. ماذا تعني هذه الكلمات وهي

---

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه: أحمد ٣-٣٧٥ وغيره حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه. عاصم ثقة وعبد الرحمن تابعي ثقة.

(٢) هو الحديث السابق.

(٣) سنده صحيح رواه الطبراني ١١-٢٤٧: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن منصور الجواز، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس وهذا السند صحيح، عكرمة وعمرو وسفيان أئمة ثقات ومحمد بن منصور ثقة من رجال التقريب ٥٠٨ وشيخ الطبراني ثقة مأمون انظر: البلغة (٢٢٨).

Twitter: @ketab_n

تتحسّر على بقاء محمد ﷺ في سجلات الأحياء، وتتحسّر على عدم التمكن من سبي فتيات المسلمين..؟ ربما كانت تعني أن هناك نية للعودة إلى أرض المعركة من جديد، ومحاولة أخرى للإجهاز على ما تبقى من المؤمنين وهم يدفنون شهداءهم، وربما كانت مجرد زفرات وأماني. لكن كل ذلك لم يكن خارج نطاق تفكير النبي ﷺ العسكري.. كان ﷺ يقرأ أفكار القوم، ويتصفح أحلامهم، لذلك قرّر أن يقوم بحركة عسكرية لتغطية أسوأ الاحتمالات.

تحدّثنا عن ذلك فتاة شاركت في المعركة.. عائشة رضي الله عنها تتحدّث إلى أحد أبناء أختها - أحد أبناء الزبير بن العوام وتخبره عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾..

فتقول: (يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحُد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا. قال ﷺ: من يذهب في إثرهم؟ فانتدب سبعون رجلاً - كان فيهم أبو بكر والزبير)[1].

وامتثل أبو بكر والزبير وامتثل معهم ثمان وستون فارساً.. نهضوا تحملهم جراحهم، وتحملهم تلك الأحاديث المعطرة عن أولئك الشهداء الذين سبقوهم قبل قليل.. نهض سبعون محارباً نحو باب من أبواب الجنّة مازال مشرعا في الأفق، لكن يبدو أنهم ظفروا ببعض المعلومات الخطيرة عن أبي سفيان وجيشه، وتوصّلوا إلى معرفة ما جرى من حوار دار بين المشركين حول التحسّر على عدم قتل محمد ﷺ وسبي المؤمنات، فعادوا ليخبروا النبي ﷺ حتى يتّخذ إجراءً مناسباً.. إنه الآن يأمر الجيش كلّه بالنهوض والتحرك نحو جيش الوثنين، وبسرعة. فكانت غزوة على هامش أُحد، وسميت فيما بعد بـ:

غزوة حمراء الأسد

فعندما (انصرف أبو سفيان والمشركون عن أُحد، وبلغوا الروحاء قالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، شرّ ما صنعتم.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٧).

Twitter: @ketab_n

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فندب الناس، فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد، أو بئر أبي عيينة، فأنزل الله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] من بعد ما أصابهم ما أصابهم من فقد الأحباب والأصحاب، لكن قريشاً لاذت بالفرار خشية أن يصيبها ما أصابها في أوّل المعركة، أو يحدث لها ما حدث في غزوة بدر، فجيش محمد ﷺ كالأسود الجريحة.. الرماة يريدون التكفير عن معصيتهم لأوامر قائدهم ﷺ، وبقية الصحابة يريدون اللحاق بحمزة وعبد الله بن حرام وأصحابهم، لعل الله أن يخاطبهم هذا المساء، لكن قريشاً لاذت بالفرار، فمكث ﷺ وأصحابه رضي الله عنه بعض الوقت، ثم عادوا مثقلين إلى المدينة الحزينة.. المشتاقة إلى نبيّها وفرسانها.

سأستأذنكم قليلاً لأسبق رسول الله ﷺ وصحابته، لا إلى المدينة، بل سأعود إلى أرض أُحد، فقد خيّم اللّيل على جبالها وشعابها، وهناك حركة غريبة تحدث بين تلك الشعاب.. هناك شبح ينهض ثقيلا من بين الأموات.

شبح على أرض أُحُد

دعونا نقترب منه فهو يقف على قدميه.. يترنّح من الألم والبرد يزيد من آلامه.. هـا هو.. إنه ليس من الجنّ.. إنه أحد أفراد جيش أبي سفيان، وقد كان طوال اليوم يتظاهر بالموت والدم ينزف منه.

يقول أنس بن مالك: (كان وهب بن عمير شهد أُحداً كافراً، فأصابته جراحة، فكان في القتلى، فمرّ به رجل من الأنصار، فعرفه فوضع سيفه في بطنه حتى خرج من ظهره، ثم تركه، فلما دخل الليل وأصابه البرد لحق بمكة، فبرأ، فاجتمع هو وصفوان بن أمية في الحجر، فقال وهب: لولا عيالي ودين عليّ لأحببت أن أكون أنا الذي أقتل محمداً؟ فقال له صفوان: كيف تصنع؟

فقال: أنا رجل جواد لا ألحق، آتيه فأغترّه، ثم أضربه بالسيف، فألحق بالخيل ولا يلحقني أحد.

---

(١) سنده صحيح وهو جزء من حديث الطبراني قبل السابق.

Twitter: @ketab_n

فقال له صفوان: فعيالك مع عيالي، ودينك علي)[1].

لن أكمل هذا الحوار.. سأترك الرجلين وما يكيدان لألحق بحبيبي ﷺ.. ها هو يسير نحو المدينة الحزينة.. دون حمزة.. دون مصعب.. دون سبعين من الشهداء الأبرار، والبيوت تضجّ بالحزن والنواح.. يدخل ﷺ المدينة، ويمشي بين جدرانها الحزينة وأبياتها المفجوعة، فيحاصره النواح والبكاء في كل الطرقات والدروب.

لم يتوقف النواح في المدينة، ولم تتوقف الدموع ولا الأحزان.. إنها تتقاطر من قلوب المؤمنين، كما يتقاطر سيف هذا المحارب المخيف، الذي يسلم لحبيبته سيفاً أحمر يتقاطر موتاً.. سيفاً حنته المعركة لكنها لم تَحْنِ حامله..

إنه عليّ بن أبي طالب، وهو الآن برفقة رسول الله ﷺ، ولا أعلم هل هما في بيت النبي ﷺ، أم في بيت فاطمة..؟

يبدو أنهما في بيت فاطمة رضي الله عنها، فقد (جاء علي رضي الله عنه بسيفه يوم أُحد قد انحنى، فقال لفاطمة رضي الله عنها: هاكي السيف حميداً، فإنها قد شفتني.

فقال رسول الله ﷺ: لئن كنت أجدت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت الأقلح، والحارث بن الصمة)[2].

---

(١) سنده قوي رواه الطبراني (٦٢/١٧) وابن منده - ذكره في الإصابة.. وسند الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير التستري، حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، حدثنا عبد الرواق، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران الجوني - لا أعلمه إلا عن أنس بن مالك: ... وقد توبع ابن عسكر عند ابن منده تابعه أبو الأزهر.. وأبو الأزهر حسن الحديث إذا لم يخالف، ومحمد بن سهل ثقة، انظر التقريب ٤٨٢ وعبد الرزاق معروف، وجعفر بن سليمان صدوق من رجال مسلم - التقريب ١٤٠ وأبو عمران الجوني اسمه: عبد الملك بن حبيب الأزدي تابعي ثقة من رجال الشيخين، تقريب التهذيب ٣٦٢. وابن منده من شيوخ الطبراني.

(٢) سنده صحيح رواه الحاكم ٣-٢٤ واللفظ له والطبراني ٧-١٢٢ ١١-٢٥١ وسند الحاكم هو حدثنا محمد ابن عبد الله الصفار، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد الثقفي حدثنا منجاب بن الحارث التميمي قال: وزعم سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس. سفيان وعمرو وعكرمة أئمة ثقات ومنجاب ثقة التقريب ٥٤٥ فقول الحاكم رحمه الله إن الحديث على شرط البخاري فيه نظر، بل العكس فمنجاب من رجال مسلم فقط فالحديث على شرط مسلم، وأبو الحسن ثقة انظر: تاريخ بغداد ١٢-٦٣ وشيخ الحاكم عالم ثقة قال عنه تلميذه الحاكم: أنه محدث عصره، سير أعلام النبلاء ١٥-٤٣٧ وقد توبع الثقفي عند الطبراني وفيه تصريح بسماع سفيان من عمرو.

Twitter: @ketab_n

توجّه ﷺ إلى بيته خلال النواح والبكاء.. إنه يستمع إلى النائحات والوجد يحرق أكبادهن، فيتذكر عمّه حمزة رضي الله عنه، فتعاوده الأحزان من جديد، فيستجيب لها بكلمات تفيض وجداً ووفاءً لذلك الفقيد الحميم، فقد (مرّ ﷺ بنساء عبد الأشهل)[1] عندما (رجع رسول الله ﷺ يوم أُحد، فسمع نساء بني الأشهل يبكين على هلكاهنّ، فقال: لكن حمزة لا بواكي له!

فجئن نساء الأنصار فبكين على حمزة عنده، ورقد ﷺ، فاستيقظ وهن يبكين، فقال: ويلهنّ، إنهن لهاهنا حتى الآن)[2] (ويحهن ما انقلبن بعد)[3] ولا انصرفن إلى بيوتهن حتى الآن..؟

إنها بعض عادات الجاهلية التي لازال التمسك بها مباحاً حتى الآن، لكنها عادة لا تعبّر عن الحزن العميق فقط.. إنها تتجاوز الحزن إلى شيء خطير جداً.. شيء جاء الإسلام ليمحوه من أعماق كل مؤمن ومؤمنة، وهذا الشيء هو الجزع من أقدار الله، والاحتجاج على قضائه، وهو ما قد يؤدي إلى هدم أحد أركان الإيمان الستّة التي جاء بها الإسلام.. أي الركن السادس، فأركان الإيمان هي:

١) الإيمان بالله.

٢) وملائكته.

٣) وكتبه.

٤) ورسله صلّى الله وسلم عليهم جميعاً.

٥) والإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور.

٦) الإيمان بقضاء الله وقدره.

ولهذا نزل الأمر من الله بـ:

---

(١) سنده حسن رواه ابن ماجه ١-٥٠٧ والحاكم ٣-١٩٥. عن ابن وهب وعبيد الله ابن موسى أخبرنا أسامة ابن زيد عن نافع عن ابن عمر. أسامة حسن الحديث التقريب ٩٨ وصحح الحديث الإمام الألباني في صحيح ابن ماجه ١-٢٦٥ وبقية السند كالذهب.

(٢) هو الحديث السابق.

(٣) هو الحديث السابق.

Twitter: @ketab_n

تحريم النياحة على الميت

يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: (رجع رسول الله ﷺ يوم أُحد فسمع نساء بني الأشهل يبكين على هلكاهن، فقال: لكن حمزة لا بواكي له.

فجئن نساء الأنصار فبكين على حمزة عنده، ورقد ﷺ فاستيقظ وهنّ يبكين، فقال: ويلهن إنهن لهاهنا حتى الآن؟! مروهن فليرجعن، ولا يبكين على هالك بعد اليوم)[1].

ولم يقف الأمر عند النهي الخفيف فقط، فبعد فترة من الزمن نزل الوحي يشدّد تحريم النياحة على الميت، وهو بذلك يتغلغل داخل أعماق المؤمنين والمؤمنات.. يتتبّع آثار الجاهلية، يمحوها ويغرس مزيداً من الإيمان مكانها.

يقول ﷺ: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب)[2]، وسربال القطران يعني ثوباً والقطران دهان يدهن به البعير الأجرب..

النياحة من أمر الجاهلية، وهي ليست -أبداً- مقياساً لمدى الشعور بالحزن وفقدان الحبيب.. إنها نوع من التطرّف والغلوّ في إظهار المشاعر، ولذلك نزل الوحي مرّة أخرى مذكراً، وواصفاً تلك الممارسات بشيء خطير جداً يؤثر على عقيدة المسلم، فقد قال ﷺ: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)[3] لأن في الأمرين احتجاج على الله.

توقف النواح، ولم تتوقف الدموع، وكذلك الحياة لم تتوقف، ففي المدينة كانت الرسالة هي الحياة، وعلى الأحياء أن يؤدّوها كما أدّاها أولئك الشهداء.

---

(١) سنده حسن ورواه ابن ماجه (الصحيح ٢٦٥/١) والحاكم (١٩٥/٣) ابن وهب وعبيد الله بن موسى أخبرنا أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر وأسامة بن زيد حسن الحديث إذا لم يخالف (التقريب ٩٨) وصحح الحديث الإمام الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٥/١) وبقية السند كالذهب.

(٢) صحيح مسلم ٢- ٦٤٤.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم ١-٨٢.

Twitter: @ketab_n

وتمـرّ الأيام ويتبقى لأُحدٍ وشـهدائها ذكريـات، وعطر يفوح في أجـواء المدينة وأحاديث أهلها، وتمرّ الأيام فيولد لأحد الأنصار غلام، فيحتار في تسميته، فتتجه به الحيرة إلى أحب الناس إليه.. إلى رسـول الله ﷺ، فيبحر به ﷺ إلى أبهج الذكريات وأقساها.. يبحر به إلى

أحب الأسماء إلى رسول الله ﷺ

يقول جابر بن عبد الله: (ولد لرجل منّا غلام، فقالوا: ما نسمّيه؟ فقال النبي ﷺ: سـمّوه بأحب الأسـماء إليّ (حمزة))[1]، فحمزة مازال عالقاً في الذاكرة.. متجذراً في القلب النبوي الكريم، لكن الله سبحانه ينزل على نبيه ﷺ فيما بعد أحب الأسماء إليه، فيقولها ﷺ لمن حوله: (إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن)[2].

ولما رزق أحد الأنصار بغلام.. سـماه محمداً، فاحتجّ الأنصار على هذا الاسـم، وبخلوا به عليه إكراماً لرسـول الله ﷺ..؟ فكان جواب رسول الله ﷺ على ما حدث، ما نقله جابر بن عبد الله الأنصاري عندما قال: (ولد لرجل منّا غلام، فسماه محمداً، فقال له قومه: لا ندعك باسم رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: تسمّوا باسمي، ولا تكتنوا بكنيتي)[3].

إذاً فاسم محمد اسم محبّب إلى رسول الله ﷺ، ومحبب إلى الله سبحانه، ولذلك قال ﷺ لرجل: (من الأنصار ولد له غلام، فأراد أن يسمّيه محمداً، فأتى به النبي ﷺ، فقال: أحسنت الأنصار.

سمّوا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي)[4]، فما هي هذه الكنية التي نهاهم ﷺ عن التكنّي بها..؟

---

(١) سنده قوي رواه الحاكم ٣-٢١٦ حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، أنا عبد الله بن صالح البخاري، حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسـب، حدثنا سـفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن جابر. شيخ الحاكم واحـد عصره في الحفظ والإتقان والورع والمذاكره، والتصنيف التذكرة - ٩٠٢) وشـيخه ثقة ثبت انظر: المنتظم (١٤٥/٦) وسـفيان وعمرو بن دينار ثقتان ثبتان معروفان وعمرو سـمع من جابر، فيتبقى يعقوب وهو حسن الحديث فهو كما لخص الحافظ أقوال العلماء: صدوق ربما وهم فحديثه حسن ٦٠٧.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم - الأدب (٢١٣٢).

(٣) حديث صحيح رواه مسلم كتاب الأدب (٢١٣٣).

(٤) حديث صحيح رواه مسلم - كتاب الأدب (٢١٣٣) .

Twitter: @ketab_n

جابـــر بن عبد الله أيضـــاً.. يحدّثنا أيضاً فيقول: (ولد لرجل منّا غلام، فســـمّاه القاســـم، فقلنا: لا نكنيك أبا القاســـم ولا ننعمك عيناً. فأتى النبي ﷺ فذكر له فقال: اسم ابنك عبد الرحمن)[1].

وعندمـــا (نادى رجلٌ رجلاً بالبقيع: يا أبا القاســـم، فالتفت إليه رســـول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني لم أعنك، إنما دعوت فلاناً.

فقال رسول الله ﷺ: تسمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي)[2].

حدثنـــا جابر رضي الله عنه عن أشـــياء كثيرة حدثت بعد غـــزوة أُحد، فماذا عن جابر نفســـه..؟ ومـــاذا عن أخواته الصغيرات.. ماذا عن ديـــن والده الذي رحل وتركه أمانةً يثقل كاهله..؟

الدَّيْن لصاحبه همٌّ بالليل وذلّ في النهار، فإلى أي شيء تحولت أحوال جابر، الذي وجد نفســـه وحيداً.. مسؤولاً عن تسع بنات.. مسؤولاً عن دين ضخم لا يستطيع أداءه وهو شـــاب صغير لم يتعرض من قبل لمثل هذه المســـؤوليات..؟ إنه شاب صغير أعزب أفاق على أمانة كالجبال تحاصره.. فإلى أين يتجه و:

إلى أين تتجه الهموم بجابر

ليـــس هناك أرحب من رحمـــة الله لجابر، والنبي ﷺ مســـاحة من هذه الرحابة والرحمـــة فهو (رحمة مهداة)[3] من الله لهذه الأمة، ولكل فرد منها.. لم يكن بينه وبين أصحابه حواجز ولا حرس (كان ﷺ لا يدفع عنه الناس، ولا يضربوا عنه)[4].

جـــاءه رجل فشـــعر ذلك الرجل بخوف ورعدة من لقائـــه ﷺ، فقال له النبي ﷺ: (هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد)[5].. القديد،

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم - كتاب الأدب (٢١٣٣).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم - كتاب الأدب (٢١٣١).

(٣) حديـــث صحيـــح صحيح الجامع. وقد رواه بســـند جيد كل مـــن الحاكـــم (٩١/١) الطبراني في الصغير (١٦٨/١).

(٤) حديث صحيح صحيح الجامع (٨٧٦/٢).

(٥) حديث صحيح صحيح الجامع (١١٨٥/٢).

Twitter: @ketab_n

ذلك اللحم المملح المجفّف في الهواء والشمس. إذاً فلا داعي للخوف، ولا للرعدة والانتفاض، وعلى عكس هذا الرجل.. كان هناك من الناس من يملك جرأة أكثر مما هو مطلوب مع هذا النبي المتواضع عليه السّلام، فقد (كان لرجل على النبي ﷺ سن من الإبل فجاء يتقاضاه)[1] (فأغلظ[2]، فهمَّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً. ثم قال ﷺ: أعطوه سناً مثل سنه)[3] (فطلبوا سِنَّهُ فلم يجدوا إلا سناً فوقها[4]، فقال: أعطوه.

فقال: أوفيتني أوفى الله بك. قال النبي ﷺ: إن خياركم أحسنكم قضاءً)[5] رضي الرجل وذهب مسروراً بما حصل عليه، وتعلّم الصحابة منه ﷺ حسن الوفاء، وحسن الأخلاق، لكن جابر بن عبد الله لا يملك ما يقضي به كل دينه، فاتّجه إلى الرحمة المهداة يسأله العون وتفريج هذا الكرب الشديد، فكان ﷺ له في المكان المطلوب والزمان المناسب، و

على باب رسول الله ﷺ كان جابر يتعلم أدباً

يقول جابر رضي الله عنه: (إن أبي قتل يوم أُحُد وترك تسع بنات كنّ لي تسع أخوات)[6] (وترك عليه ثلاثين وسقاً[7] لرجل من اليهود فاستنظره جابر فأبى أن ينظره)[8].

لم يكن هذا اليهودي الوحيد الذي له حق على جابر، فوالده ترك عليه ديناً غير هذا. حيث يقول (إن أبي ترك عليه ديناً، وليس عندي إلاّ ما يخرج نخلهُ، ولا يبلغ ما يُخرج سنين ما عليه)[9] من دين (فطلبت إلى أصحاب الدين أن يضعوا بعضاً؟ فأبَوْا)[10]

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٠٥) يعنى أن النبي استلف بعيراً.
(٢) تكلم مع النبي ﷺ بأسلوب غليظ.
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٠٦).
(٤) أي أكبر منها في السن وأغلى في الثمن.
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٠٥).
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٢).
(٧) الوسق يساوي ستين صاعاً.
(٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٩٦) أي لم يمهله ويؤجل سداده.
(٩) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٨٠).
(١٠) حديث صحيح رواه البخاري (٢٤٠٥).

Twitter: @ketab_n

ورفضوا التنازل عن أي شـــيء (فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه؟ فأبوا، ولـــم يروا أن فيه وفاءً، فأتيـــت النبي ﷺ)[1] (فدققت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا. فقال ﷺ: أنا! أنا!، كأنّه كرهها)[2] لأن كلمة: (أنا) ليســـت إجابة، ولا تعريفاً بالطارق، بل هي اســـتدعاء لمزيد من الاستفسار والتساؤل، ولو قال جابر: (أنا جابر) لما كره ﷺ ذلك، ولكان أفضل.

تعلّم جابر أدباً رفيعاً من نبيه ﷺ، ثم بثّ للنبي ﷺ شكواه وديونه، وتعنّت الدائنين، فوجده رحيماً معيناً على النوائب والشدائد.

قال جابر للنبي ﷺ: (قد علمت أن والدي قد استشـــهد يوم أُحُد وترك ديناً كثيراً، وإنـــي أحب أن يراك الغرماء)[3] (فانطلق معي لكي لا يفحـــش عليّ الغرماء)[4] ثم يقول: (فاستشـــفعت به عليهم فأبوا)[5] و(اســـتعنت النبي ﷺ على غرمائه أن يضعوا من دينه، فطلب النبي ﷺ إليهم فلم يفعلوا)[6] (فاشتد الغرماء في حقوقهم، فأتيت رسول الله ﷺ فكلّمته فســـألهم أن يقبلوا ثمر حائطي ويحللوا أبي..؟ فأبوا. فلم يعطهم رسول الله ﷺ، ولم يكسره لهم، ولكن قال: سأغدو عليك إن شاء الله تعالى.

فغدا علينا حين أصبح، فطاف في النخل، فدعا في ثمره بالبركة فجددته)[7] فقال ﷺ: (إذا جددتـــه فوضعته في المربد)[8] (فبيدر كل تمر علـــى ناحية)[9] (فصنّف تمرك أصنافاً: العجوة على حدة، وعذق ابن زيد على حدة، ثم أرسل إليّ. ففعلت، ثم أرسلت إلى النبي ﷺ فجاء)[10]، و

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٠٩).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٦٢٥٠).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٣).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٢٥٨٠).
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٢٤٠٥).
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٢١٢٧).
(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٢٦٠١).
(٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢١٢٧) والمربد هو مكان يجفف فيه الثمر.
(٩) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٨١).
(١٠) حديث صحيح رواه البخاري (٢١٢٧).

Twitter: @ketab_n

(ثم قال: ادع غرماءك)[1] (فلما نظروا إليه أغروا بي[2] تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه)[3] (ثم دعا)[4] (ثم قال: ادع أصحابك.

فمـا زال يكيل لهم حتى أدّى الله أمانة والدي، وأنا والله راض أن يؤدي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى أخوتي تمرة، فسـلّم والله البيادر كلّها، حتى أني أنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرة واحدة)[5] (فأوفاهم الذي لهم، وبقي مثل ما أعطاهم)[6] (فما تركت أحداً له على أبي دين إلاّ قضيته، وفضّل ثلاثة عشر وسقاً، وسـبعةً عجوة وسـتةً لون، أو ستةً عجوةً وسـبعةً لون، فوافيت رسول الله ﷺ المغرب فذكـرت له ذلك، فضحك، فقال: ائت أبـا بكر وعمر فأخبرهما. فقالا: لقد علمنا إذ صنع رسـول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك)[7] (ثم جئت رسول الله ﷺ وهو جالس فأخبرته بذلك، فقال رسـول الله ﷺ لعمر: اسمع -وهو جالس- يا عمر: فقال عمر: ألا يكون قد علمنا أنه رسول الله، والله إنك لرسول الله)[8].

وانصرف جابر إلى أخواته مبشّـراً بكرامة اللـه لوالدهن في حياته وبعد مماته، فقضاء الدين بهذه الطريقة لا يمكن إلاّ أن يكون إكراماً من الله لذاك الشيخ الراحل.. ذلك الشيخ الذي عانى الكثير.. الكثير من أجل لقاء الله، وهو إكرام لهذا الشاب الذي رضي بقضاء الله وقدره، وحمل وهو صغير أمانة ضخمة وثقيلة، وهل هناك أثقل من إعالة أسرة كبيرة كهذه! وهل هناك أثقل من دين يطالبك به يهودي..؟!

أجل هناك، وفي بيت سـعد بن الربيع الشهيد الكريم، الذي ناصف عبد الرحمن ابـن عوف ماله وأهله.. في بيت هذا الربيـع الممتد كالبصر حلّ الجفاف والفقر، لقد

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٠٩).
(٢) هيجوا بي.. أي أثاروا.
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٨١).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٨٠).
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٨١).
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٨٠).
(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٠٩).
(٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢٦٠١).

Twitter: @ketab_n

ذهب مال سعد بن الربيع وثروته مع الريح والجشع.. سعد بن الربيع رضي الله عنه لم يترك سوى زوجته وابنتيه وثروته، ولا أدري هل طلّق زوجته الثانية أم توفّيت..؟ لكن الذي أعرفه أن ماله قد ذهب، فـ:

من أخذ مال سعد بن الربيع؟

ها هي أم الفتاتين.. زوجة سعد بن الربيع، وبعد مرور أيام وشهور تخرج حزينة على زوجها وبناتها.. تتجه نحو النبي ﷺ تسأله حلاً.. تسأل الله فرجاً، فلا سعد ولا بناته يستحقون كل هذه المعاناة. تقف تلك الحزينة أمام الرحمة المهداة.. (جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد قتل أبوهما يوم أُحد «معك» شهيداً وإن عمّهما أخذ مالهما، فاستفاءه[1]، فلم يعد لهما مالاً، والله لا تنكحان إلاّ ولهما مال[2].

فقال رسول الله ﷺ: يقضي الله في ذلك.

فأنزل الله عليه آية الميراث)[3]، وهي ضمن قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾[4].

---

(١) أخذه غنيمة له مثل المال الذي يؤخذ دون حرب ولا جهد.

(٢) أي انه لن يرغب أحد فيهما وهما معدمتان.

(٣) حديث حسن انظر: ما بعده فهو جزء منه.

(٤) سورة النساء: الآيات ٩ - ١١.

Twitter: @ketab_n

(فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمّهما، فقال: أعطِ ابنتي سعد الثلثين، وأمّهما الثمن، وما بقي فهو لك)[1].

إنها قسمة الله، لا قسمة الجاهلية والعادات والتقاليد.. آية تغسل قلب سامعها من الجشع.. تغسله بأنهار العطف والرأفة.. تجعله في مكان المفجوع بنفسه.. تجعله يشعر بمرارة اليتم.. بليل اليتم يخيّم على أبنائه، فإذا لم يكن صاحب قلب رقيق ومرهف، فالآية التي بعدها تصدع قلبه المتحجر، وتملأ بطنه الجشع بالجمر والنار، وتقذف به في الجحيم والسعير الذي لا ينطفئ، أما الآية الثالثة، فرحمة الله بالأولاد أكثر من رحمة آبائهم بهم. إن الله يوصي الآباء بأبنائهم، والموصي أرحم من الموصى.

وقد جعل الله نصيب الذكر أكثر من نصيب الأنثى في الميراث مرتين، لأن على الذكر مسؤوليات تجاه الأنثى عديدة، فالرجل يجب عليه الإنفاق على أمه وأخته وزوجته وابنته، وهو الذي يدفع المهر لزوجته، بل يجب عليه أن يكسو زوجته، وأن يقدم لها الطعام جاهزاً للأكل، كما قال ﷺ: (حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى)[2] إنها فريضة من الله، وهو الذي خلق هذا الإنسان، وهو أعلم به وأحكم، وأدرى بما يجعل حياته سعيدة مشرقةً دائماً.

وقد بيَّن ﷺ أن الفتاتين لهما حكم ما فوق الاثنتين عندما خاطب شقيق سعد بن الربيع. أخبرنا بذلك جابر بن عبد الله الذي تراكمت عليه المسؤوليات، وربما كانت هي سبب مرضه الآن.. إنه يعاني من وعكةٍ ألزمته الفراش بين أخواته يمرضنه، ويخشين أن يغادرهن كما غادر والدهن.. لقد اشتدّ به المرض فلم يعد يعقل شيئاً، وانتقل خبر مرضه إلى رسول الله ﷺ، فاتجه هو وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه إلى حي بني سلمة لزيارة جابر ذلك الشاب الصغير الذي احتفى به عليه السلام كثيراً.

---

(١) سنده حسن رواه ابن سعد ٣-٥٢٤ واللفظ له عدا «معك» وأحمد ٣-٣٥٢ من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل وهو تابعي حسن الحديث عن جابر . والراوي عن ابن عقيل هو عبيد الله بن عمرو الرقي: ثقة. التقريب ٣٧٣.

(٢) حديث صحيح -صحيح الجامع (٦٠٢/١).

Twitter: @ketab_n

يقـول رضي الله عنه: (مرضت فجاءني رسـول اللـه ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان)[1] (في بني سلمة)[2] (فأتاني وقد أغمي علي)[3] (فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعـا بماء، فتوضأ منه ثم رشّ علي، فأفقت. فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟)[4] (يا رسول الله إنما لي أخوات)[5] (يا رسول الله لا يرثني إلاّ كلالة فكيف الميراث)[6] (كيف أقضي في مالي، كيف أصنع في مالي؟ فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث)[7]، وهي الآية التي بعد الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[8].

فهو أعلم بخلقه، وأدرى بما يجعلهم سعداء في الدنيا والآخرة.. إنه يكرمهم بآيات الميراث، ويحفظ حقوق الأيتام والورثة، وفي ذلك تكريم للكريم سعد بن الربيع، وتكريم لعبد الله بن حرام.

وتمـرّ أيام فينهض جابر من مرضه الذي ألمّ به، ولئن كان المرض قد غادر جابر، فإن هناك من تغلغل المرض في جسـده ولم يغادره حتى الآن.. في المدينة رجل هاجر إلـى النبي ﷺ وحيداً بعد أن أرغم علـى مفارقة زوجته وهو في الطريق، فقد أرغمه

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٧٣٠٩).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٧٧).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٧٣٠٩).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٧٧).
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٦٧٤٣).
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٥٦٧٦).
(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٧٣٠٩).
(٨) سورة النساء: الآية ١٢.

Twitter: @ketab_n

أهلهـا على تركهـا والرحيل دونها ودون ابنها.. إنه الصحابي الجليل أبو سـلمة الذي يهاجمه المرض بضراوة الآن، وتنقض على جسـده جراحات أُحُد، وحوله أبنه وزوجته المجاهـدة الصابرة، ذات الهجرة العسـيرة والذكريات المريـرة.. إنها تبكي الآن، وهي تعانـي وداع زوجهـا الحبيب.. إنه لن يرى هذا الجنين الذي يسـكن أحشـاءها.. لن يداعبه، ولن يتمتع بطفولته.

مات أبو سلمة رضي الله عنه، فبكت أم سلمة وبكى أحبابه، لكن مرارة الحزن لم تنس هذه المؤمنة الصابرة نفسها.. لقد صبرت في السابق، وها هي الآن تتحامل على جراحها.. تنهض من بين آلامها.. تتوجه نحو النبي ﷺ تسـأله ماذا تقول في مصابها الأليم هذا.. تسأله حتى لا تقع في ذنب النواح والاعتراض على قضاء الله وقدره.

تقول رضي الله عنها: (سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمّنون على ما تقولون. فلما مات أبو سـلمة قلت: يا رسـول الله، كيف أقول؟

قال ﷺ: قولي: اللّهمّ اغفر لنا وله، وأعقبني منه عقبى حسنة)[1].

فدعت أم سلمة بتلك الدعوة، وارتفعت دعوتها إلى الباري فاستجاب لها. فـ

ما هي عقبى أم سلمة

سـنعرف ذلك لاحقاً، أما الآن فسـنترك «هند» أم سـلمة وأحزانها ودعاءها إلى أحـزان أخرى.. أحزان تراكمـت على صدر صحابي كريم، وملأت بيته حتى ضاق به.. عثمان بن عفان الذي فقد حبيبته رقية بعد غزوة بدر، وفقد قوته في غزوة أحد، فهرب من المعركة بعد هزيمة المسلمين ونزول الرماة من الجبال.. عثمان يعيش حالة من الحزن والأسـف لا يحسد عليها. لا أدري ما مبرّرات هروبه من المعركة، وهو الذي شارك في صناعة الانتصار وإلحاق الهزيمة بالمشـركين في أوّل النهار؟ مهما كانت المبرّرات، لقد حدث ما حدث لهذا الصحابي العظيم، وهو بشر غير معصوم، والله أرحم من أن يدعه للأحزان تفتك به وتغتاله. لقد ضاقت به الدنيا ففرجها الله مرتين:

---

(١) صحيح مسلم ٢-٦٣٣.

Twitter: @ketab_n

أما الأولى فقد أنزل الله فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.. أنزل الله عفوه ورحمته به، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[1].

وفي ذلك يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب عن عثمان: (أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له)[2]..

فرح عثمان بهذه الآية، وانزاح همّه الثقيل.

وأما الثانية: فقد أقبل عليه النبي ﷺ يبشره بهذه الآيات، ويبشّره بعودة الصهر بينهما، فقد وافق ﷺ على تزويجه من ابنته أم كلثوم، فأي سعادة يعيشها عثمان الآن؟ لقد عرف الناس بعد هذا من هو عثمان، وما منزلته عند الله وعند رسوله، فلقبوه بلقب يشع من بيت النبوة.. لقبوه بـ: (ذي النورين) وهو أسعد الناس بعرسه ونسبه وحبّ الله ورسوله، وأم كلثوم تشاطره كل ذلك وتتعطّر به، أما أختها فاطمة فسعيدة بأختها أم كلثوم، وسعيدة بهدية جميلة تقدمها لأبيها ولزوجها عليّ رضي الله عنهم جميعاً.

وبينما كان الجميع يترقّبون الهدية بفرح.. كانت هناك امرأة مهمومة.. يتملكها الفزع مما قد يحدث للنبي ﷺ أو لفاطمة.

الرؤيا من جديد تخيم كالخوف على عالم امرأة صالحة تدعى (أم الفضل) وهي زوجة عم النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب، التي تركت مكة والعباس إلى الله ورسوله ﷺ، فما هي:

رؤيا أم الفضل

تقول رضي الله عنها: (رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ، فجزعت من ذلك، فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له؟

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٥.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٦٩٨).

Twitter: @ketab_n

فقال ﷺ: خيراً، تلد فاطمة غلاماً، فتكفلينه بلبن ابنك قثم.

فولدت)[1] فاطمة.. ولدت حباً جديداً للنبي ﷺ ملك عليه قلبه.

فاطمة تلد حرباً

سماه والده: (حرباً).. إنه يملأ بيت النبوة برائحة الأحفاد البريئة المنعشة.. (حرب) يزاحم أمه وأباه في قلب جده ﷺ، وقد بُشّر بمولد هذا الطفل الجميل، فجاء ﷺ والسعادة تملأ صدره، فوجد الابتسام والفرح يغمران المكان، عليٌّ سعيدٌ، وفاطمة أكثر سعادة.

يقول عليّ رضي الله عنه: (لما ولد الحسن سميته حرباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلت: حرباً.

قال ﷺ: بل هو حسن)[2].

غيّر ﷺ ذلك الاسم الحاد باسم جميل.. يدخل البهجة على النفوس، فحمل المولود الطاهر اسمه الجميل، وحمله ﷺ بين يديه وقبّله، وفعل شيئاً رآه أحد موالي النبي ﷺ الذي كان يشارك بيت النبي ﷺ فرحتهم بهذا القادم الحسن، فسألناه: أخبرنا يا أبا رافع.. ماذا رأيت..؟

أبو رافع رضي الله عنه يصف ذلك المشهد المفرح الذي لم يدخل السرور على بيت النبي ﷺ فقط، بل امتدت بهجته وبركته إلى أحوج الناس إلى البهجة، فيقول: (لما ولدت فاطمة حسناً قالت: ألا أعقّ عن ابني بدم «بكبشين»؟.

---

(١) سنده حسن رواه أحمد (٦/٣٣٩) واللفظ له، والطبراني (٣/٥-٩) وروى آخره من الطريق نفسها ابن خزيمة (١/١٤٣) وحسنه أستاذنا الشيخ محمد مصطفى الأعظمي حفظه الله، ووافقه الإمام الألباني فلم يعلق عليه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/٨٥) وصحيح أبي داود (١/٧٥).. وسند أحمد هو: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا إسرائيل عن سماك عن قابوس بن المخارق عن أم الفضل. وقابوس تابعي لا بأس به - التقريب (٤٤٩) ولا يضره أن يكون قد جاء - عند الطبراني أنه رواه عن أبيه عن أم الفضل فأبوه صحابي. وسماك بن حرب تابعي صدوق وروايته هذه ليست عن عكرمة - التقريب (٢٥٥) وإسرائيل ثقة معروف مر معنا كثيراً - التقريب (١٠٤) وقد توبع.. وتلميذه ثقة من رجال البخاري ومسلم (السابق -٥٩٢).

(٢) سنده قوي رواه أحمد ١-٩٨ و١١٨ واللفظ له والبخاري في الأدب (٢٨٦) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن هاني بن هاني عن علي. أبو هاني تابعي وثقه العجلي والنسائي. التهذيب ١١-٢٢ وله شاهد عند الطبراني بسند منقطع.

Twitter: @ketab_n

قال ﷺ: لا، ولكن احلقي رأسه وتصدّقي بوزن شعره من فضّة على المساكين والأوفاض (وكان الأوفاض ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ محتاجين في المسجد أو الصفة) ففعلت ذلك)[1] وتصدّقت على الفقراء والمحتاجين، لكن ماذا عن:

عقيقة الحسن

ماذا عنها والنبي ﷺ يقول: (كل غلام رهينة بعقيقته، يذبح عنه يوم سابعه، ويحلق رأسه، ويسمى)[2]..؟

لقد أحب ﷺ أن يقدم بنفسه عقيقة الحسن، حيث يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (إن رسول الله ﷺ عقّ عن الحسن)[3] (كبشين)[4]، ووقت العقيقة الأفضل هو قوله ﷺ: (العقيقة تذبح لسبع، أو لأربع عشرة، أو لإحدى وعشرين)[5].

وفي يوم جميل بالحَسَن أكل الفقراء وأهل الصفة من العقيقة، وشاركوا النبي وأهل بيته الاحتفاء بالحسن، أما هذا الطفل الحسن رضي الله عنه فقد أرضعته أمّه فاطمة، ثم بعث به ﷺ إلى تلك المرأة الصالحة، التي رأت في منامها بشرى ولادة الحسن.. بعث ﷺ بالحسن إلى أم الفضل، وها هي تحدّثنا عن رضاعته، وعن ضربه وعن حبه.

أم الفضل تضرب الحسن

تقول رضي الله عنها: (رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ، فجزعت من ذلك فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك. فقال ﷺ: خيراً، تلد فاطمة غلاماً، فتكفلينه بلبن ابنك قثم.

---

(١) سنده حسن رواه الطبراني ٣-٣٠ وابن الجعد ٣٣٤ وأحمد ٦-٣٩٠ من طريق شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين عن أبي رافع. وروى أحمد متابعة أبي النضر لشريك، وهو حسن من أجل ابن عقيل. التقريب ٣٢١.

(٢) صحيح الجامع (٢-٨٣٥).

(٣) حديث صحيح رواه أبو داود ١-٢٨ عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس، وهذا سند صحيح والنسائي ٧-١٦٤ عن حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه والحاكم ٤-٢٦٥ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وأبو يعلى ٥-٣٢٣ عن أبي الزبير عن جابر وعن جرير عن قتادة عن أنس ٣-٤٤١ وغيرهم.

(٤) حديث صحيح عند الحاكم وأبي يعلى كما مر في التخريج السابق.

(٥) صحيح الجامع (٢/٧٥٩).

Twitter: @ketab_n

قالت رضي الله عنها: فولدت حسناً فأعطيته، فأرضعته حتى تحرك أو فطمته، ثم جئت به إلى الرسول ﷺ، فأجلسته في حجره فبال، فضربت بين كتفيه. فقال ﷺ: ارفقي بابني رحمك الله (أو أصلحك الله) أوجعت ابني. قلت: يا رسول الله اخلع إزارك والبس ثوباً غيره حتى أغسله.

قال ﷺ: إنما يغسل بول الجارية، وينضح بول الغلام)[1] أي يرشّ بول الصبي إلاّ إذا صار يأكل الطعام، فعند ذلك يغسل بوله، والحسن ما زال رضيعاً.. ينعم بقلب جده ﷺ وقبلاته وأحضانه.

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ يمصّ لسانه أو شفته (يعني الحسن بن علي صلوات لله عليه) وإنه لن يعذب لسان أو شفتان مصّهما رسول الله ﷺ)[2].

ذلك الطفل البريء.. ذلك البرد الطهور.. الحسن بن علي رضي الله عنه يملأ قلب النبي ﷺ ويملكه، وتمرّ الأيام فيكبر، ويزداد شبهه بالنبي ﷺ، فيقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي)[3].

يكبر الحسن ويكبر حبّه بين حناياه ﷺ، فيقول البراء رضي الله عنه: (رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول: اللّهمّ إني أحبه فأحبه)[4]، ويبدأ الحسن يلثغ بالكلمات.. يتعثّر في نطقها.. يقلّبها.. يعبث لسانه الصغير بأحرفها، فيزداد حسناً وبهاءً، ويبدأ الخطو واللعب، ويخرج إلى الطريق ليلعب مع الأطفال، فيراه والده وأبو بكر رضي الله عنهما وهما يمشيان، فيسرع إليه أبو بكر ويأخذه من فوق الأرض ليجعله فوق عنقه، ويدلي قدميه الناعمتين على كتفيه، ويفديه بأبيه ويردّد كلمات تضحك والده علياً.

---

(١) سنده حسن وهو حديث أم الفضل السابق. وقد ثبت علميا أن هناك فرقا بين بول الغلام والبنت الرضيعين، راجع لمعرفة ذلك موقع (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة)

(٢) سنده صحيح رواه أحمد ٤-٩٣ حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا حريز عن عبد الرحمن ابن أبي عوف الجرشي عن معاوية: هاشم ثقة ثبت، التقريب ٥٧٠ وحريز أوثق منه التهذيب ٢-٢٢٧ وعبد الرحمن تابعي كبير ثقة، التقريب ٣٤٨. ولك أن تتصور مدى الأمانة العلمية لدى رجال هذا السند رغم سلوكيات بعضهم تجاه علي رضي الله عنه. فمعاوية حاربه، وحريز ناصبي ومع ذلك يأبى عليهم إيمانهم وصدقهم أن يخفوا مثل هذا الخبر، وهي شهادة لعلم الجرح والتعديل ونقاده رحمهم الله، ومدى دقتهم في ذلك.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٣٧٥٢).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٣٧٤٩).

Twitter: @ketab_n

يقـول أحد الصحابة الذين شـاهدوا حب أبي بكر للحسـن: (صلّـى بنا أبو بكر العصر، ثم قام وعلي يمشيان، فرأى الحسن يلعب مع الغلمان، فأخذه أبو بكر، فحمله على عنقه، وقال:

بـأبـي شـبـيـه الـنـبـي لـيـس شـبـيـهـاً بـعـلـي

وعليّ يبتسم)[1] (ويضحك)[2].

ولا يـلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك.. إنه ابن حبيبه وصاحبه ونبيّه، وحبّه من الإيمان، وأبو بكر متضلع بالإيمان وحب آل بيته وحب هذا الطفل الجميل. أبو بكر يفعل ما كان ﷺ يفعله بالحسن، حين يقول البراء بن عازب: (رأيت النبي ﷺ واضعاً الحسـن على عاتقـه «وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه»، وقـال: من أحبني فليحبه)[3] لم يكن الحسـن فوق عاتق النبي ﷺ فقط.. كان يتمشـى في قلبه ويتجول في غرفاته وممراته.. كان يحتل قلبه وجسـده ومشـاعره.. ها هو رجل من الأزد يبلغ الدنيا وصية نبيّه ﷺ وهو يحتضن الحسـن داخل حبوته، فيقول: (أشـهد لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في حبوته وهو يقول: من أحبّني فليحبه، وليبلغ الشاهد الغائب)[4].

ولـم يكتف هذا الطفل البـريء باقتحام قلبه ﷺ، بل تجاوزت براءته كل الحدود، فصار يقتحم على جده ﷺ صلاته.

ها هو الحسـن يدخل على جدّه وهو يصلّـي بأبي بكر وعمر وعثمان ووالده علي وبقية الصحابة رضي الله عنهم.. يركض الحسـن.. يلهو داخل المسـجد، ويتّجه نحو جده ﷺ، فيقفز على ظهره الشـريف، ويمتطيه كفارس مغوار.. فماذا فعل ﷺ ؟ وما موقف والده وبقية الصحابة من فرح ذلك الطفل واقتحامه عالم النبي ﷺ وهو خاشع مع ربه..؟

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٤٩/٣) بسند البخاري وهو عند البخاري (٣٥٤٢).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٤٢).

(٣) سنده صحيح رواه أبو الطياسي ٧٣٢ واللفظ له والترمذي ٣٧٨٣ والزيادة له عن شعبة عن عدي بن ثابت سمعت البراء.. وعدي ثقة من رجال الشيخين، التقريب ٣٨٨.

(٤) سـنده صحيح رواه البخاري خلق أفعال العباد (٩١) والحاكم ٣-١٩٠ وأحمد ٥-٦٦ من طريق شـعبة عن عمرو بن مرة سـمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن زهيـر ابن الأقمر عن الرجل الأزدي. زهير تابعي ثقـة وليـس كما قال الحافظ: مقبول ٦٦٨ وتلميذه ثقة التهذيـب ٥-١٨٢ وعمرو بن مرة أوثق من الاثنين ويشهد للحديث ما قبله.

Twitter: @ketab_n

يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (إن رسول الله ﷺ كان يصلّي، فإذا سجد وثب الحسن على ظهره وعلى عنقه، فيرفع رسول الله ﷺ رفعاً رفيقاً لئلا يصرع (فعل ذلك غير مرة) فلما قضّى صلاته، قالوا: يا رسول الله رأيناك صنعت بالحسن شيئاً ما رأيناك صنعته. قال ﷺ: إنه ريحانتي من الدنيا)[1].

نبي لا يقاوم عطر الطفولة المنعش.. وبراءتها التي تهزم القلوب.. طفولة منحها الإسلام مساحة من الحب والرحمة والتسامح.. مساحة فسيحة.. فسيحة تمتّع بها الحسن، ونعم فيها بطفولته وعفويّته، وتمتع بها أطفال المسلمين من بعده و..

تتمادى البراءة فيتمادى الحب

وتتّسع الرحمة، فرسول الله ﷺ هذه المرة لا يذهب إلى المسجد وحده، بل يحمل حفيده وريحانته الفواحة معه، وهو يعلم ما قد يفعل الطفل أثناء الصلاة.. أحد الذين رأوا ورووا تلك القصة المفعمة بالطفولة والعبادة يتحدّث إلينا.

صحابي اسمه شداد يقول: (خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً[2]، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبّر للصلاة، فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها، فرفعت رأسي، وإذا بالصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدةً أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك..؟!

قال ﷺ: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته)[3].

---

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٥-٥١ وابن حبان ١٥-٤١٨ والطبراني ٣-٣٤ من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن أخبرني أبو بكرة. وفي هذا السند مدلسان الحسن ومبارك رحمهما الله، أما الأول فصرح بالسماع من شيخه، وأما مبارك فقد توبع عند الطبراني ٣-٣٤ تابعه إسماعيل بن مسلم، فإن كان العبدي فهو ثقة، وإن كان المكي فهو ضعيف.

(٢) أو حسيناً كما جاء في النص وفعلت ذلك من أجل السياق.

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ٣-٤٩٣ والنسائي صحيح الألباني - ١-٢٤٦.

Twitter: @ketab_n

إنها رحمة يشعر بها ﷺ ويحرص أصحابه على الشعور بها.. تقول عائشة رضي الله عنها: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: تقبّلون الصبيان؟ فما نقبلهم.!

فقال النبي ﷺ: أَوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة)[1].

و(قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يرحم لا يُرحم)[2].

ورسول الله ﷺ يقول عن نفسه: (إنما أنا رحمة مُهداة)[3]، فهل هناك ألذ من الرحمة وأجمل من الهدية.. لقد كان بين أضلاعه قلب كالنسيم البارد خلال القيظ والهجير.. كان سلوكه مطراً لذيذاً على شفتي صحراء تتلمظ عطشاً.

ذات يوم وبينما كان ﷺ يخطب أصحابه على منبره، إذ به يذهل عن خطبته وعن الناس من حوله، بل وعن نفسه.

الرحمة تذهله ﷺ

عبد الله بن عمر بن الخطاب رأى وسمع ما حدث، وأدهشته تلك الرحمة فقال رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يخطب الناس، فخرج الحسن بن علي رضي الله عنه في عنقه خرقة يجرّها، فعثر فيها، فسقط على وجهه فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر يريده، فلما رآه الناس أخذوا الصبي فأتوه به، فحمله فقال: قاتل الله الشيطان، إن الولد فتنة، والله ما علمت أني نزلت عن المنبر حتى أوتيت به)[4].

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٥٩٩٨).

(٢) حديث صحيح، رواه البخاري (٥٩٩٧).

(٣) حديث صحيح، صحيح الجامع الصغير (٤٦٣/١).

(٤) سنده قوي، رواه الطبراني ٣-٣٥ حدثنا عبد الله بن علي الجارودي، حدثنا أحمد بن حفص، حدثني أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن عباد بن إسحاق، عن زيد بن أبي العتاب، عن عبيد بن جريج عن ابن عمر.. وعبيد وزيد تابعيان ثقتان من رجال التقريب، وعباد بن إسحاق صدوق واسمه عبد الرحمن. التهذيب ٦-١٣٧ وإبراهيم ثقة من رجال الشيخين، التقريب ٩٠ وأحمد ووالده صدوقان من رجال البخاري وشيخ الطبراني حافظ من أئمة الأثر أثنى عليه الحاكم والناس انظر: البلغة لحماد الأنصاري حفظه الله (١٩٤).

Twitter: @ketab_n

لم تكن الرحمة للحسن وحده.. فهناك طفلة تتافسه.. وردة اسمها «أمامة» بنت زينب رضي الله عنها.. كانت أمامة ملء سمعه وبصره.. تتعلق به عيناها البريئتان، وتمد يداها الصغيرتان وهو يهم بالخروج للمسجد، فيستسلم قلبه لتلك البراءة العذبة، فيحملها ويضمها ويقبلها، ويأخذها معه إلى المسجد وهو يريد الصلاة بصحابته رضي الله عنهم. فيراه أحدهم وهو «أبو قتادة» فيقول: (خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فصلّى، فإذا ركع وضع، وإذا رفع رأسه رفعها)[1]، (فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها)[2].. يفعل ذلك أثناء صلاته بالمؤمنين.

ولم تكن تلك الرحمة والملاطفة منه ﷺ لأولاده فقط، بل كان يشمل بها أبناء المسلمين.. ها هو يزور دار أحد الأنصار.. دار (الربيع بن سراقة الخزرجي)، فيجد طفلاً صغيراً اسمه محمود، فيبدأ بملاطفته وملاعبته، ثم يتناول ﷺ دلواً على حافة البئر، ثم يملأ فمه الطاهر بالماء، ثم يقترب من الصغير ويلاحقه فيطشّ الماء في وجهه.

حركة تثير الضحك والركض والاختباء البريء لدى الأطفال.. حركة تجلب السعادة.. مازال محمود يذكرها، ويذكر الناس بها، وهو يقول: (عقلت من النبي ﷺ مجّة مجّها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين)[3] (مجها رسول الله ﷺ من دلو في دارنا)[4].

قد يفعل الرجل هذا مع أبنائه وبناته، فهل يفعلها حاكم أو عالم أو وجيه مع أطفال غيره.. ماذا سيقول الناس عن ذلك..؟ ماذا سيقول الجهل عن ذلك..؟ لكن محمداً ﷺ فعل ذلك مع ذلك الطفل (من بئر في دارهم)[5]، بل لقد بلغ به التواضع والرحمة أعماقاً وآفاقاً بعيدةً.. بعيدة.. تعال معي إلى هذا المشهد المضحك المبكي في طرقات مدينة النبي ﷺ.. مشهد لـ:

النبي ﷺ والإماء والمعاقين

حيث نرى النبي ﷺ يمشي في الطرقات تقوده أمةٌ أو امرأة في عقلها شيء.. دون أن ينهرها، أو يطالبها بالتوقف، أو يطالب أهلها بردعها عن مجلسه.. كان يجعل

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٥٩٩٦).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٥١٦).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٧٧).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٦٤٢٢) .
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (١١٨٥). حديث صحيح رواه البخاري (مشكاة المصابيح - ١٦١٧/٣).

Twitter: @ketab_n

لهـا من قلبه ووقته نصيباً كالآخرين.. يقوم مـن مجلس قد يجلس فيه أبو بكر وعمر وعثمـان وعلـي إلى امرأة في عقلها اضطراب.. يسـتمع إليهـا، وينصت حتى تنتهي وتقضي حاجتها..

يقول أنس رضي الله عنه: (كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت)[1]، ويقول: (إن امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة؟ فقال: يا أم فلان، انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك.

فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها)[2].

كان ﷺ جنّة من المشاعر.. ينعم بها الجميع، حتى ضعاف العقول.. حتى العصافير والطيور.. كان ﷺ جدول حب يشرب منه الجميع فيرتوون.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجتـه، فرأينا حمَّرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولده؟ ردوا ولدها إليها.

ورأى قريـة نمل قد أحرقناهـا، فقال ﷺ: إنه لا ينبغي أن يعـذب بالنار إلاّ رب النار)[3].

كان ﷺ يتغيّـر وجهـه ويتألم لمنظر الفقراء، فلا يقرّ له قرار حتى يذهب ما بهم، فإذا لم يجد سوى الكلمات بذلها يريح بها نفوسهم ويقوّيهم بها.

يقـول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (كنّا عند رسـول الله ﷺ في صدر النهار، فجاء قوم عراة، حفاة، متقلّدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلّهم من مضر، فتغيّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل، ثم خرج، فأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلّى ثـم خطب فقـال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾)[4].

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٦٠٧٢).
(٢) حديث صحيح رواه مسلم (٢٣٢٦).
(٣) حديث صحيح: انظر: صحيح سنن أبي داود (١٦١٨/٣).
(٤) سورة النساء: الآية ١.

Twitter: @ketab_n

و﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾[1].

تصدّق رجل من دينــاره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشقّ تمرة.

فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفّه تعجز عنها، بل لقد عجزت، ثم تتابع الناس حتــى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رســول الله ﷺ يتهلّل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شــيئاً)[2]، أي من أحيى ســنة من سنن الإسلام، ودلّ عليها فله ذلك الأجر، ومن ابتدع في الإسلام سنة لم يأت بها النبي ﷺ فعليه ذلك الــوزر المخيف، ويقول ﷺ: (مــن دلّ على خير فله مثل أجره فاعله)[3]، و(من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)[4]. كانت تلك الصدقات ســنة حســنة.. تهلّل وجه النبي ﷺ عندما رآها، لأنه رأى الجوع والعري ينزاح عن أولئك المســاكين، الذين أحسّــوا بالحياة تســري في عروقهم من جديد، لكن الرحمة أحياناً تســتغل.. يســتغلها الأوغاد واللئام، وذلــك لا يعني أن يتوقــف تدفقها للتوقعات والظنون.. رحمتــه وكرمه ﷺ متدفق دون توقف، حتى مع الخونة إلى أن يظهروا الخيانة ويمارسوها جهاراً كما في هذه القصة:

قصة أولها رحمة وآخرها جحيم

مجموعة من اللصوص من عكل وعرينة.. مجموعة من الأوغاد ســمعوا برحمته ﷺ، وبشفقته على أصحابه وعلى الناس جميعاً، فظنّوا أن بإمكانهم استدرار رحمته، واستدراج طيبتــه، ثم الضحك عليه بعد نــوال عطائه. جاء هؤلاء إلى المدينة وتظاهروا بالإســلام (وبايعوه ﷺ)[5] لكن حمى المدينة أصابتهم، فأشفق عليهم ﷺ عندما قالوا: (يا نبي الله،

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٨.
(٢) حديث صحيح رواه مسلم (١٠١٧) الزكاة والنسائي (الصحيح ٢-٥٣٩).
(٣) حديث صحيح رواه مسلم (١٨٩٣).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٢٦٩٧).
(٥) حديث صحيح - رواه مسلم - القسامة.

Twitter: @ketab_n

إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة)[1] (فقال لهم رسول الله ﷺ: إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة، فتشربوا من ألبانها وأبوالها)[2] (فأمر لهم رسول الله ﷺ بذودٍ[3]، وراعٍ، أمرهم فيه، فيشربوا من ألبانها وأبوالها)[4].

أجل أمرهم بشرب أبوال الإبل، وهي معجزة طبية ثبتت علمياً في ألفيتنا الثالثة كدليل على نبوته[5] (فانطلقوا، فشربوا من أبوالها وألبانها حتى صحوا وسمنوا)[6] (فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا النعم)[7] و(سملوا أعين الرعاء)[8] أي فقأوا عينيه بالحديد. (فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم)[9] (فجاء الخبر في أوّل النهار، فبعث ﷺ في آثارهم، فلما ارتفع النهار جيء بهم، فأمر بقطع أيديهم، وأرجلهم، وسمرت أعينهم، وألقوا في الحرّة، يستسقون فلا يسقون)[10] (ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا)[11].

ما ذنب ذلك الراعي المسكين الذي اعتنى بهم وبصحتهم..؟ سقاهم ومرّضهم وأطعمهم، فكان جزاؤه أن فقأوا عينيه ثم قتلوه!! إن فقأهم لعيني الراعي قبل قتله دليل على توغّل الإجرام والحقد في نفوس هؤلاء الأنذال، الذين جمعوا كل صفات الخسّة والدناءة.. كفروا، وقتلوا، ومثّلوا، وخانوا، وسرقوا، فكان عقابهم شديداً بحجم جريمتهم. إن أمثال هؤلاء الرعاع والجهلة وقطاع الطرق يشكلون خطراً على كل أرض يطأونها، ولا يمكن أن يوقف نزيف الخوف والدم الذي يسفكونه سوى السيف البتّار. أمثال هؤلاء يغريهم ضعف الضعيف، وحلم الحليم وتسامح الكريم، فينشرون من خلال ذلك الرعب في قلوب الحجاج والتجار والمسافرين.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٩٢) ومعنى استوخموا أي لم يوافق مناخها أجسادهم.
(٢) حديث صحيح رواه مسلم (١٦٧١) القسامة.
(٣) الذود هو القطيع من الإبل.
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٩٢).
(٥) للدكتورة فاتن خورشيد براءة اختراع حول هذا الموضوع وللدكتورة أحلام العوضي وزميلاتها أبحاث أخرى مبهرة حول بول الإبل كما نشرت جريدة الرياض الجمعة ٢٤ - شوال خبراً عن براءة اختراع أخرى.
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠١٨).
(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٣).
(٨) حديث صحيح رواه مسلم -القسامة (١٦٧١).
(٩) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٩٢).
(١٠) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠١٨).
(١١) حديث صحيح رواه مسلم -القسامة (١٦٧١).

Twitter: @ketab_n

ربما أغرى هؤلاء الأجلاف ذلك الإنكسار الذي حدث للمؤمنين في غزوة أحد، وربما كانوا طلائع خيانة واستكشاف لمجرم قابع في عرنه.. يجمع جيشاً لاقتحام المدينة ونهبها.. مجرم يثير القشعريرة.. اسمه (خالد بن سفيان بن نبيح) يقود بني لحيان.

علم ﷺ بذلك المخطط، لكنه فكّر بطريقة آمنة يتخلّص فيها من حرب ضروس بطعنة واحدة.. يحقن فيها دماء جيوش تحتاج إلى دمائها ورجالها. فكّر ﷺ بـ:

اغتيال خالد بن سفيان

وقع اختيار رسول الله ﷺ على فارس مغوار يختصر المسافات والأحداث.. يجمع الجيوش والآلام والنواح بطعنة واحدة.

وقع اختياره ﷺ على فارس يدعى (عبد الله بن أنيس) فتعالوا إلى الأحداث والحديث، وفارسنا الذي يقول: (دعاني رسول الله ﷺ فقال: إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بعرنة، فأته فاقتله. قلت: يا رسول الله، انعته[1] لي حتى أعرفه. قال ﷺ: إذا رأيته وجدت له قشعريرة [قلت: والذي أكرمك ما هبت شيئاً قط].

فخرجت متوشحاً سيفي، حتى وقعت عليه بعرنة «مع ظعن[2] يرتاد لهن منزلاً»، وحين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت له ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصلّيت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي الركوع والسجود.

فلما انتهيت إليه، قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لهذا. قال: أجل، أنا في ذلك [قلت: باغي حاجة فهل من مبيت؟ قال: نعم فالحق بي] فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركته ظعائنه مكبّات عليه، [ثم غشيت الجبال ولجمته حتى إذا ذهب الناس خرجت حتى] قدمت على رسول الله ﷺ، فرآني، فقال: أفلح الوجه. قلت: قتلته يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «صدقت».

---

(١) أي صفه لي.
(٢) نساء.

Twitter: @ketab_n

ثم قام معي رسول الله ﷺ، فدخل في بيته فأعطاني عصا، فقال: أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس. فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن امسكها. قالوا: أوّلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك؟ فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقلّ الناس المتخصرون يومئذٍ يوم القيامة، فقرنها عبد الله بسيفه)[1] الذي حطم صنماً وخطراً في دروب المؤمنين.. إن هذا النوع من الاغتيال لم يكن باجتهاد فردي.. لم يقم به أحد من أصحابه حماساً وتطوعاً، وهم قادرون على أكثر من ذلك.. إنها دماء لا يجوز الخوض فيها دون الرجوع إلى النبي الإمام- النص، وإلا فإنها ضرب من التهور غير المبرر.

لم يكن عبد الله بن أنيس وحده الذي يبعث في سرية مكوّنة من فرد واحد.. كان هناك من ينافسه.. رجل شديد البأس قويّ البنية.. جسور لا يهاب الموت.. يعشق الشهادة.. كان ﷺ يبعثه إلى أعماق قريش.. يتغلغل فيها، لا ليقتل، بل لينقذ، ليخلص بعض أولئك المستضعفين في مكة الذي أبقاهم ذووهم في مكة، وقهروهم ومنعوهم من الهجرة، فكانت تلك المهمات:

---

(١) حديث صحيح عدا ما بين الأقواس الصغيرة، وقد حسن الحافظان ابن حجر وابن كثير سند أحمد وأبي داود وهو سند ضعيف، وبقية الحديث هو: فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها، فضمت معه في كفنه، ثم دفنا جميعاً، والحديث عند أحمد ٣-٤٩٦ والطبراني (مسند العبادله - ٧٦) وأبي داود (١٢٤٩) مختصراً. وقد ضعفه الإمام الألباني في ضعيف أبي داود (١٢٣) وسنده عند أحمد وأبي داود محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه. لكن ابن إسحاق صرح بالسماع من شيخه الثقة عند أحمد ٣-٤٩٦ فتبقى مشكلة ابن عبد الله بن أنيس، وعند الرجوع للتقريب نجد أن الحافظ قال: إن اسمه: ضمرة أو عمرو، أو دون اسم.. ولكن عندما نرجع إلى سنن البيهقي ٣-٢٥٦ نجد أنه قد سماه بـ عبيد الله، وهو الأصوب والأصح للتصريح من تلميذه باسمه.. لكن معرفتنا باسمه لا تفي بالفرض، فالرجل تابعي لم يوثق فيحتاج إلى شاهد أو متابعة، وقد وجدت هذه المتابعة والشاهد عند الطبراني. حدثنا مصعب بن إبراهيم، حدثني أبي، حدثنا عبد العزيز الدراوردي، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن كعب القرظي، قال، قال عبد الله بن أنيس.. وفي هذا السند خطأ فالصواب يزيد بن عبد الملك بن الهاد وهوتابعي ثقة وكذلك محمد بن كعب القرظي وسائر رجال السند ثقات وهو متصل انظر: التقريب (١/٣٤ - ٥١٢) (٢/٢٠٣-٣٦٧) وشيخ الطبراني ثقة انظر: مجمع البحرين (٣/١٥٥) ورواية الدراوردي ليست عن عبيد الله العمري.
فالسند حسن والحديث صحيح بالسندين والزيادات بين المعقوفين من رواية الطبراني.

Twitter: @ketab_n

سرايا لمرثد بن أبي مرثد

وكان لمرثد رضي الله عنه صديقة في مكة.. ينزل عليها سـرّاً، وكان يحبها وتحبه وتحفظ سـره وعلاقته بها.. اسـمها: (عناق)، لكن أمراً حدث في المدينة أثار غضب تلك الحسـناء، فخانت مرثد ونادت قريشاً لكي يحاصروه ويقبضوا عليه، فماذا حدث لمرثد بن أبي مرثد..؟

يقول أحد الصحابة: إن (مرثد بن أبي مرثد، كان رجلاً «شـديداً» يحمل الأسرى من مكة، حتى يأتي بهم المدينة، وكانت امرأة بغيٌّ بمكة يقال لها (عناق)، وكانت صديقة له، وأنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحتمله،

قـال مرثد: فجئت حتى انتهيـت إلى ظل حائط، من حوائط مكة في ليلة مقمرة، فجاءت عناق، فأبصرت سـواد ظلي بجنب الحائـط، فلما انتهت إليّ عرفتني فقالت: «مـن هذا» مرثد؟ فقلـت: مرثد. قالت: مرحباً وأهلاً، هلم فبِـتْ عندنا الليلة «انطلق الليلة فبت عندنا في الرحل».

قلت: يا عناق..

حرم الله الزنا

«إن رسـول الله ﷺ حرم الزنا». قالت: يا أهـل الخيام، «هذا الدلدل، هذا الذي يحمل أسراءكم من مكة إلى المدينة».

فتبعني ثمانية، وسـلكت الخندمة[1]، فانتهيـت إلى غارٍ أو كهفٍ، فدخلت، فجاءوا حتى قاموا على رأسـي، فبالوا «فطار بولهم علي»، فظلّ بولهم على رأسـي، وعمَّاهم الله عني. ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي، فحملته، وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الإذخر، «فلما انتهيت به إلـى الأراك» فككت عنه أكبله، فجعلت أحمله ويعينني، حتى قدمت المدينة، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟

«فسـكت عني»، فأمسك رسول الله ﷺ ولم يرد عليّ شيئاً حتى نزلت: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾.

---

(١) جبل عند أحد مداخل مكة.

Twitter: @ketab_n

فقال رسـول الله ﷺ: يا مرثـد الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشـركة، والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك، فلا تنكحها)[1].

لأنهـا تحتـرف الزّنا وتصرّ عليه، أما إذا تابت الزانيـة، وتاب الزاني وباب التوبة مفتوح إلى يوم القيامة، فيجوز عند ذلك، أمّا إذا لم يتوبوا فهم أمراض متنقلة.. تنخر الأجساد والمجتمعات.

إذاً فهناك رجال يمكن الاعتماد عليهم للقيام بمهام خطيرة ودقيقة، والنبي ﷺ لم يتـردّد في بثّهم هنا وهنـاك، فالمدينة في خطر، والدعوة إلى التوحيد تحتاج إلى دولة قوية وذكية لنشـرها، فكان لمرثد دور، وكان لعبد الله بن أنيس دور آخر، وللذين داخل المدينة أدوار يؤدّونها تحت قيادة هذا النبي الحكيم.

في إحدى هذه المهمات أراح النبي ﷺ دولته وأصحابه من فتنة عمياء، ومن حرب قـد تكون فادحة الخسـائر، وأراح بني لحيان من كارثة قـد تحلّ بهم على يد قائدهم المتهور خالد بن نبيح، لكن النبي ﷺ لم يكتف بهذه السرية ذات الفارس الفذ، فقريش وبنو لحيان وبعض القبائل أغراهم ذلك الانكسار الذي حدث للمسلمين في أُحُد، لذلك لابدّ من الحذر واليقظة.. لابدّ من دراسـة المنطقة والتعامل معها بحرص، فقد يكون فيها أكثر من خالد بن نبيح.

هنـاك مناطق توتّر مخيفة بين مكة والمدينة.. أشـدّها تلك التي تسـكنها هذيل قبيلة الصحابي الجليل عبد الله بن مسـعود، تلـك القبيلة التي ينتمي لها بنو لحيان، ويسكنها بجوارهم بنو سليم، وإليها ينتمي بطون (رعل وذكوان وعصية) وهؤلاء جميعاً يسكنون قريباً من مكّة، وقد تمّ القضاء على إحدى بؤر التوتّر وهو خالد بن نبيح، لكن بقي من هو أشدّ خطورة منه.. بقي طاغوت من غطفان اسمه (عامر بن الطفيل) هذا الطاغوت كان وقحاً لدرجة أنه جاء إلى المدينة يهدد النبي ﷺ إذا لم يرض بمطالبه.

---

(١) سنده حسن رواه النسائي (الصحيح - ٣٠٢٧) والترمذي (الصحيح - ٣٥٣٨) واللفظ له والزوائد للنسائي، من طريق عبيد الله بن الأخنس أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وعبيد الله، ثقة التقريب ٣٦٩ وبقية السند حسن مشهور.

Twitter: @ketab_n

عامر بن الطفيل يهدد النبي ﷺ

يقول أنس بن مالك: (كان رئيس المشركين (عامر بن الطفيل، وكان أتى النبي ﷺ فقال: أخيرك بين ثلاث خصال:

أن يكون لك أهل السهل، ولي أهل المدر.

أو: أن أكون خليفتك من بعدك.

أو: أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء)[1].

رفض ﷺ تلك المطالب الطاغوتية، فقد بعثه الله للناس كافةً.. لنشر التوحيد وإزالة الشرك عن هذه الأرض كلها، وإزالة الطواغيت أمثال عامر بن الطفيل، وتحكيم شرعه لا لمقاسمة الأصنام والعادات والتقاليد، ولذلك أخذ ﷺ حذره من ذلك الأهوج، ومن بني لحيان وبني سليم، فقام بعقد عهدٍ بينه وبين جيرانهم بني عامر حتى يأمن اتفاقهم عليه أو مساندتهم لقريش إذا ما قامت قريش بعمل عسكري في المستقبل. لكن ذلك كلّه لا يكفي، فعامر بن الطفيل يحتاج إلى رصد ومراقبة أكثر، فالظروف الحالية دقيقة وخطيرة، وقريش مازالت تحتفظ بقائمة من الأسماء.. لها معها ثأر منذ غزوة بدر، ولم تتمكن منهم في غزوة أُحُد، وكان على رأس تلك القائمة الصحابي الشجاع (عاصم بن ثابت) الذي شهد له ﷺ بإجادة القتال في غزوة أُحد.. هذا الأسد كان قد فتك بعظيم من طواغيت قريش، ورأسه مطلوب بأي ثمن، والفارس الآخر اسمه (خبيب بن عدي) وقد اجتثّ خبيب رضي الله عنه طاغوتاً آخر يدعى (الحارث بن عامر بن نوفل) وهناك آخرون مطلوبون، لكنني ذكرت هذين الفارسين لأن الرسول ﷺ استدعاهما، واستدعى معهما ثمانية من الشجعان.. هؤلاء العشرة كوّنوا سرية استطلاع للمنطقة الواقعة بين مكة والمدينة، ومهمتهم تغطي أراضي يسكنها بنو لحيان وسليم وبنو عامر، وأطلق فيما بعد على هذه السرية:

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩١) والبيهقي (٣/٣٤٥) واللفظ له.

Twitter: @ketab_n

لكن ما علاقة بني لحيان بمن هلك من طواغيت قريش على أرض بدر؟..

أحد الصحابة يجيب ويسرد علينا قصة عاصم قائد هذه السرية وأصحابه، فيقول: (بعث النبي ﷺ «عشرة رهط» عيناً، وأمَّر عليهم (عاصم بن ثابت)...[1] فانطلقوا حتى كانوا «بالهدأة» بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزوّدوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب. فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما «رآهم» عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد[2]، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق، إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً.

فقال عاصم «أمير السرية»: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللّهمّ أخبر عنا نبيّك. فقاتلوهم حتى قتل عاصماً في سبعة نفر بالنبل[3]، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث الذي معهما رضي الله عنه: هذا أول الغدر.

فأبى أن يصحبهم، فجرّوه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد، حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فمكث «خبيب» عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا قتله[4] استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدّ بها[5]، فأعارته.

قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه[6] حتى أتاه فوضعه في فخذه. فلما رأيته فزعت فزعةً عرف ذلك مني وفي يده الموسى. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى.

---

(١) مكان النقاط جملة اعتراضية هي (وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب).
(٢) الرابية المرتفعة.
(٣) أي قتلوا سبعة من الصحابة أحدهم عاصم رضي الله عنهم جميعاً.
(٤) قرروا قتله ثأراً لقتله والدهم الحارث.
(٥) طلب موسى ليحلق بعض شعره.
(٦) مشى الطفل حتى دخل على خبيب والموسى بيده.

Twitter: @ketab_n

وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قطّ خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف[1] عنب وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله «خبيباً».

فخرجـوا به من الحرم[2] ليقتلوه «في الحل»، فقال رضي الله عنه: دعوني أصلي ركعتـين «ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركـع ركعتين» ثم انصرف إليهم، فقال: لولا أن «تظنـوا» أن مـا بي جزع من الموت لزدت «لطوّلتها»، فكان أوّل من سـن الركعتين عند القتل هو.

ثم قال: اللّهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً. ثم أنشأ يقول:

فلسـت أبالـي حـين أقتل مسـلماً ... علـى أي شـقّ كان للـه مصرعـي
وذلـك فـي ذات الإلـه وإن يشـأ ... يبـارك علـى أوصـال شـلو ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله[3].

لكـن عقبة بن الحارث ينكر ذلك ويقول لمـن حوله: (والله ما أنا قتلت خبيباً، لأنا كنت أصغر من ذلك، ولكن أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله)[4].

ويكمل الصحابي حديثه فيقول: (وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونـه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يـوم بدرٍ، فبعث الله عليه مثل الظلّة من الدبر[5]، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا «على أن يقطعوا من لحمه شيئاً»)[6] فكانت كرامـة من الله لعاصم رضي الله عنه، حيث حمى الله جسـده الطاهر بسـحابة من الزنابير أو ذكور النحل.

---

(١) القطف هو العنقود ساعة قطفه.
(٢) كان المشركون يحترمون منطقة الحرم لذلك خرجوا به إلى منطقة الحل.
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٨٦) والزيادات عنده أيضاً.
(٤) سنده صحيح رواه ابن إسحاق (سيرة ابن كثير - ٣/١٣١) حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير، عن أبيه عباد، عن عقبة بن الحارث. عباد تابعي ثقة من رجال الشـيخين، التقريب ٢٩٠ وابنه يحيى ثقة وهو تابعي صغير ٥٩٢.
(٥) أي سحابة من الزنابير أو ذكور النحل.
(٦) هو بقية حديث البخاري السابق.

Twitter: @ketab_n

هكذا سافر خبيب وعاصم وزيد ورفاقهم شهداءً إلى ربهم، لكنها بالنسبة للنبي ﷺ وأصحابه الأحياء مصيبة أخرى بعد أُحُد.. خيانة قام بها هؤلاء المشركون فكلفت المؤمنين الكثير.. خيانة ليست من طباع العرب الكريمة.. تأثر منها المؤمنون، واستفادت منها قريش، وحزّت في أنفس الشرفاء من العرب.. خاصة أولئك الذين كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد، وهم بنو عامر، لذلك جاءت مجموعة منهم بقيادة رجل اسمه: (عامر بن مالك، أبو البراء) ويلقب بـ«ملاعب الأسنة»..

قدم ملاعب الأسنة من أجل تلطيف الأجواء.. حاملاً معه هدية للرسول ﷺ، لكن النبي ﷺ كان في حالة حزن على أصحابه، فعرض الإسلام على ملاعب الأسنة، ودعاه إلى الدخول في دين الله، فرفض ﷺ هديته لأنه مشرك، فحاول ملاعب الأسنة أن يخفّف عن النبي ﷺ بعض ما في صدره من حزن على أصحابه، فعرض عليه أن يرسل بعض الصحابة لنشر الإسلام في نجد، وتعهّد بحمايتهم والدفاع عنهم، حتى يطمئن النبي ﷺ أنه لن يصيبهم ما أصاب خبيباً وأصحابه.. ومما دفع النبي ﷺ إلى الموافقة أن رجالاً من أحياء: رعل وذكوان وعصية كانوا قد قدموا مع «ملاعب الأسنة» وتظاهروا بالإسلام أيضاً، وادّعوا أنهم بحاجة إلى مجموعة من الصحابة تعلّمهم القرآن والتوحيد، بل وتعينهم على أعدائهم.

استجاب ﷺ واثقاً بعهد ملاعب الأسنة، ومصدّقاً أولئك الذين أظهروا الإسلام، وبعث معهم شباباً من الأنصار، ها هو أحدهم يودع أخته (أم سليم) إنه خال أنس بن مالك واسمه (حرام) وهؤلاء الشباب الذين مع (حرام) هم صفوة من تلاميذ محمد ﷺ.. شباب لا تعرف كيف تصفهم! هل هم عباد، أم تجار، أم علماء، أم عمّال..؟ إنهم الإسلام في صورة شباب.

يقول كعب وأنس رضي الله عنهما: (جاء ملاعب الأسنة إلى النبي ﷺ بهدية، فعرض عليه الإسلام، فأبى أن يسلم، فقال النبي ﷺ: فإني لا أقبل هدية مشرك. قال: فابعث إلى أهل نجد من شئت فأنا لهم جارٍ، فبعث إليهم)[1] شباباً (كنّا ندعوهم على عهد رسول الله ﷺ: القرّاء، فذكر أنس سبعين رجلاً من الأنصار، كانوا إذا أجنّهم

---

(١) سنده قوي رواه الطبراني ١٩-٧٠ و٧١ و٨١) عن يونس ومعمر والأوزاعي عن الزهري عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك عن كعب. وهذا السند صحيح وقد مر معنا.

Twitter: @ketab_n

الليل آووا إلى معلم بالمدينة، فيبيتون يدرسون، فإذا أصبحوا فمن كان عنده قوّة أصاب من الحطب، واستعذب من العذب[1]، ومن كانت عنده سعة أصابوا الشاة فأصلحوها، فكان معلقاً بحجر رسول الله ﷺ، فلما أصيب خبيب)[2] (جاء ناس إلى النبي ﷺ «رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان» فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلّمونا القرآن والسنّة، فبعث «إلى ناس من المشركين بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد» سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم (القرّاء) فيهم خالي حرام:

يقرأون القرآن،

ويتدارسون بالليل يتعلّمون،

وكانوا بالنهار يجيؤون بالماء فيضعونه في المسجد،

ويحتطبون فيبيعونه،

ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء،

فبعثهم النبي ﷺ إليهم «حتى كانوا ببئر معونة»)[3] (فأتوا على حي من بني سليم فقال حرام لأميرهم: دعني فلأخبر هؤلاء أنّا ليس إياهم نريد، فيخلون وجوهنا)[4] (وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل)[5] (فاستجاش عامر بن الطفيل بني عامر، فأبوا أن يطيعوه، وأبوا أن يخفروا ملاعب الأسنة، فاستجاش عليهم بني سليم، فأطاعوه)[6] (فانطلق حرام أخو أم سليم ورجلان معه: رجل أعرج، ورجل من بني فلان. قال:كونا قريباً مني حتى آتيهم، فإن أمنوني كنتم كذا، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم.

فأتاهم حرام فقال: أتؤمنوني أبلغكم رسالة رسول الله ﷺ.؟ قالوا: نعم. فجعل يحدّثهم، وأمأوا إلى رجل فأتاه من خلفه، فطعنه، فأنفذه بالرمح «فلما وجد حرام مسّ

---

(١) أي الماء العذب.
(٢) حديث صحيح رواه الشيخان والطبراني (٣٢٣/١) والبيهقي (٣٤٩/٣) واللفظ له.
(٣) حديث صحيح رواه مسلم (٦٧٧ - وبين ١٩٠٢ - ١٩٠٣).
(٤) هو حديث البيهقي السابق وهو صحيح.
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩١).
(٦) حديث صحيح وهو حديث الطبراني السابق.

Twitter: @ketab_n

الرمح في جوفه قال: الله أكبر، فزت وربّ الكعبة»)[1] ولما سال دمه من جرحه اغترفه بيديه ثم (نضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة)[2] (فانطووا عليهم فما بقي منهم مخبرٌ «فلحق الرجل، فقتلوا كلهم إلاّ الأعرج كان في رأس الجبل»)[3] (قتلوهم وغـدروا بهم)[4] (قبل أن يبلغوا المكان. فقالوا رضي اللـه عنهم: اللّهمّ بلّغ نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا)[5].

فأنزل الله قرآناً يتلى في هؤلاء الشـباب الأطهـار الأبرار، فقال تعالى: ﴿إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا﴾[6].

نزلـت هذه الآية على النبي ﷺ، فحزن حزناً لم يحـزن مثله أبداً، وخيّم الوجوم علـى المدينة.. على أصحاب النبي ﷺ، وأحرق الدمع والحزن أجواف الأمّهات والآباء والأبناء، وبكى أهل الصفة أرحم الناس بحالهم.. بكى أهل الصفة أحبابهم الذين طالما كدحوا وشقوا ليخفّفوا مما بهم، ليمنحوهم بعض السعادة.. هذا قد منحوه ثوباً، وهذا اشتروا له طعاماً، وذاك أعطوه فراشاً، ورابع قدّموا له غطاءً، وخامس قدموا له حذاءً. فلك أن تتصوّر حجم الفراغ الذي يتركه سبعون بمثل هذا الجمال والحب والسخاء.

أهل المدينة يتذكرونهم عندما يرون تلك القرب التي كانوا يملأونها بالماء لهم على باب المسـجد، فكم من عطشـان فقد تلك السحابة. أمّا النبي ﷺ فتوجّه والحزن في عينيه وقلبه إلى أصحابه، فقال: (إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللّهمّ بلّغ عنّا نبينا أن قد لقيناك، فرضينا عنك ورضيت عنا)[7].

لقد بلغ به الهمّ والحزن مسـافات فعل معها شـيئاً لم يكن قد فعله من قبل. كيف لا، وهو قد فجع بخبيب وعاصم ومن معهما، ثم فجع بسبعين من خيرة الشباب الذين سـافروا من أجل نشر دين ربهم ورسالة نبيّهم، ولا ذنب لهم سوى ذلك.. لقد دعا ﷺ على أولئك المشركين الأنذال شهراً كاملاً في صلواته كلّها.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩١ - ٤٠٩٢) والبيهقي (٣/٣٤٥) واللفظ له.
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٢).
(٣) حديث صحيح وهو حديث الطبراني السابق والزيادة للبخاري (٤٠٩١).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩٠).
(٥) حديث صحيح رواه مسلم (٦٧٧).
(٦) هذه الآية منسوخة وهي في البخاري (٤٠٩١).
(٧) حديث صحيح رواه مسلم (٦٧٧).

Twitter: @ketab_n

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه: (قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دبر كل صلاة إذا قال: سمع الله لمن حمده من الركعة الأخيرة يدعو على أحياء من بني سليم: على رعل، وذكوان، وعصية «وبني لحيان» ويؤمّن من خلفه)[1]، ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (وذلك بدء القنوت وما كنّا نقنت)[2].

واستجاب الله لنبيّه ﷺ، فأصيب الطاغية عامر بن الطفيل.. أصيب بمرض عضال وصفه ﷺ بقوله: (غدة كغدة البعير[3]، وسماه ﷺ بـ«الطاعون»، وهو وصف دقيق للطاعون الدبلي الذي يتميز (بارتفاع درجة الحرارة، وتضخم العقد الليمفية في منطقة الإرب وتحت الإبط، وكذا تضخم الطحال)[4]، وهو ما أصيب به عامر بن الطفيل، حتى أصبح حبيساً في بيت امرأة من قومه.

أصيب عامر بالطاعون، وتلاشت أحلامه بالتملّك على أهل المدن في الجزيرة العربية، أو خلافة النبي ﷺ، أما تلك الجيوش التي هدّد النبي ﷺ بها، فقد تحوّلت إلى آلام تحبسه في بيت امرأة.. قد ولّى عنه الناس ونفروا منه خشية العدوى، ففقد صوابه وصرخ بمن بقي حوله قائلاً: (غُدة كغد البكر في بيت امرأة من بني فلان، ائتوني بفرسي، فركبه فمات على ظهر فرسه)[5].

هلك ذلك الطاغية كالمجنون، بعد أن تطاير الناس من حوله متقزّزين، أما النبي ﷺ فبعد أن مكث شهراً يدعو على عامر والخَوَنة الذين غدروا بالمؤمنين.. قرّر ﷺ أن يغزو بني لحيان وبني سليم: رعل وذكوان وعصية، فأعدّ جيشاً ليتحرك نحوهم، وكان أحد

---

(١) سنده جيد رواه أحمد ١-٣٠١ وأبو داود (١٤٤٣) من طريق عبد الله بن معاوية وعبد الصمد وعفان، حدثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس وثابت وشيخه ثقة تغير ولعله وهم في ذكره لصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء والذي عند البخاري من رواية أنس وهو الذي روى القصة وعاصرها وصلى مع النبي عليه السلام تلك الصلوات لم يذكر سوى الفجر، و«بني لحيان» عند البخاري.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٨٨).

(٣) سنده صحيح رواه أحمد ٦-١٤٥ من طرق أخبرنا جعفر بن كيسان حدثتنا معاذة بنت عبد الله دخلت على عائشة معاذة تابعة ثقة، التقريب وجعفر ثقة. ذيل الكاشف (٦٢).

(٤) انظر تعليق فضيلة الدكتور: قلعجي على الدلائل (٣/٣٤٦).

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (١٠٩١) والبيهقي واللفظ له (٣/٣٤٦).

Twitter: @ketab_n

الصحابة يريد صحبته، لكنه في حيرة من أمره، فامرأته ثقيلة، وهو يريد البقاء معها، ويريد مصاحبة النبي ﷺ، وهي كذلك.. كانت تصاحب النبي ﷺ في كل غزوة، لكن حالتها هذه المرة لا تساعدها على المسير، فـ:

ما الذي حدث لأم سليم رضي الله عنها

يقول ابنها البار أنس بن مالك رضي الله عنه: (كانت أم سليم تسافر مع النبي ﷺ، تخرج معه إذا خرج، وتدخل معه إذا دخل)[1] (فضربها المخاض واحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق النبي ﷺ، فقال أبو طلحة: يا رب، إنك لتعلم أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى. تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنت أجد، فانطلقا)[2].

انطلق النبي وأصحابه إلى تلك الأرض التي غُدِرَ فيها بأولئك الشباب الأطهار.. انطلق ﷺ بجيشه جنوباً إلى تلك الأرض التي تقع بين عسفان ومكّة، فما الذي حدث في:

غزوة بني لحيان

يبدو أن بني سليم (رعل وذكوان وعصية) وكذلك لحيان قد علموا بقدوم النبي ﷺ، وأدركوا فداحة جرمهم وشناعة خيانتهم للعهد، وانتهاكهم لحقوق جارهم ملاعب الأسنة، ورأوا بأعينهم ما حدث لذلك الشيطان الذي عبث بعقولهم من عقاب إلهي، وأدركوا بركان الغضب الإسلامي الزاحف نحوهم، فهربوا، وهم يحتاجون إلى من يجرّهم من جحورهم فرداً فرداً، والنبي ﷺ وجيشه ليس لديهم وقت لهذا، فالعودة إلى المدينة أنسب في الوقت الحاضر، لكن لابدّ من التخطيط للقضاء على مصادر الشرّ والجريمة المحيطة بالمدينة.. لابدّ من تأديب من يتآمرون على الإسلام والمسلمين، فالنبي ﷺ جاء للأرض كلّها.. جاء بالسلام والعلم للعالم أجمع، ولا يجوز حرمان العالم من هذه الرسالة الإلهية بسبب مجرم أو مجرمين من المشركين أو من اليهود.

عاد ﷺ إلى المدينة، وبعد عودته كان بانتظاره وانتظار صاحبه أبي طلحة خبر سعيد:

---

(١) سنده صحيح رواه الطيالسي ٢-١٦٠ وقد مر معنا عند الحديث عن الانتفاع بالخمر.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (٢١٤٤) وأحمد ٣-١٩٦.

Twitter: @ketab_n

أم سليم تلد طفلاً

(أخذهـا الطلق ليلة قربهم مـن المدينة، فقالت: اللّهمّ إننـي كنت أدخل إذا دخل نبيّك، وأخرج إذا خرج، وقد حضر هذا الأمر فولدت غلاماً)[1]. وكان النبي ﷺ قد قال لأبي طلحة وأنس بن مالك قبل سفره: (إذا ولدت فائتوني بالصبي)[2].

يقـول أنـس: (فقالت لي أمي: يا أنـس «انطلق بالصبي إلى رسـول الله ﷺ» لا يرضعنه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ.

فلمـا أصبحت احتملته وانطلقت به إلى رسـول الله ﷺ، فصادفته ومعه ميسـم «وهو يسم إبلاً وغنماً»، فلما رآني قال: لعل أم سليم ولدت؟ قلت: نعم. فوضع الميسم[3]، فجئته به فوضعته في حجر النبي ﷺ، ودعا رسـول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة، فلاكهـا في فيه حتى ذابت، «فجعل يحنك الصبي، وجعل الصبي يتلمظ[4]، فقال ﷺ: انظروا إلى حب الأنصار التمر.

فحنكه رسـول الله ﷺ» فمسـح وجهه، وسـمّاه عبد الله)[5] (وكان يعدّ من خيار المسلمين)[6].

عاد الصغير إلى أمه واسـتجاب الله دعوة نبيّه ﷺ لأم سليم وزوجها عندما مات ابنها الأكبر ففعلت أم سليم ما فعلت تلك الليلة.

سـعيدة هي أم سليم، وسعادتها لا توصف.. سـعيدة بزوجها وابنها، ولا أحد في مثـل فرحها إلاّ امرأة تلد مثلها، وتفرح أكثر منها.. امرأة رزقت بنتاً يتيمة مات والدها قبل ولادتها، ومع ذلك فهي أسعد من أم سليم.. إنها:

---

(١) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن زواج أم سليم. رواه الطيالسي ٢-١٦٠.
(٢) حديث صحيح مر معنا عند الحديث عن زواج أم سليم. رواه الطيالسي ٢-١٦٠.
(٣) آلة أو حديدة يكوى بها الحيوان لتمييزه.
(٤) يذوقه بلسانه.
(٥) حديث صحيح رواه مسلم (٢١٤٤) وأحمد ٣-١٩٦ والزوائد للطيالسي ٢-١٦٠.
(٦) ليس من كلام أنس بل من كلام التابعي ثابت البناني.

Twitter: @ketab_n

أم سلمة تلد بنتاً

كانت رضي الله عنها في فترة حداد وهي حامل، ولما وضعت ابنتها سمّتها (برة) لكن سعادتها لم تكن في ولادتها فقط، بل بشيء يحملها من عالم إلى عالم آخر يضفي عليها جلالة ومهابة وكرامة وألقاباً.. عالم تكون فيه حبيبة رجل هو حلم كل امرأة، فقد استجاب الله لها كما استجاب لأم سليم، فعند وفاة زوجها أبي سلمة دعت بتلك الدعوات: (اللّهمّ اغفر لنا وله، وأعقبني منه عقبى حسنة)[1].

أخبرينا يا أم سلمة ما هي العقبى الحسنة التي وهبك الله وأكرمك بها بعد أن كبرت ابنتك؟

تقول رضي الله عنها: (لما وضعت زينب، جاءني رسول الله ﷺ، فخطبني، فقلت: ما مثلي ينكح؟ أما أنا فلا ولد فيَّ، وأنا غيور ذات عيال!! فقال ﷺ: أنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك، وأمّا العيال فإلى الله جلّ ثناؤه ورسوله.

فتزوّجها ﷺ فجعل يأتيها، فيقول: أين زناب)[2] أين زينب؟ سؤال يفيض حياءً وأدباً.. سؤال ينضح بالأحاسيس النبوية المرهفة، لكن من هي زينب؟ وهل هي (برة) هذا ما سنعرفه بعد قليل. فلنعد لرسول الله ﷺ وأم سلمه.

تزوّج ﷺ من أم سلمة، ومع ذلك فهو لا يصل إليها.. لأنه صاحب أسلوب راقٍ ومهذب في التعامل مع الآخرين.. كان ﷺ يستحي أن يفرق بين تلك اليتيمة المسكينة وأمّها ولو لدقائق.. كان ﷺ يحول لحظات الكبت المزعومة إلى أجواء فرح ودعابة يضفيها على تلك اليتيمة «زينب»، وعلى أمّها التي كان يدهشها ويسرّها أن ترى حباً يتسع لها ولأيتامها، وهم أحوج الناس إلى مثل هذا النبي الإنسان المحب.

ومرّت أيام والرسول ﷺ لم يتذمّر ولم يتغيّر في تعامله مع ربيبته وزوجته، لكن الخبر وصل إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه، وهو أخٌ لأم سلمة من أمها «سمية» الشهيدة التي قتلها الطاغية الهالك أبو جهل، فلما علم عمار بحال النبي ﷺ أطلق قدميه نحو بيت أخته أم سلمة، فأخذ ابنة أخته ليسترضعها في بيته، أو عند أحد

---

(١) حديث صحيح مر معنا انظر: صحيح النسائي (١٧٢١) وصحيح ابن ماجه (١٤٤٧).
(٢) انظر: تخريجه في الحديث التالي فهو هو.

Twitter: @ketab_n

النساء.. أخذها عمار و(اختلجها[1]، وقال: هذه تمنع رسول الله ﷺ! وكانت ترضعها، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أين زناب؟ فقالت قريبة ابن أبي أمية - ووافقها عندها[2] - أخذها عمار بن ياسر. فقال رسول الله ﷺ: إني آتيكم الليلة.

قالت: «فقمت» فوضعت ثفالي[3]، وأخرجت حبات من شعير كانت في جرتي، وأخرجت شحماً فعصدته له، ثم بات، ثم أصبح، وقال حين أصبح: إن بك على أهلك كرامة، فإن شئت سبّعت[4] لك، وإن أسبع لك أسبع لنسائي)[5] (وإن شئت ثلثت ثم درت؟ قالت: ثلّث)[6] فأقام ﷺ ثلاثة أيام عند أم سلمة.. ثلاثة أيام هي أسعد أيامها، ثم قال: (للبكر سبع، وللثيب ثلاث)[7] مدة إقامة المتزوج عند زوجته إذا كان عنده غيرها.

أقام ﷺ عند أم سلمة ثلاثة أيام سعيدة، ثم رتّب لها يوماً كبقية زوجاته، وفي تلك الأيام الثلاثة كان يفيض على أم سلمة وعلى يتيمتها الصغيرة حباً ورحمة.. كان اسم زينب الصغيرة «برة»، ففيره ﷺ إلى اسم آخر هو زينب وذلك حالما سمعه:

تغيير اسم برة بنت أبي سلمة

تقول تلك الطفلة اليتيمة رضي الله عنها إن النبي ﷺ: (دخل على أم سلمة حين تزوجها واسمي (برة)، فسمعها تدعوني برة، فقال: لا تزكوا أنفسكم، فإن الله هو أعلم بالبرة منكن والفاجرة، سميّها (زينب). فقالت أم سلمة: فهي زينب، فقلت لها: اسمي؟

---

(١) أخذها.

(٢) أي: توافق مجيء النبي ﷺ مع زيارة تلك المرأة لأم سلمة.

(٣) هو ما يبسط تحت الرحى عند الطحن.

(٤) أي أقمت عندك سبعة أيام.

(٥) حديث حسن رواه ابن سعد ٨-٩٣ وأحمد ٣-٣٠٧ من طريق: روح بن عبادة وعبد الرزاق حدثنا ابن جريج، أخبرني حبيب بن أبي ثابت، أن عبد الحميد بن عبد الله والقاسم ابن محمد سمعا أبا بكر بن عبد الرحمن أن أم سلمة أخبرته. أبو بكر تابعي ثقة فقيه عابد التقريب ٦٢٣ وعبد الحميد يحتاج إلى توثيق لكن تابعه القاسم وهو مثله في الدرجة انظر: التقريب ٤٥٢ والتهذيب ٦-١١٨ وحبيب ثقة فقيه جليل، وابن جريج لم يدلس. وللحديث شاهد بسند ضعيف عند ابن سعد ٨-٩٠ وأحمد ٦-٣١٣ والحاكم ٤-١٧.

(٦) حديث صحيح رواه مسلم: ما تستحقه البكر والثيب من إقامة الزوج.

(٧) حديث صحيح. صحيح الجامع (٢/٩١٩).

Twitter: @ketab_n

فقالت: غيّر إلى ما غيّر إليه رسول الله ﷺ)[1].

كان ﷺ يحب الأسماء الجميلة.. ذات يوم علم ﷺ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمّى ابنته «عاصية»، فماذا فعل..؟

يقول أخوها عبد الله: (إن رسول الله ﷺ غيّر اسم عاصية، وقال: أنت جميلة)[2]، فأصبح اسمها جميلة بنت عمر بن الخطاب.. هي جميلة حقاً، وأبوها أجمل منها.

لم يكن ﷺ يغيّر أسماء الأطفال فقط، بل كان للرجال والنساء والعجائز نصيب من ذلك الجمال، فقد (ذكر عند رسول الله ﷺ رجل يقال له: شهاب، فقال رسول الله ﷺ: بل أنت هشام)[3]، و(كان ﷺ إذا أتاه الرجل وله اسم لا يحبه حوّله)[4] إلى اسم أجمل وألطف.

في هذه الأجواء.. أجواء الجمال واللطف والأعراس والأسماء المحبوبة.. تشرق علينا قصة من بيت عائشة الحبيبة، حيث كان النبي ﷺ عندها، والنبي ﷺ إذا كان عند عائشة أو غيرها من زوجاته كان غاية في اللطف والرقّة والتواضع.

بينما كان ﷺ هناك.. جاءت عجوز لا تعرفها عائشة رضي الله عنها، لكنها تحدثنا عنها فتقول: (جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي، فقال لها رسول الله ﷺ: من أنت؟

قالت: أنا جثامة المزنية.

---

(١) سنده قوي رواه ابن إسحاق ومن طريقه البخاري في الأدب المفرد (٨٢١) : حدثني محمد بن عمرو بن عطاء أنه دخل على زينب بنت أبي سلمة، فسألته عن اسم أخت له عنده، قال: فقلت: اسمها برة قالت: غير اسمها، ثم ذكرت كلاماً وبقية الحديث..

(٢) حديث صحيح رواه مسلم.

(٣) سنده حسن رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٢٥).

(٤) حديث حسن رواه الطبراني ١٧-١١٩ حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي وأبو زيد الحوطي، قالا: حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد قال: قال عتبة بن عبد السلمي: «رضي الله عنه» وقد صحح الإمام الألباني سنده في السلسلة (٢٠٩) وهذا الحكم صحيح لولا إشكالية سماع شريح من عتبة فهو كثير الإرسال، حتى لقد قيل لمحمد بن عوف: هل سمع من أبي الدرداء؟ فقال: لا. فقيل: فسمع من أحد من أصحاب النبي؟ قال: ما أظن ذلك، وذلك أنه لا يقول في شيء من ذلك: سمعت. التهذيب (٣٢٨/٤) لكن الحديث حسن بالروايات الأخرى.

Twitter: @ketab_n

فقال: بل أنت حسانة المزنية. كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

«فقرب إليه لحم، فجعل يناولها، فقلت: يا رسول الله لا تغمر يدك». فلما خرجت قلت: يا رسول الله.. تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان)[1].

ما أجمل هذا النبي الوفي.. تطلق وجهه لما رأى تلك العجوز التي كانت تزورهم أيام خديجة، وأضاف إلى جمال وفائه جمالاً آخر عندما غيّر اسمها.. نزع عنها ذلك الاسم الثقيل، الذي جمع في معناه أشياء كثيرة وكريهة، فهو يعني الكابوس والبليد الذي لا ينهض للمكارم، والكسلان الذي يتبرّم بالحركة! غيّره.. استبدله بـ«حسانة» اسم كالابتسامة

كانت في بيت النبوة أفراح وأعراس.. يهفو لمثلها شاب حزين.. يرنو إلى غسل ما بداخله من هموم.. شاب مثقل بالمسؤوليات، لكن الحيرة في اختيار زوجة تشغله، فهو جديد على مثل هذه التجربة، ولديه من الأيتام الكثير.

هل يتزوج فتاة صغيرة في مثل سنّ أخواته.. يقضي معها أيام مرح وسعادة..؟ أم يضحي بسعادته من أجل أخواته المسكينات، ويتزوج امرأة سبق لها أن تزوجت.. سبق لها أن كانت ربّة بيت لتعتني بأخواته الصغيرات وبه أيضاً..؟

سنترك هذا الصحابي ليقرّر، فنحن على عجلة من أمرنا، فالرسول ﷺ قرّر أن يتوجّه إلى أرض نجد.. حيث تعدّ له قبيلة غطفان جيشاً لحربه.

---

(١) سنده قوي رواه الحاكم ١-٦٢ والبيهقي في الشعب ٦-٥١٧ من طريق: الضحاك بن مخلد حدثنا صالح ابن رستم حدثنا ابن أبي مليكة.. وابن أبي مليكة تابعي أدرك ثلاثين صحابياً وهو عبد الله بن عبيد الله ثقة فقيه - التقريب ٣١٢ والضحاك ثقة ثبت التقريب ٢٨٠ أما صالح فحسن الحديث، إذا لم يخالف.. توثيقه قوي وجرحه غير مفسر، قال أبو داود: ثقة، وقال الطيالسي وهو تلميذه: ثقة، وقال البزار: ثقة، وقال ابن وضاح: ثقة وقال ابن عدي: عزيز الحديث روى عنه يحيى القطان مع شدة استقصائه وهو عندي لا بأس به ولم أر له حديثاً منكراً، وقال العجلي جائز الحديث.. أما جرحه فقد قال الدارقطني: ليس بالقوي. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم أما ابن معين فقال مرة: ضعيف وقال مرة: لا شيء.. وهو يعني بهذه من ليس له من الحديث إلا القليل، وهذا الجرح لا ينهض أمام ذلك التوثيق المعتبر - التهذيب ٤-٣٩١.

Twitter: @ketab_n

تزوّج ذلك الشاب، ولما دعا داعي الجهاد ودّع زوجته وأخواته، ولحق برسول الله ﷺ نحو أرض نجد، فهو لن يتخلّف عن أي غزوة يغزوها رسول الله ﷺ بعد اليوم، فوالده رحمه الله ورضي عنه قد توفي، وهو السبب الوحيد في منعه من حضور غزوتي: بدر وأُحُد.. إنه جابر بن عبد الله وهو الآن في مكان يقال له:

ذات الرقاع

مع رسول الله ﷺ حيث تقف أمامهم حشود بني محارب وغطفان، ويبدو من المشهد أن حرباً لم تقع بين الطرفين، لكن الوضع متوتّر للغاية، والأعصاب مشدودة.. خاصة أعصاب المشركين. أمّا المؤمنون، فبعضهم كان في حالة حراسة، والبعض في حالة استرخاء أو نعاس، أما نبيّ الله ﷺ فقد علق سيفه بشجرة ثم نام.

يقول جابر: (أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنّا بذات الرقاع، وكنّا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ)[1] (فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرّق الناس في العضاة يستظلّون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه. «ثم نام».

قال جابر: فنمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئنا، فإذا عنده أعرابي جالس)[2] من بني محارب!

ماذا يفعل هذا الأعرابي، هل جاء ليعلن إسلامه، أم جاء ليفاوض؟ ما قصته، ولماذا يمسك بسيف رسول الله ﷺ..؟!

أعرابي يحاول قتل النبي ﷺ بسيفه

يقول جابر: (قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخل، «فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه، فتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، فنزل النبي ﷺ تحت شجرة، فعلق بها سيفه ثم نام»، فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له:

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٣٦) ومسلم (٨٤٣)، واللفظ له.
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٣٥) والزوائد عنده (٢٩١٣).

Twitter: @ketab_n

(غورث بن الحارث) «فاستيقظ ﷺ وعنده رجل لا يشعر به» حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟

قال ﷺ: الله عزّ وجلّ.

فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ.

قال ﷺ: أتشهد أن لا إله إلاّ الله، قال: لا. ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلّى سبيله، فذهب إلى أصحابه، فقال: جئتكم من عند خير الناس)[1].

إذاً فقد (خرج النبي ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل، فلقي جمعاً من غطفان، فلم يكن قتال، وأخاف الناس بعضهم بعضاً، فصلّى النبي ﷺ ركعتي الخوف)[2]، فما هي:

صلاة الخوف؟

يقول جابر رضي الله عنه: (نودي بالصلاة، فصلّى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلّى بالطائفة الأخرى ركعتين، فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات، وللقوم ركعتين)[3].

أَمَّهم ﷺ جميعاً ولم يقصر، لكنه صلّى بهم مرة أخرى في هذه الغزوة وقصر معهم.

صفة ثانية لصلاة الخوف

يقول أحد الصحابة (صلّى مع رسول الله ﷺ في يوم ذات الرقاع صلاة الخوف: إن طائفة صفت صلت معه، وطائفة وجاه العدو، فصلّى بالذين معه ركعة، ثم ثبت قائماً

---

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٣-٣٦٥ والبيهقي ٣-٣٧٦ من طريق: عفان، وعاصم بن علي، وأبو بكر الإسماعيلي، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر. سليمان تابعي ثقة، وتلميذه أبو بشر اسمه جعفر بن إياس تابعي ثقة، التهذيب ٤-٢١٤ وأبو عوانة ثقة ثبت اسمه: الوضاح بن عبد الله اليشكري. وزوائد الحديث عند البخاري (٢٩١٣).

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق وعلقه البخاري فقال: قال ابن إسحاق سمعت وهب بن كيسان، سمعت جابراً (٤١٢٦). وهب ثقة من رجال الشيخين، التقريب ٥٨٥.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم عن جابر (٨٤٣).

Twitter: @ketab_n

وأتمّوا لأنفسهم، ثم انصرفوا وجاء العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلّى بهم الركعة التي بقيت، ثم ثبت جالساً وأتمّوا لأنفسهم، ثم سلّم بهم)[1].

فصلّى النبي ﷺ ركعتين، وصلّت كل طائفة ركعتين أيضاً.

كانت غزوة ذات الرقاع حافلةً بالمشاعر لا بالدماء.. حافلةً بالمعجزات والكرامات.. لم يكن فيها قتال، لكن ذلك المكان المسمى بـ: «ذات الرقاع» كان ساحة للخوف والتوتّر.. أخاف الناس بعضهم بعضاً، ثم تفرّقوا دون دماء[2].. أخاف النبي أعداءه وكسب ثناء بعضهم، وحقّق ﷺ بجيشه نصراً معنوياً له رصيده في النفوس، ثم عادوا إلى المدينة والشوق يحملهم، وكان أشدّهم شوقاً ذلك الشاب «جابر» الذي رقص قلبه طرباً عندما اقترب الجيش من المدينة، لكن شيئاً كان يعيقه عنها.. يعيقه حتى عن أصحابه، حتى كان آخر من يسير في الجيش. لقد كانت في طريق العودة قصة لـ:

جابر وجمله الهزيل

فبينما كان جابر بأحرّ الشوق إلى عروسه.. كان ذلك الجمل لا يبالي بتلك المشاعر.. يبدو أنه كان يستمتع بالراحة ومشاهدة ما حوله من مناظر، فهو يسير بطريقة مملّة ومزعجة. شاهد ﷺ ما يحدث فتحرك قلبه نحو جابر، فكانت هذه القصة المنسوجة بالمشاعر والأشواق والمعجزات:

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم «صلاة الخوف» (٨٤٣).

(١) أقول ذلك لأنه قد روي بسند ضعيف عند الأئمة: من طريق ابن إسحاق حدثنا عمي صدقة عن عقيل عن جابر، أحمد (٣/٣٤٤-٣٥٩) وأبي داود (١٩٨) والبيهقي (٣/٣٧٩) وابن خزيمة (٣٦) وحسنه شيخنا الفاضل محمد مصطفى الأعظمي حفظه الله ووافقه الإمام الألباني. وحسنه كذلك في صحيح سنن أبي داود: إن امرأة أصيبت من المشركين.. ثم ذكر قصة الصحابيين اللذين أصيب أحدهما بثلاثة أسهم بينما كان الآخر نائماً.. وهذه القصة ضعيفة السند رغم ما سبق لأنها من طريق عقيل بن جابر.. وهو لم يوثق إنما ذكره ابن حبان في ثقاته وسكت وهذا ليس بتوثيق ولذلك قال الحافظ في التقريب (٢/٢٩) إنه «مقبول» أي عند المتابعة.. ولم أجد له متابعاً.. ومما يوحي بضعفه عند الإمام البخاري رحمه الله أنه قال في الفتح - كتاب الوضوء - ٣٤ - : ويذكر عن جابر.. وعلق الحافظ بقوله: عقيل بفتح العين، لا أعرف راوياً عنه غير صدقة، ولهذا لم يجزم به المنصف، أو لكونه اختصره، أو للخلاف في ابن إسحاق. والذي يبدو لي أن السبب الأول هو الصحيح لأن البخاري ذكر ابن إسحاق وسنده الصحيح في غزوة ذات الرقاع بصيغة الجزم فقال: قال ابن إسحاق. والسبب الثاني بعيد. فبقي السبب الأول نظراً لجهالة حال عقيل رحمه الله.

Twitter: @ketab_n

يقول جابر رضي الله عنه: (خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرفاق تمضي، وجعلت أتخلّف «على بعير قطوف»[1] «جمل ثفال إنما هو في آخر القوم»[2] «قد أعيى فلا يكاد يسير»[3] حتى أدركني النبي ﷺ، «فمرّ بي النبي ﷺ فقال: من هذا؟ قلت: جابر»[4] فقال: ما لك يا جابر؟ قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا. قال ﷺ: أنخه.

فأنخته، وأناخ رسول الله ﷺ «قال ﷺ: أمعك قضيب؟ قلت: نعم، قال: أعطنيه»[5] أعطني هذه العصا التي في يدك، فأعطيته إياها أو قطعت له عصية من شجرة، فأعطيته إياها، فنخسه بها نخسات، «فدعا له»[6]، ثم قال: اركب يا جابر.

فركبت «فسار سيراً ليس يسير مثله»[7]، فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة، «فكان من ذلك المكان من أوّل القوم»[8]، فتحدث مع رسول الله ﷺ فقال: «كيف ترى بعيرك»[9]، أتبيعني جملك هذا يا جابر؟ قلت: بل أهبه لك. قال: لا، ولكن بعنيه. قلت: فسُمّنيه. قال ﷺ: قد أخذته بدرهم. قلت: لا، إذاً تغبنني يا رسول الله. قال: فبدرهمين، قلت: لا، فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية. قال ﷺ: «بعنيه بأوقية. قلت: لا، ثم قال: بعنيه بأوقية. فبعته، فاستثنيت حملانه إلى أهلي»[10]، فقال ﷺ: «ولك ظهره إلى المدينة»[11]. فقلت: أفقد رضيت؟. قال ﷺ: نعم. قلت: فهو لك. قال ﷺ: قد أخذته. «فانطلق بعيري كأجود ما أنت راءٍ من الإبل»[12]، «فلحقني راكب من خلفي فالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ، قال: ما يعجلك؟ قلت: إني حديث

---

(١) البخاري (٥٢٤٥). والقطوف هو البطئ.
(٢) البخاري (٢٣٠٩). الثفال هو الثقيل.
(٣) البخاري (٢٩٦٧). يعني أنه يعاني من الهزال والتعب.
(٤) البخاري (٢٣٠٩).
(٥) البخاري (٥٢٤٥).
(٦) البخاري (٢٧١٨).
(٧) البخاري (٢٧١٨).
(٨) البخاري (٢٣٠٩).
(٩) البخاري (٢٣٨٥).
(١٠) البخاري (٢٧١٨). أي اشترط جابر أن يسلمه في المدينة.
(١١) البخاري (٢٧١٨).
(١٢) البخاري (٥٠٧٩).

Twitter: @ketab_n

عهد بعرس»[1] «فقال لي رسـول الله ﷺ: تزوجت يا جابر؟ فقلت: نعم. فقال: بكراً أم ثيبـاً؟ قلت: بل ثيباً. قال: فهلاّ جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك»[2] «ما لك وللعذارى ولعابها»[3]؟

«قلت: يا رسـول الله، إن أبي قتل يوم أُحد وترك تسـع بنات، كنّ لي تسع أخوات، فكرهـت أن أجمـع إليهـن جارية خرقـاء مثلهـن»[4]، «فتزوجت امرأة تقـوم عليهن وتصلحهن»[5] «تعلّمهن وتؤدّبهن»[6]، «امرأة تمشطهن وتقوم عليهن.

قال ﷺ: أصبت»[7] إن شاء الله «بارك الله عليك»[8]، «بارك الله لك»[9]، قال ﷺ: أما إنا لو جئنا صراراً[10] أمرنا بجزور، فنحرت، فأقمنا عليها يومنا ذلك، وسمعت بنا فنفضت نمارقها. فقلت: والله يا رسـول الله ما لنا نمارق. قال ﷺ: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيسّاً «الكيس الكيس»[11].

فلمـا جئنا صراراً أمر رسـول الله ﷺ بجزورٍ «أو بقـرة فذبحت فأكلوا منها»[12] وأقمنـا عليها ذلك اليوم، «فلمـا ذهبنا لندخل قال ﷺ: أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً - أي عشـاءً - لكي تمتشط الشعثة، وتسـتحد المغيبة»[13]. فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنـا، فحدثت المرأة الحديث، وما قال لي رسـول الله ﷺ، قالت: فدونك، فسـمع وطاعة)[14].

---

(١) البخاري (٥٠٧٩).
(٢) البخاري (٥٣٦٧).
(٣) البخاري (٥٠٨٠).
(٤) البخاري (٤٠٥٢).
(٥) البخاري (٥٠٨٠).
(٦) البخاري (٢٤٠٦).
(٧) البخاري (٤٠٥٢).
(٨) البخاري (٦٣٨٧).
(٩) البخاري (٥٠٨٠).
(١٠) مكان قريب من المدينة.
(١١) البخاري (٢٠٩٧) (٥٢٤٥).
(١٢) البخاري (٣٠٨٩).
(١٣) البخاري (٥٠٧٩).
(١٤) سنده صحيح رواه ابن إسحاق: حدثني وهب بن كيسان عن جابر.. ووهب تابعي ثقة من رجال الشيخين - التقريب (٥٨٥).

Twitter: @ketab_n

تأثرت تلك المرأة الصالحة بذوق رسول الله ﷺ الرفيع، وأسلوبه الرائع في منح الأنوثة وهجها وعطرها الذي لا يقاوم، حتى ينهار ذلك الحبيب القادم أمام هذا السحر الحلال، ويستسلم ذلك المحارب مهزوماً بالحب الطاهر، وهو الذي لا يستسلم إذا هاجت الحرب والحراب.

لم يكن ﷺ وحده في رقي الذوق وجمال الأسلوب.. زوجاته رضي الله عنهن كن كذلك.. كن نسيجاً من الرقّة والإحساس.

ذات يوم (دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ، فرأينها سيّئة الهيئة، فقلن لها: ما لك؟ فما في قريش أغنى من بعلك. قالت: ما لنا منه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم، فدخل النبي ﷺ، فذكرن ذلك له، فلقيه، فقال: يا عثمان بن مظعون، أما لك بي أسوة؟ فقال: يا بأبي وأمي، وما ذاك؟ قال: تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال: إني لأفعل. قال ﷺ: لا تفعل، إن لعينيك عليك حقاً، وإن لجسدك حقاً، وإن لأهلك حقاً، فصلّ ونم، وصم وأفطر «يا عثمان، إن الرهبانية لم تكتب علينا، أما لك فيّ أسوة؟ أما والله إن أخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده لأنا».

فأتتهن بعد ذلك عطرة كأنها عروس. فقلن: مه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس)[1] من ودٍّ ووصال في أجواء يمطر الإسلام فيها حباً وقلوباً، فما بين

المرأة والرجل

أكثر من الجسد.. إنها أشياء حميمة تجعل للدنيا مذاقاً أجمل.. المرأة بالنسبة للرجل -إذا تحضّر بالإسلام- عبق لا ينقطع.. ربيع في كل الفصول.. مطر صيفي.

هل هناك أرقّ من قوله ﷺ لحادي العيس ذي الصوت الجميل: (رويدك بالقوارير)[2]؟

---

(١) رجال ثقات لكنه مرسل، رواه ابن سعد (٣/٣٩٤) أخبرنا الفضل بن دكين، أخبرنا إسرائيل وأخبرنا الحسن ابن موسى، أخبرنا زهير، أخبرنا أبو إسحاق، عن أبي بردة.. وهذا مرسل إلا إن كان أبو بردة هو الصحابي - وللحديث شاهد بسند صحيح رواه عبد الرزاق (٦/١٦٧) عن معمر عن الزهري عن عروة وعمرة عن عائشة.. وما بين الأقواس الصغيرة هو ما جاء فيه من حديث النبي ﷺ..

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٦١٦١).

Twitter: @ketab_n

هل هناك أبهى من قوله: (حبّب إلى من الدنيا النساء والطّيب)[1]؟

إن عثمـان بن مظعون رضي الله عنـه أراد أن ينقطع للعبادة صياماً وقياماً، حتى لقد باح للنبي ﷺ بنيّته أن يجري عملية تنقطع بها صلته بالمرأة تماماً، لكن النبي ﷺ نهاه، وقال له: (إن الرهبانية لم تكتب علينا)[2].

إذاً فلا رهبانية في الإسلام، فالرهبانية هناك عند النصارى، وخلف حصون بني المصطلق وقريظة وغيرهم من يهود.

تعالوا -وقبـل أن ننتهي من قصة جابر وجمله - نزور حصون اليهود، لنرى مدى علاقتهم بالمرأة في تلك الأيام، تعالوا نزور:

زريبة للنساء

هذا هو أقل وصف أصف به أماكن تواجد المرأة اليهودية، أمّا المرأة نفسـها عند أولئك القوم فهي أقل رتبة من الحيوان.. أقل رتبة من الخنازير القذرة.

يقـول أنـس بن مالك: (إن اليهـود كانت إذا حاضنت منهم امـرأة أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها، ولم يشـاربوها، ولم يجامعوها في البيت، فسـئل رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾.

فقال رسول الله ﷺ: جامعوهن في البيوت، واصنعوا كل شيء غير النكاح، فقالت اليهود: ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلاّ خالفنا فيه)[3].

ها هو ﷺ مع زوجته أم سلمة رضي الله عنها نائمان فأصابها الدم، فهل طردها ﷺ من بيته أو من فراشه..؟

---

(١) صحيح رواه وأحمد ٣-١٢٨ وغيره من طرق عن ثابت عن أنس وثابت تابعي ثقة

(٢) مر معنا.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم -الحيض وأبو داود (٢٣١).

Twitter: @ketab_n

لن أجيب.. أم سلمة ستجيب.

تقــول رضي الله عنهــا: (بينا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميصة إذ حضت، فانسللت، فأخذت ثياب حيضتي، فقال ﷺ: أنفست؟ قلت: نعم. فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة)[1].

أما عائشــة فتروي لنا أشــياء تغيض اليهود حتى الموت، فتقول رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يقرأ القرآن ورأسه في حجري، وأنا حائض)[2].

وتقول أيضاً: (إنها كانت ترجل رسول الله ﷺ وهي حائض ورسول الله ﷺ حينئذٍ مجاور في المسجد، يدني لها رأسه وهي في حجرتها فترجله وهي حائض)[3] أي تسرّح شعره.

وناداها ذات يوم لتعطيه الســجادة ليصلّي عليها وهو في المســجد وهي حائض، فتقول: (قال لي رسول الله ﷺ: ناوليني الخمرة من المسجد. فقلت: إني حائض. فقال رسول الله ﷺ: ليست حيضتك في يدك)[4].

إذاً فالطمث مجرد أذى يتخلّص منه جسم المرأة كما يتخلص الجسد من إفرازاته، لكن قد يقول قائل: إن اليهود كانوا يعتقدون ذلك ومعهم النصارى، لكنهم اليوم يدعون إلى تحرير المرأة، وإلى إعطائها حقوقها كاملة..؟

فأقول: لننسَ لدقائق كلام أنس بن مالك السابق، ولننسَ ما كان يفعله اليهود والنصارى في السابق، ولنقل إنهم يمثلون أنفسهم فقط، ولا يمثلون الدين اليهودي والنصراني. لننس ذلك ولنتوجه إلى يهود اليوم ونصارى اليوم، الذين أزعجونا وأزعجوا نســاءنا حول تحرير المــرأة، والمناداة بحقوقها، ماذا يقــول دينهم الآن..؟ ماذا يقول كتابهم المقدّس اليوم؟ وبعد ألفي عام من المراجعة والتمحيص والدراسة..؟ ربما نجد سرّ هذا الضجيج.

أمامي الآن كتابهم المقدس وهو يتحدّث عن المرأة، فيقول:

(وإذا كان بامرأة سيلان دم من جسدها كعادة النساء:

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٩٨). ومعنى أنفست: أي هل حضت.
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٧٥٤٩).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٩٦).
(٤) حديث صحيح رواه مسلم (الحيض) والنسائي - (٣٧١).

Twitter: @ketab_n

فسبعة أيام تكون في طمثها.

وكل من لمسها يكون نجساً إلى المغيب.

وجميع ما ترقد عليه أو تجلس عليه يكون نجساً.

وكل من لمس فراشها يغسل ثيابه، ويستحم بالماء ويكون نجساً إلى المغيب.

ومن لمس شيئاً مما تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بالماء، ويكون نجساً إلى المغيب.

إن كان فراشها أو ما هي جالسة عليه شيء: فمن لمسه يكون نجساً إلى المغيب.

إن ضاجعها رجل فأصابه شيء من دم الحيض - فكم تتوقعون مدة نجاسته؟ إلى المغيب؟ لا.

الكتاب المقدس يقول: يكون نجساً سبعة أيام.

وكل فراش يستلقي عليه يكون نجساً)[1].

إن معنى هذا أن الرجل يحيض أيضاً.

أين هذا الهراء من قول عائشة رضي الله عنها: (كنت أنا ورسول الله ﷺ نبيت في الشعار الواحد[2]، وأنا طامث حائض، فإن أصابه مني شيء غسل مكانه، لم يعدُهُ[3]، وصلّى فيه، ثم يعود، فإن أصابه منه فعل مثل ذلك غسل مكانه لم يعدُهُ، وصلّى فيه)[4].

بل إن رسول الله ﷺ يصرّ على أن تأكل عائشة وتشرب قبله وهي حائض، بل يقسم عليها، ثم يقوم بحركة تتوهج منها الرقة والحب.. حركة تدخل السرور إلى قلبها ونفسها.

سئلت عائشة رضي الله عنها: (هل تأكل المرأة مع زوجها وهي طامث؟ قالت: نعم، كان رسول الله ﷺ يدعوني فآكل معه وأنا عارك، كان يأخذ العَرْقَ[5]، فيقسم عليّ فيه، فأعترق منه[6]، ثم أضعه، فيأخذه، فيتعرق منه، ويضع فمه حيث وضعت فمي من

---

(١) الكتاب المقدس - اللاويين - شريعة ما يفرزه الجسد - ١٤.
(٢) أي الثوب الذي يلاصق الجسم مباشرة.
(٣) أي يغسل مكان الدم فقط ولا يغسل ما حوله.
(٤) حديث صحيح - انظر صحيح أبي داود (٥١/١) والنسائي (١٢٥/١).
(٥) عظم في لحم.
(٦) آكل منه.

Twitter: @ketab_n

العرق، ويدعو بالشراب، فيقسم عليّ فيه من قبل أن يشرب منه، فآخذه فأشرب منه، ثم أضعه، فيأخذه فيشرب منه، ويضع فمه حيث وضعت فمي من القدح)[1].

أين هذا من دين اليهود والنصارى الذي يعاملون المرأة كمخلوق من الدرجة العاشرة.. مخلوق نجس.. أنجس من النجاسة نفسها.. كل شيء تلمسه يتنجس.. كل شيء يلمسها يتنجس.. كل من لمس شيئاً لمسته ينجس. أي أن المرأة لا يمكن أن تبقى في المنزل وإلاّ أصبح المنزل نجساً ملوّثاً تجوبه الآثام والشياطين. لابدّ من وضع النساء اليهوديات والنصرانيات في زرائب خاصة نجسة، حتى ينقطع دم الحيض عنهن.

لا، وحتى لو انقطع الطمث، فانقطاعه لا يكفي للخروج من الزريبة، لأن كتابهم المقدس يقول: (وإذا طهرت من سيلانها فلتنتظر سبعة أيام ثم تطهر)[2].

هل يكفي هذا أيّها الكتاب المقدس؟

لا. فالحيض ليس نجاسة فقط، بل هو ذنب ترتكبه المرأة، ولابدّ من تكفيره. كيف؟

يقول كتابهم المقدس: (وفي اليوم الثامن تأخذ لها يمامتين أو فرخي حمام، وتجيء بهما إلى الكاهن «العالم المسؤول عن دار العبادة» فيذبح واحدة ويحرق الأخرى ويكفّر عنها الكاهن بعد ذلك أمام الرب سيلان نجاستها)[3].

ترى كم بقي للمرأة من أيام شبابها لتعامل فيها كإنسان؟

يبدو من كلامهم السابق أن المرأة قذفت من كوكب مليء بالشياطين والنفايات.

دعونا من اليهود والنصارى الآن.. سنعود لهم فيما بعد، فالأيام حبلى بالمثير والجديد. سنعود إلى جابر رضي الله عنه: الذي يخرج الآن من بيته قاصداً النبي ﷺ ليسلمه جمله الذي باعه عليه، لكنه يمرّ على خاله ليسلّم عليه، ويخبره ببيعه الجمل.

يقول جابر: (فقدمت فأخبرت خالي ببيع الجمل، فلامني، فأخبرته بإعياء الجمل، وبالذي كان من النبي ﷺ ووكزه إياه)[4] ثم توجه جابر نحو بيت رسول الله ﷺ وهو

---

(١) حديث صحيح.. صحيح سنن النسائي (١/٨٠) ورواه مسلم مختصراً.
(٢) الكتاب المقدس -سفر اللاويين- شريعة ما يفرزه الجسد.
(٣) المصدر السابق.
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٢٤٠٦).

Twitter: @ketab_n

ملاصق للمسجد، فوصل جابر في وقت (دخل النبي ﷺ المسجد في طوائف أصحابه، فدخلت عليه، وعلقت الجمل في ناحية البلاط، فقلت له: هذا جملك)[1] (فقال ﷺ: صلّ ركعتين)[2].

وبعد أن صلّى جابر ركعتين (خرج ﷺ فجعل يطيف بالجمل، ويقول: الجمل جملنا، فبعث النبي ﷺ أوقية من الذهب، فقال: أعطوها جابراً)[3] (فوزن لي بلالاً فأرجح في الميزان)[4] (قال ﷺ: يا بلال، اقضه وزده. فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطاً.

قال جابر: لا تفارقني زيادة رسول الله ﷺ. فلم يكن القيراط يفارق قراب جابر بن عبد الله)[5]، ثم قال ﷺ: (استوفيت الثمن؟ قلت: نعم)[6] (فانطلقت حتى وليت فقال: ادعوا لي جابراً. قلت: الآن يردّ عليّ الجمل، ولم يكن شيء أبغض إليّ منه. قال ﷺ: خذ جملك ولك ثمنه)[7] (الثمن والجمل لك)[8]، فانطلق جابر بالمال والجمل وحبّ النبي ﷺ، وبشّر أخواته وزوجته بهذا اللطف والعطف الأبويّ عندما قال له النبي ﷺ: (يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك)[9].

وكما كان هذا الشاب في أوج فرحه اليوم، فقد جاء إلى النبي ﷺ شاب يوشك أن يخسر زوجته.. اسمه زيد بن محمد

زيد بن محمد ليس زيد بن محمد

كان اسمه زيد بن حارثة.. اشتراه النبي ﷺ في مكة، فأعتقه، وأحبه وعاملة بغاية اللطف، وكان قد أخذ من قومه، فلما علموا بمكانه جاء أخوه «جبلة» إلى النبي ﷺ مطالباً بتسليم أخيه إليه ليردّه إلى أمّه وأبيه وقومه.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨٦١).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٤٣).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨٦١).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٢٠٩٧).
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٠٩).
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨٦٢).
(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٢٠٩٧).
(٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨٦١).
(٩) هو حديث ابن إسحاق الصحيح السابق.

Twitter: @ketab_n

يقول جبلة: (قدمت على رسول الله ﷺ، فقلت له: يا رسول الله، ابعث معي أخي زيداً؟

قال ﷺ: هوذا، فإن انطلق معك لم أمنعه.

قال زيد: يا رسول الله، والله لا أختار عليك)[1].

قال جبلة بعد أن سمع كلمات أخيه الشاب: (فرأيت رأي أخي أفضل من رأيي)[2].

فبادل ﷺ حب زيد بحب يسير معه أينما سار، ويُعرَّف به إذا ما رؤي. لقد وهبه ﷺ اسمه، وتبنّاه، وسمّاه (زيد بن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب).

يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب: (ما كنّا ندعو زيد بن الحارثة إلاّ: زيد بن محمد)[3] ثم زوّجه ﷺ امرأة حبشية صالحة تدعى: «أم أيمن» فولدت له حبيباً آخر لرسول الله ﷺ.. ولدت له (أسامة بن زيد بن محمد)، ذلك الطفل الأسمر العذب، الذي دخل على النبي ﷺ ذات يوم وهو في بيت عائشة وهو السابعة فـ (أراد النبي ﷺ أن ينحي مخاط أسامة. قالت عائشة: دعني حتى أكون أنا الذي أفعل. قال ﷺ: يا عائشة أحبيه فإني أحبه)[4].

ولا يكتفي ﷺ بمطالبة عائشة رضي الله عنها بأن تحبه، بل إنه ﷺ يدعو ربّه أن يحبه.

يحدّثنا أسامة عن أحضانه ﷺ، وعن قبلاته ودعواته له وهو طفل فيقول: (كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن ابن علي على فخذه الآخر، ثم يضمّهما، ثم يقول: اللّهمّ ارحمهما فإني أرحمهما)[5] (اللّهمّ أحبّهما فإني أحبهما)[6].

---

(١) سنده قوي رواه الترمذي (٣١٨٥) والحاكم ٣-٢٣٧ وغيرهم من طريق علي بن مسهر عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي عمرو الشيباني حدثني جبلة. أبو عمرو ثقة مخضرم اسمه سعد بن إياس، التقريب ٢٣٣ وإسماعيل تابعي ثقة ١٠٧ وعلي بن مسهر ثقة ٤٠٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٧٨٢) والترمذي واللفظ له.

(٤) سنده حسن، صحيح الترمذي للألباني (٤٠٩٨) وابن حبان (٥٣٤/١٥).

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٦٠٠٣).

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣٧٣٥).

Twitter: @ketab_n

كان ذلك الطفل الأســمر عنبراً في ثياب النبي ﷺ، أما ما فعله ﷺ بأسامة بعد أن رأى الدم ينبع من جبهته السمراء الطاهرة، وما فعله لعينيه البريئتين وهما تفيضان بالدمع، فشيء مذهل.

ماذا كان يفعل ﷺ بأسامة لو كان فتاةً

عائشــة تجيب عن ذلك كلّه بقصة تأخذ بنياط القلب، ذات يوم اشتاق أسامة إلى جــدّه محمد ﷺ، فتهادى إليه في بيت عائشــة رضي اللــه عنها، وعندما همت قدمه الصغيرة بالدخول (عثر أسامة بعتبة الباب، فشجّ وجهه. فقال رسول الله ﷺ: أميطي عنــه الأذى. فتقذرتــه. فجعل ﷺ يمصّ عنه الدم، ويمجه عــن وجهه ثم قال: لو كان أسامة جارية لحليته وكسوته حتى أنفقه)[1].

تعلمت عائشة الصغيرة الكثير من هذا المشهد، وتشربت حب هذا الطفل البريء، أمّا والده زيد بن محمد، فقد حلاه والده ﷺ بشــيء أنفس.. لقد زوّجه النبي ﷺ من ابنة عمّته (أميمة بنت عبد المطلب) واســمها (زينب بنــت جحش) فكان الزواج دليلاً على حبّ ﷺ لزيد، وعلى تحطيمه ﷺ لقيود الجاهلية التي كانت تعيق وتشــوّه تناغم المجتمع الإســلامي ومساواته وتآخيه، فزيد في نظر المشركين لا يزال عبداً، لكنه عند المســلمين ابن محمد ﷺ، وهو في نظر الوثنيين لا يستحق الزواج بزينب.. لا يستحق الزواج إلاّ بأمةٍ. لكنه عند المؤمنين: حب رســول الله ﷺ، وهو في عين النبي ﷺ أمير من أمراء الإسلام، وإن طعن من طعن في إمارته.

قال ﷺ ذات يوم وهو يتحدث عن أسامة بن زيد: (كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبــل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده)[2].

هذا هو زيد في عالم الإسلام وميزانه، أمّا أولئك الذين يرفضون ميزان الإسلام، ويصرّون على التطاول بأنسابهم فقد بشّرهم ﷺ باحتقار شنيع لا يطيقونه. قال ﷺ:

---

(١) حديث حسن انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للإمام الألباني (٢٠١٩).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٤٦٩).

Twitter: @ketab_n

(لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونّن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو: مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس كلّهم بنو آدم، وآدم خلق من التراب)[1].

ولئن كان التراب أصلاً للجميع، ولئن جعل الإسلام زيداً ابناً لمحمد ﷺ، فقد توهج الإسلام حتى امحت فيه الفوارق.. كل الفوارق، فكانت هذه القصة التي امحى فيها كل شيء بين النبي ﷺ وأحد الشباب الفقراء، الذين لا يملكون مالاً ولا نسباً.. ذاب كل شيء بين النبي ﷺ وهذا الشاب، حتى تحدث ﷺ عنه، فظن الناس أنه يتحدث عن نفسه.

شاب ليس له سرير سوى سواعد محمد ﷺ وقلبه

شاب اسمه جليبيب

يتحدث عنه أنس بن مالك فيقول: (كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له: جليبيب، في وجهه دمامة، فعرض عليه رسول الله ﷺ التزويج، فقال: إذا تجدني كاسداً، فقال: غير أنك عند الله لست بكاسد)[2].

كان جليبيب ظريفاً يهوى المزاح والدعابة إنما لا يملك المال ولا الجاه ولا النسب، لكن ذلك كله لا يهم ما دام النبي ﷺ يعتبره جزءاً منه، ويتحدّث نيابة عنه.. ما دام يملك مساحة في قلبه ﷺ.

تحدّث عنها الصحابي الجليل أبو برزة الأسلمي فقال: (إن جليبيباً كان امرأً يدخل على النساء يمرّ بهن ويلاعبهن، فقلت لامرأتي: لا يدخلن عليكم جليبيب، فإنه إن دخل عليكم لأفعلن ولأفعلن. وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم[3] لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي ﷺ فيها حاجة أم لا.

---

(١) حديث صحيح انظر: صحيح الترمذي (٣/٢٥٤).

(٢) سنده قوي رواه أبو يعلى ٦-٨٩ وغيره من طرق عن ثابت عن أنس. ثابت تابعي ثقة سمع من أنس التقريب ١٢٢.

(٣) فتاة عزباء.

Twitter: @ketab_n

فقال رسول الله ﷺ لرجل من الأنصار: زوجني ابنتك. فقال: نعم وكرامة يا رسول الله، ونعم عيني. فقال ﷺ: إني لست أريدها لنفسي، قال: فلمن يا رسول الله؟ قال ﷺ: لجليبيب. فقال: يا رسول الله أشاور أمّها.

فأتى أمّها، فقال رسول الله ﷺ يخطب ابنتك. فقالت: نعم ونعم عيني. فقال: إنه ليس يخطبها لنفسه، إنما يخطبها لجليبيب. فقالت: أجليبيب ابنه؟ أجليبيب ابنه؟ أجليبيب ابنه؟ لا، لعمر الله لا تزوّجه «ما وجد رسول الله ﷺ إلاّ جليبيباً، وقد منعناها من فلان وفلان - والفتاة في سترها تسمع».

فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله ﷺ ليخبره بما قالت أمّها، قالت الجارية: من خطبني إليكم؟ فأخبرتها أمّها، فقالت: أتردّون على رسول الله ﷺ أمره؟ «إن كان رضيه لكم فأنكحوه»، ادفعوني إليه فإنه لن يضيّعني «فكأنها جلت عن أبويها، وقالا: صدقت.

فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: إن كنت رضيته فقد رضيناه. قال ﷺ: فإني قد رضيته»، قال: شأنك بها، فزوّجها جليبيباً)[1].

زوّجها ﷺ من ذلك الشاب الفقير، الذي اختارته هي واختاره لها النبي ﷺ، وهي تعلم أنه لن يختار لها إلاّ ما يحبه الله ورسوله ﷺ، ولن يختار لها إلاّ ما يسعدها، لذا احتجت تلك الفتاة على شروط أمّها وتحكماتها التي لا تمتّ للإسلام.

اقتنع الجميع رضي الله عنهم بخيار النبي ﷺ، فأبحر الشابان في أيام بيضاء سعيدة، حتى جاء ذلك اليوم الذي فزع فيه أهل المدينة واستعدّوا لمواجهة عدوّ.. عندها انسحب جليبيب من ذراعي حبيبته إلى ذراعي المعركة، وأخذ سيفه وانطلق خلف حبيبه ﷺ في معركة أحب أن أسميها:

معركة جليبيب

معركة انتصر فيها النبي ﷺ وأصحابه، وحاز فيها جليبيب على أشياء ثمينة.. غبطه كل من حوله، وهو يحملها في سفره ذلك.. غبطه كل من حوله، وهو بين ذراعي النبي ﷺ.. ليت شعري ما الذي أوصل جليبيباً إلى هذا الحب النبوي الجارف.

---

(١) حديث صحيح انظر: ما بعده فهو باقيه.

Twitter: @ketab_n

دعونا نتمشى بقلوبنا بين غنائم جليبيب في تلك المعركة.. يرينا إياها أبو برزة ويصفها فيقول: («فزع أهل المدينة فركب جليبيب» فخرج رسول الله ﷺ في غزوة له، فلما أفاء الله عليه، قال لأصحابه: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نفقد فلاناً.. ونفقد فلاناً.

قال ﷺ: انظروا هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا.

قال ﷺ: لكني أفقد جليبيباً؟ فاطلبوه في القتلى.

فطلبوه، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه. فقالوا: يا رسول الله، هاهوذا إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه.

فأتاه النبي ﷺ فقام عليه، فقال: قتل سبعة وقتلوه!

هذا مني وأنا منه. هذا مني وأنا منه[1].

ثم وضعه رسول الله ﷺ على ساعديه، وحفر له.. ما له سرير إلاّ ساعدا رسول الله ﷺ، ثم وضعه في قبره)[2] أمام أعين الصحابة ودموعهم.. السواعد نعش لجليبيب، والكلمات أكفان كالغمام: لكني أفقد جليبيباً.. هذا مني وأنا منه..

ما أسما هذا النبي وأعظمه.. ما أرقّ مشاعره.. يخطب باسم هذا الفقير الذي يموت في المعركة بعد أن فتك بسبعة، ومع ذلك لا يأبه له أحد.. لا يذكر إذا ذكر الشهداء، ولا يفقد إذا فقد الأبطال، لكن أحضان النبي ﷺ وتجاويف قلبه تفتقده، لأنه مسلم مهما كان نسبه.. مهما كان لونه، حتى لو ارتحل عن هذه الدنيا دون أن يترك جاهاً أو مالاً.

هل يضر جليبيباً ذلك..؟ هل يضرّه أن لا يفتقده أحد إذا افتقده محمد ﷺ..؟ وحمله محمد ﷺ..؟ وجعل ساعديه له نعشاً وسريراً..؟ وتوجه بكنز تمنّاه كل من حوله عندما قال: هذا مني وأنا منه.. هذا مني وأنا منه.

---

(١) قال الراوي: مرتين أو ثلاثاً.

(٢) سنده صحيح رواه أحمد (٤/٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٥): حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت عن كنانة بن نعيم عن أبي برزة وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.. وعفان وثابت من رجال الشيخين. وكنانة تابعي ثقة من رجال مسلم (التقريب - ٢/١٣٧): وحماد إمام معروف وثقة مشهور. من رجال مسلم.

Twitter: @ketab_n

أما فتاته التي أحبّته لأن الله ورسوله ﷺ يحبّانه.. لأن رسول الله ﷺ اختاره لها، فقد بلغها الخبر والحزن، وبلغ المدينة كلّها ما حدث لجليبيب فأصابها الحزن، وافتقد بعض البيوت تلك الملاحة والظرف والضحكات التي يثيرها رحمه الله بدعاباته.

ذهب رضي الله عنه وترك لزوجته مجداً لا يبارى، وجعلها ملء السمع والبصر وحديث الناس وإعجابهم في المدينة، حتى قال أنس بن مالك بعد أن انتهت فترة حدادها على زوجها: (فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت في المدينة)[1]، أي أن خطابها كثروا بعد جليبيب، حتى صار بيت أهلها من أوائل البيوت التي يتهافت إليه الخطاب.

هذا ما جرى لجليبيب رضي الله عنه، لكن ماذا عن زيد بن محمد..؟

فلنعد إلى زيد الذي تزوّج بذات النسب الرفيع (زينب بنت جحش) رضي الله عنها.. ها هو بيت زيد وزينب.. دخلناه فوجدنا الوجوم يخيّم عليه بعد فترة من الزمن.. القلوب في هذا المنزل الكريم على غير ما يحب رسول الله ﷺ.

لم يكن هناك توافق بين زيد وزينب، وسبحان مقلّب القلوب والأبصار. لا أدري أيّهما الذي كان مباعداً للآخر بشعوره.. هل هو زيد، أم زينب، أم هما جميعاً..؟

لم يتحمل زيد ما يحدث في صدره وصدر زوجته، فحمله إلى النبي ﷺ و(جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك)[2].

قال النبي ﷺ تلك الكلمات والألم يسافر به، والحرج يحاصره.. قال ﷺ تلك الكلمات بعد أن نزل عليه الوحي بشيء يخص زيداً وزينب، ويخصّه هو بالدرجة الأولى، فقد أخبره الوحي أن زينب زوجة ابنه زيد سوف تصبح زوجته وإحدى أمّهات المؤمنين، فأخفى ﷺ ذلك الأمر على زيد خشية أن يتأثر ابنه.. خشية أن يلوك المنافقون وضعاف النفوس ذلك الحدث، ثم يلفظونه قيحاً في طرقات المدينة، وفتنةً في بيوتها.

أخفى ﷺ ذلك لأنه سيحدث لا محالة، وانصرف زيد إلى زوجته وبيته، لكن القلوب تسافر دون أن تستأذن أصحابها.. بقي الزوجان على غير وفاق حتى تفاقم

---

(١) هو جزء من الحديث الصحيح السابق.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٧٤٢٠).

Twitter: @ketab_n

الصـــدع، فأصبح أكبر منهما ومن منزلهما، فكان الطـــلاق هو الحل الوحيد، والمخرج الآمن لحياتهما ومعاناتهما.

أطلقها زيد زينب وطلّقها بعد أن شـــعر أن البقاء معها شـــبه مستحيل، فالإسلام جعل الطلاق بيد الرجل لأنه المكلف بالمهر والنفقة والحماية والرعاية، والرجل السويّ لا يقدم على الطلاق إلاّ بعد أن يســـتهلك كل وسائل البقاء الممكنة، لكن ماذا عن المرأة المســـكينة..؟ هل اضطهدها الإســـلام لأنها لا تنفق ولا تدفع مهراً..؟ هل يرغمها على البقاء في بيت رجل لا تطيقه لهذا السبب فقط..؟

الجواب في قصة هذه المرأة التي تطرق باب النبي ﷺ.. تبحث عن مخرج كمخرج زيد وزينب.. تطلب ذلك وهي زوجة ســـيد من ســـادات الأنصـــار، وخطيب من أعظم خطبائهم وبلغائهم.. صاحب خلق ودين.. ليس بالبخيل ولا بالذليل.. اســـمه (ثابت بن قيس بن شـــماس) لكن زوجته فتّشـــت داخل قلبها عن مكان لـه فلم تجد، لذلك ذهبت إلى النبي ﷺ تشكو ذلك الفراغ الذي يؤرقها مع ثابت، فهل تستطيع تلك المرأة أن:

تطلق زوجها لأنها لا تحبه

ففي الظلام، وعندما بدأ الفجر يمزق خيمة ليل ثقيل على امرأة اســـمها: (حبيبة بنت ســـهل) وعندما صدع بلال أسوار الليل بالأذان نهضت تلك المرأة من ليلها الطويل الشـــاحب.. توجّهت نحـــو الباب وفتحته، ثم خرجت مثقلة بالهموم والشـــكوى.. تاركة البيـــت وصاحبـــه، وبعد خطوات ثقيلـــة وحزينة توقفت أمام باب كالفـــرج.. أمام باب كالفجر.. أمام باب محمد ﷺ.

لـــم تطرق الباب، بـــل مكثت تنتظره كي يبدّد ليلها الطويل، ثم (إن رســـول الله ﷺ خرج إلى الصبح[1]، فوجد حبيبة بنت سهل عند بابه في الغلس[2]، فقال رسول الله ﷺ: من هذه؟

فقالت: أنا حبيبة بنت سهل. قال: ما شأنك؟

---

(١) أي صلاة الصبح.

(٢) أي الظلام.

Twitter: @ketab_n

قالت: لا أنا ولا ثابت بن قيس «يا رسول الله، إني لا أعتب على ثابت في دين ولا خلق، ولكني لا أطيقه.

فقال رسول الله ﷺ: فتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم».

فلما جاء ثابت بن قيس، قال له ﷺ: هذه حبيبة بنت سهل -وذكرت ما شاء الله أن تذكر - وقالت حبيبة: يا رسول الله، كل ما أعطاني عندي.

فقال رسول الله ﷺ لثابت: خذ منها. فأخذ منها، وجلست هي في أهلها «وأمره ﷺ يطلقها»[1]، فطلقها ثابت رضي الله عنهما، ولم يستطع إرغامها على العيش معه، وبذلك انتزعت حبيبة حقها وحق غيرها من النساء من بعدها في الانفصال والخلع، فالزواج ليس سجناً ولا إكراهاً.. إنه حب ومشاركة.. ألفة وود وتكامل، فإن لم يكن الأمر كذلك فباب الطلاق وباب الخلع مفتوحان كالرحمة إلى يوم القيامة.

هذا ما لا يعرفه النصارى حتى اليوم، فالقسّ في الكنيسة يربط الزوجين برباط يسمّيه رباط الله المقدس، ثم يقول: إن ما يربطه الله لا يفكّه ابن آدم. أي أن الطلاق محرم، والزواج حتى ولو كان فاشلاً لابدّ أن يكون مؤبداً، وفي ذلك يقول كتابهم المقدس: (أما أنا فأقول لكم: من طلّق امرأته - إلاّ في حالة الزّنا - يجعلها تزني، ومن تزوّج مطلقة زنى)[2]. أي أن المطلقة تعتبر زانية عند النصارى، ومن تزوّج امرأة مطلقة فهو أيضاً زان، فلا غرابة أن نرى انتشار الخنا عند النصارى بشكل مخيف ومقزز، وما دامت المطلقة المسكينة قد حكم عليها الزنا المؤبدّ، فلن يغير من الأمر شيء أن تمارسه فعلاً.

أمّا محمد ﷺ فقد أحب المطلقة وتزوجها، وزوَّجها، وأفضل زوجاته خديجة تزوجت قبله أكثر من رجل، وها هو الوحي يخبره بأنه سيتزوج مطلقة زيد.

فرق كبير جداً بين سماحة الإسلام وتطرّف المسيحية والمسيحيون الذين يرون الزواج بالمطلقة زنا، بل يعتبرون الزواج بالبكر لا يليق بالنصراني المستقيم، وفي ذلك

---

(١) صحيح رواه البخاري (٥٢٧٥ - ٥٢٧٤) والزوائد له وأبو داود (٢٢٢٧) واللفظ له.
(٢) الكتاب المقدس - متى - الطلاق.

Twitter: @ketab_n

كتابهم المقدس: (أبناء هذه الدنيا يتزاوجون، أما الذين هم للحياة الأبدية والقيامة من بين الأموات فلا يتزاوجون، هم مثل الملائكة لا يموتون، وهم أبناء الله)[1].

لا أدري مـا مصير البشـر لو أخذوا بهذه المقولة المتطرّفـة. حقاً إن الدين ليثير السـخرية متى ما عبث بكتبه ونصوصه العلماء والعبـاد، فحرّفوا وبدّلوا وغيّروا ظناً منهم أنهم يخدمونه، وهذا ما حدث للتوراة والإنجيل. لقد أصبحا مثار سخرية اليهود والنصارى أنفسـهم. الإسلام شرّع الزواج وأشرع أبوابه ونوافذه، وجعله فسحة للمرأة والرجل، ومسـؤولية وتلبية لحاجة بشرية ملحة، ولم يجعله قيداً وسجناً لا يستطيعان الفـكاك منه والهـرب، ولكي يبقى الزواج سـليماً مـن النكد والأمراض الجسـدية والاجتماعية أنزل الله على نبيّه ﷺ تحريم الزنا، حتى تبقى ساحة الزواج نقيّة طاهرة بهذه الأحكام النقية، وبهذا القرآن العذب والسنّة المطهّرة.

أعاد الإسـلام للإنسـان توازنه الذي اختلّ على أيدي اليهود والنصارى، فاليهود حرّفوا التوراة.. فتحوا بين سطورها بيوتاً للدعارة، والنصارى حاولوا إقفال تلك البيوت بأحكام تحرم الطلاق، وتنهى عن الزواج أصلاً، فبقي الإنسان محتاراً بين قريتين: قرية للرهبان، وقرية للشيطان. قد تتساءل فتقول:

كيف فتحت توراتهم بيوت الخنا؟

افتح التوراة.. تجد الاتهامات القبيحة لأنقى من مشـى على الأرض، وهل هناك أطهر من نبي..؟

التوراة المحرّفة تقول لليهود.. تقول لشـعب الله المختـار: إن إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام زنى بزواجه من أخته من أبيه سارة[2]!

إن لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه وأنجب منهما[3]!

---

(١) الكتاب المقدس - لوقا - قيامة الأموات.
(٢) سفر التكوين - (٢٠-١٢).
(٣) سفر التكوين (١٩ - ٣١).

Twitter: @ketab_n

إن أحد الأسباط وأكبرهم -ابن يعقوب- واسمه رابين زنى بزوجة أبيه وأم أخوته، ويطير صوابك عندما تقـول التوراة إن يعقوب لما علم دعا لابنه رابين وباركه، ومدحه وسماه بالفاضل في العزّ والرفعة[1]!

إن يهوذا وهو أخٌ لرابين زنى بزوجة ابنه «لعير» واسمها «شامار»[2]!

إن داود عليه السلام رأى زوجة جاره الجميلة فناداها وزنى بها[3] ثم قتل زوجها!

إن ابن داود زنى بأخته[4].. وغيرهم.. وغيرهم.

أمّا كتابهم التلمود، فيبيح لليهودي كل شـيء خاصة مع المرأة غير اليهودية، لأنها عبارة عـن حيوان، بل وحثّ الزوجة اليهودية على عدم الغيرة من المرأة غير اليهودية، لأن الأخرى حيوان لا كرامة له، فماذا يُتوقع من شعب هكذا يُصوَّر له أنبياؤه في كتابهم المقدس، أما النصارى فرأوا اليهود في حالة تثير الاشـمئزاز، فابتدعوا الرهبانية كرد فعـل على إباحية اليهود، فكرهوا الزواج ونهوا عنـه، وحرّموا الطلاق وجعلوا المطلّقة زانية والمتزوج منها أيضاً زان.

وبهذا أصبح اليهود والنصارى بين جحيمين، فجاء الإسلام راحة ورحمة للإنسان يتقلّب فيها.. عامله لا كملاك ولا كشـيطان، بل إنسـان يسعى نحو الأفضل، لكنه في سـعيه ذلك يتعرّض للعثرات والسـقوط، لأنه بشر. لكن الإسـلام يدفعه لمقاومة ذلك السقوط والنهوض من جديد، ولذلك قال ﷺ: (والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)[5].

جاء أحد الصحابة واسـمه (حنظلة) يستفسر عن حالة التغيّر عند المسلم عندما يغادر المسـجد، وقد تأثّر بكلمة أو موعظة أو محاضـرة، فإذا ذهب إلى بيته أو دكانه خـفّ تأثره ذلك؟ فأجاب ﷺ عن هذا التسـاؤل الذي يطرأ على المسـلم بقوله ﷺ:

---

(١) سفر التكوين (٣٥ - ٥٥) (٤٩ - ٣).
(٢) سفر التكوين (١٩).
(٣) الكتاب المقدس - صموئيل الثاني - ١١.
(٤) الكتاب المقدس - صموئيل الثاني - ١٣.
(٥) حديث صحيح رواه مسلم (٢٧٤٩).

Twitter: @ketab_n

(والذي نفســي بيده، لو كنتم تكونون في بيوتكم على الحالة التي تكونون عليها عندي، لصافحتكم الملائكة، ولأظلّتكم بأجنحتها، ولكن يا حنظلة: ساعة وساعة)[1].

وعندما حاول ذلك الصحابي العظيم عثمان بن مظعون أن يمحو الساعة الثانية، ليبقى في ســاعة عبادة ممتدة من النوم إلى النوم أوقفه ﷺ، وأعاده إلى ســنّته.. إلى بشريّته، فلا رهبانية في الإسلام ولا تطرّف.

تقول عائشة رضي الله عنها: (دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ، فرأينهــا ســيئة الهيئة، فقلن لها: ما لك؟ فما في قريــش أغنى من بعلك. قالت: ما لنا منه شــيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم، فدخل النبي ﷺ فذكرن ذلك له، فلقيه، فقال: يا عثمان بن مظعون، أما لك بي أســوة؟ فقــال: بأبي وأمي، وما ذاك؟ قال ﷺ: تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال: إني لأفعل.

قال ﷺ: «يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا.. أما لك فيّ أســوة؟ أما والله إن أخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده لأنا» فأتتهن بعد ذلك وهي عطرة كأنها عروس، فقلن: مه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس)[2].

لم تشــتك تلك المرأة الفاضلة من بخل ولا قلّة مال.. لم تشــتك حتى من زوجها، لكنهــا بثّت ما بصدرها لنســاء النبي ﷺ.. عبرت عن حاجة المــرأة إلى وصال الزوج وحبّه، وإلاّ فإنها ستذبل، وذبول المرأة يعرف بعدم اهتمامها بنفسها وأناقتها وأنوثتها.

أعــاد النبي ﷺ ذلك الرجــل النقي التقي إلى أجواء الإســلام البيضاء الرحبة.. يحلّــق فيها طائراً أبيض بالحب والإيمان، ثــم يعود إلى عشّ حبيبته الجميل، كما يعود النبي ﷺ إلى بيته محملاً بالشوق والحب، وإذا كانت الحياة الزوجية تقتضي ذلك، فإن الحياة بكرامة إســلامية تقتضي أن يعود عثمان بن مظعون ورفاقه مع رســول الله ﷺ إلى أرض بدر مرة أخرى، بعد أن فرض الشرك ذلك عليهم متحدياً في معركة حددها أبو ســفيان.. حدد موعدها، ومكانها. أما الموعد فهو بعد عام من غزوة أُحُد، أي الآن. وأمّا المكان، فعلى أرض بدر، وفي موسم بدر المشهور بالشعر والفخر والتجارة.

---

(١) حديث صحيح - صحيح الجامع (٢/١١٩٠) وهما عند مسلم.

(٢) حديث صحيح مر معنا. ورواه عبد الرزاق بسند صحيح (٦/١٦٧) عن معمر عن الزهري عن عروة وعمرة عن عائشة.

Twitter: @ketab_n

الفهرس

اليهود ٥
قصة صيام يوم عاشوراء ٥
يهودي ينتقد المسلمين ٧
كيف ينادى للصلاة؟ ٨
رجل من حلم وأذان من وحي ٩
فرحة لامرأة من الأنصار ١١
المدينة حريقاً ومذابح ١٢
مفهوم المواطنة في الدولة الإسلامية ١٣
فماذا توقع أبو بكر ١٤
حراسة رسول الله ﷺ ١٤
السلاح صباحاً السلاح مساء ١٥
نشاط عسكري ١٦
غزوة العشيرة ١٨
غزوة الأبواء ١٨
سرية نخلة ١٩
فما هذا الخبر؟ ٢٤
أهل الصفة ٢٨
ما ذا حدث يا فضالة؟ ٣٠
ملابسكم يا أهل الصفة ٣٢
صيام شهر رمضان ٣٧
ما هو الصيام ٣٧
أحكام جديدة في الصيام ٣٨
رقية مريضة ٤١
كيف كان ليل رمضان في مكة ٤١
رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب ٤٢
الخروج وأسبابه ٤٦

Twitter: @ketab_n

المشورة قبل الانطلاق ٤٨
سرية في الانطلاق ٤٩
كيف علمت قريش بخروج رسول الله ﷺ؟ ٥٠
بدر ٥٢
أين محمد ٥٣
كيف علم ﷺ بخروج قريش ٥٣
كيف عرف ﷺ عدد قريش ٥٤
عدد الصحابة ٥٥
المشورة الثانية ٥٧
وجاءت البشرى من الله ٥٨
٢/٩/١٦ هـ ٥٩
مصارع القوم ٦٠
المطر.. المطر ٦١
الصلاة جامعة ٦١
بشرى ومنام ٦٢
جمع المشركين عند الجبل ٦٢
حسرة على عتبة ٦٥
لماذا يرفض ﷺ مشاركة حذيفة ووالده؟ ٧٠
الصوف الأبيض شعاراً للمسلمين ٧٢
النعاس وشيء آخر ٧٢
أين رسول الله ﷺ وأين الملائكة؟ ٧٣
عبد الرحمن بن عوف يتمنى مكاناً آخر ٧٦
هل أسلم أبو جهل؟ ٧٧
قم يا حمزة ٧٨
شاهت الوجوه ٧٩
علي خائف من الموت ٨٢
قصة أمية وعبد الرحمن بن عوف ٨٢

Twitter: @ketab_n

أشجع رجل في بدر ٨٦
أين أبو جهل؟ ٩٠
ماذا فعل ابن مسعود بأبي جهل ٩٠
ثمانية عشر شهيداً ٩٣
قضية الغنائم ٩٥
إحراق الغنائم ٩٧
قضية الأسرى ٩٨
رأياً لأبي بكر ورأياً لعمر ٩٩
إعدام طاغوت ١٠٠
بقية الأسرى في نعيم ١٠٢
عفراء حزينة تنوح ١٠٨
ماذا قالت سودة حتى عاتبها زوجها ١٠٩
المعجزة ١١١
إطلاق الأسرى دون مقابل ١١٢
ماذا عن بقية الأسرى؟ ١١٦
الخدمة الاجتماعية بدلاً من الحبس ١١٧
كعب بن الأشرف ١٢١
وثيقة وطنية مكتوبة بين النبي والمسلمين واليهود ١٢٤
أعلن يهود بني النضير وقريظة الحرب ١٢٧
قصة إجلاء بني النضير ١٢٧
أبو بكر وعمر وعلي يريدون فاطمة ١٣٢
هل وقع شجار بين حمزة وعلي؟ ١٣٣
ألا يا حمزة للشرف النواء ١٣٤
مولد النفاق ١٣٩
النبي ﷺ يأمر بالانتفاع بالخمر ١٤٠
أبوطلحة ومهر أم سليم الغالي ١٤١
جبير بن مطعم والهموم ١٤٢

Twitter: @ketab_n

حمزة باباً للحرية ١٤٣
رؤيا النبي ﷺ ١٤٤
دعاهم ليستشيرهم ١٤٤
البنات والمعركة ١٤٧
والد جابر يشرب خمراً قبل المعركة ١٤٨
إنهما من الأوائل ١٥٠
﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله﴾ ١٥٢
المرابطون ١٥٣
بين عينين وأحد ١٥٦
البداية دعاء ١٥٩
بشائر بالنصر ١٥٩
هل من مبارز؟ ١٦٠
ضيفان على المعركة ١٦٢
ضيف ثالث على المعركة ١٦٣
ماذا فعل الرماة ١٦٧
المعركة بأيدي المشركين ١٦٨
صرخة تقتل حسيلاً ١٦٨
استشهد حمزة ١٦٩
إن محمداً قتل ١٧٠
استشهاد مصعب ١٧٢
حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان بن الحارث ١٧٣
شهادة هو اختارها ١٧٣
رسول الله ﷺ في السماء ١٧٤
أول من عرفه ﷺ ١٧٤
الرسول يستسقي دماء ١٧٧
الشهيد الذي يمشي على الأرض ١٧٨
النعاس من جديد ١٧٩

Twitter: @ketab_n

هذا الفارس من أهل النار ١٨٠
أوجب طلحة ١٨٢
النبي يبشر الشهداء ١٩٢
الصلاة على الشهداء ١٩٤
ما سر حفاوة الله بوالد جابر؟ ١٩٦
أبو سفيان وجيشه نادمون ١٩٨
غزوة حمراء الأسد ١٩٩
شبح على أرض أحد ٢٠٠
تحريم النياحة على الميت ٢٠٣
أحب الأسماء إلى رسول الله ﷺ ٢٠٤
إلى أين تتجه الهموم بجابر؟ ٢٠٥
على باب رسول الله ﷺ كان جابر يتعلم أدباً ٢٠٦
جاءت المعجزة ٢٠٨
من أخذ مال سعد بن الربيع؟ ٢٠٩
ما هي عقبى أم سلمة؟ ٢١٢
رؤيا أم الفضل ٢١٣
فاطمة تلد حرباً ٢١٤
عقيقة الحسن ٢١٥
أم الفضل تضرب الحسن ٢١٥
تتمادى البراءة فيتمادى الحب ٢١٨
الرحمة تذهله ﷺ ٢١٩
النبي ﷺ والإماء والمعاقين ٢٢٠
قصة أولها رحمة وآخرها جحيم ٢٢٢
اغتيال خالد بن سفيان ٢٢٤
سرايا لمرثد بن أبي مرثد ٢٢٦
حرم الله الزنا ٢٢٦
عامر بن الطفيل يهدد النبي ﷺ ٢٢٨

Twitter: @ketab_n

سرية الرجيع ٢٢٩
ما الذي حدث لأم سليم رضي الله عنها؟ ٢٣٥
غزوة بني لحيان ٢٣٥
أم سليم تلد طفلاً ٢٣٦
أم سلمة تلد بنتاً ٢٣٧
تغيير اسم برة بنت أبي سلمة ٢٣٨
ذات الرقاع ٢٤١
أعرابي يحاول قتل النبي ﷺ بسيفه ٢٤١
صلاة الخوف ٢٤٢
صفة ثانية لصلاة الخوف ٢٤٢
جابر وجمله الهزيل ٢٤٣
المرأة والرجل ٢٤٦
زريبة للنساء ٢٤٧
زيد بن محمد ليس زيد بن محمد ٢٥١
ماذا كان يفعل ﷺ بأسامة لو كان فتاة؟ ٢٥٣
شاب اسمه جليبيب ٢٥٤
معركة جليبيب ٢٥٥
تطلق زوجها لأنها لا تحبه ٢٥٨
كيف فتحت توراتهم بيوت الدعارة ٢٦٠
الفهرس ٢٦٣

Twitter: @ketab_n

صدر للمؤلف

- (الفقه السهل) نشر مكتبة العبيكان.
- (التوارة والقرآن والإنجيل) نشر مكتبة العبيكان.
- (الجنة حين أتمنى) توزيع مكتبة العبيكان.
- (العقل العربي اللامفكر فيه والمسكوت عنه في مقاربات العقل العربي) توزيع مكتبة العبيكان.

Twitter: @ketab_n

هذه سيرة محمد ﷺ

الذي «كان أحسن الناس وجهاً.. وأحسنهم خلقاً.. أبيض مشرباً بحمرة.. أسود الحدقة أهدب الأشفار.. بعيد ما بين المنكبين.. أسيل الخدين.. شديد سواد الشعر.. له شعر يبلغ شحمة أذنيه.. أكحل العينين.. إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها، ليس له أخمص.. إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنها سبيكة فضة.. كان إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة مذهبة.

شعره دون الجمة وفوق الوفرة.. شيبه نحو عشرين شعرة.. إذا مشى.. كأنه يتوكأ.. يمشي مشياً يعرف فيه أنه ليس بعاجز ولا كسلان.. إذا مشى مشى أصحابه أمامه وتركوا ظهره للملائكة.

يمر بالنساء فيسلم عليهن.. يمر بالصبيان فيسلم عليهم. كان أرحم الناس بالصبيان والعيال.. كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم.. وإذا قدم من سفر تُلقي بصبيان أهل بيته»

كان عطراً من التواضع.. كان عبقاً في الطرقات» لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته.. وكان مما يقوله للخادم: ألك حاجة؟

كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت.

إذا لقيه أحد من الصحابة فتناول يده.. ناوله إياها.. فلم ينزع حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه.. وإذا لقي أحداً من الصحابة فتناول أذنه.. ناوله إياها.. ثم لم ينزعها حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها عنه.. إذا لقيه أحد من الصحابة فقام معه.. قام معه حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه.. كان أكثر الناس تبسماً.

كان يعرف بريح الطيب إذا أقبل.. يعجبه الريح الطيبة.. ولا يرد الطيب.

كان أكثر الناس تبسماً.. لا يُدفع عنه الناس ولا يُضربوا عنه.. إذا لقيه الرجل من أصحابه مسحه ودعا له.

كان يحلب شاته ويخدم نفسه.. كان يخيط ثوبه.. ويخصف نعله.. ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم».

هذه بعض صفاته الجميلة.. أما سيرته.. وحياته فهي سطور هذا الكتاب الذي يعرضها قصة.. لكن موثقة بالأحاديث الصحيحة المخرَّجة.

"ISBN"G:978-603-503-571-2
9 786035 03571 2

موضوع الكتاب: السيرة النبوية